

ميسيبي

القصة الحقيقية للفتى الذي أصبح أسطورة

لوكا كيولي

نقله إلى العربية
شادي الرواشدة

العبيكان
Obekon



Original Title

MESSI

The Inside Story of the Boy
Who Become a Legend

:Author

Luca Caioli

Copyright © Luca Caioli, 2008, 2010, 2012

ISBN-13: 978-1906850395

All rights reserved. Authorized translation from the English language edition
Published by Corinthian Books, an imprint of Icon Books Ltd, Omnibus Business

,Centre 39-41

North Road, London N7 9DP (U.K.)

حقوق الطبعة العربية محفوظة للعيكان بالتعاقد مع كورينتین بوكس، أي كون بوكس ليميتد، لندن، المملكة المتحدة.

©  2012 - 1433

مكتبة العيكان، 1434هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كيولي، لوكا

ميسي: القصة الحقيقية للفتى الذي أصبح أسطورة. / لوكا كيولي؛ شادي الرواشدة -

الرياض 1434هـ

376 ص: 5، 16، 24 سم

ردمك: 7 - 505 - 503 - 603 - 978

1 - الرياضيون 2 - كرة القدم .أ. العنوان

رقم الإيداع: 3228 / 1434

ديوي: 927.9633

الطبعة العربية الأولى 1434هـ . 2013م

الناشر  للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر  على أبل

<http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store>

امتياز التوزيع شركة مكتبة 

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: 4654424/ 4160018 - فاكس: 4650129 ص.ب: 62807 الرياض 11595

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسعة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «هوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.



📖 الفصل الأول: مسقط الرأس

حوار مع الأم والخالة 7

📖 الفصل الثاني: مستشفى الولادة

الميلاد في الرابع والعشرين من حزيران عام 1987م 15

📖 الفصل الثالث: أصغر اللاعبين

ظهيرة يوم صيفي من عام 1992م 25

📖 الفصل الرابع: كما هو الحال دائماً

حوار مع صديقة الطفولة 33

📖 الفصل الخامس: عاشق نادي نيولز

الالتحاق بنادي نيولز في الحادي والعشرون من آذار عام 1994م 49

📖 الفصل السادس: أسطورة

حوار مع لاعب ومدرب 51

📖 الفصل السابع: لقاء مع ذي الحجم الصغير

الحادي والثلاثون من كانون الثاني عام 1997م 55

📖 الفصل الثامن: نجم عالمي في بلدة صغيرة

حوار مع ماريانو بيريزنيكي؛ الصحفي في صحيفة لا كابييتال 63





- 📖 **الفصل التاسع: في اتجاه برشلونة**
 السابع عشر من أيلول عام 2000م 67
- 📖 **الفصل العاشر: مُعَيَّر مجريات المباريات**
 حوار مع فيرناندو نيمبرو المُلقَّب بشيشيه، والمُعلِّق في قناة فوكس 77
- 📖 **الفصل الحادي عشر: رخصة مشروطة**
 السادس من آذار عام 2001م 81
- 📖 **الفصل الثاني عشر: قناع بويول**
 حوار مع أليكس غارسيا أحد مدربي ميسي 89
- 📖 **الفصل الثالث عشر: الظهور الأول**
 السادس عشر من تشرين الثاني عام 2003م 95
- 📖 **الفصل الرابع عشر: إنتاج محلي**
 حوار مع كريستينا كوييرو؛ الصحفية في صحيفة إل موندو دييورتيفو
 (عالم الرياضة) 105
- 📖 **الفصل الخامس عشر: شريط فيديو لصبي**
 التاسع والعشرون من حزيران عام 2004م 109
- 📖 **الفصل السادس عشر: كرة القدم لعبته من دون منازع**
 حوار مع فرانثيسكو فيرارو «بانشو» 121
- 📖 **الفصل السابع عشر: صديق ميسي**
 حوار مع بابلو زاباليتا 125
- 📖 **الفصل الثامن عشر: مسلسل طويل**
 الثالث من تشرين الأول عام 2005م 129
- 📖 **الفصل التاسع عشر: أجواء جديدة**
 حوار مع فيرناندو سولاناس، مدير التسويق الرياضي لشركة
 أديداس، فرع شبه الجزيرة الأيبيرية 139





- 145 الفصل العشرون: نجم المباراة
- 145 الثاني والعشرون من شباط عام 2006م
- 153 الفصل الحادي والعشرين: جمال أخاذ
- 153 حوار مع سانتياغو سيفورولا، الصحفي في صحيفة ماركا
- 157 الفصل الثاني والعشرون: صعب جداً
- 157 حوار مع أسير ديل أورنو
- 161 الفصل الثالث والعشرون: ولا دقيقة واحدة
- 161 الثلاثون من حزيران عام 2006م
- 177 الفصل الرابع والعشرون: تفرقة إيجابية
- 177 حوار مع خورجي فالدانو
- 181 الفصل الخامس والعشرون: الشيطان
- 181 العاشر من آذار عام 2007م
- 189 الفصل السادس والعشرون: هدف مذهل
- 189 حوار مع جانلوكا زامبروتا
- 193 الفصل السابع والعشرون: ميسي ومارادونا
- 193 الثامن عشر من نيسان عام 2007م
- 213 الفصل الثامن والعشرون: أمامه كثير من الوقت
- 213 حوار مع فرانك ريكارد
- 219 الفصل التاسع والعشرون: عليك إثبات ذلك
- 219 حوار مع كارلوس سلفادور بيلاردو
- 223 الفصل الثلاثون: خيبة أمل
- 223 الخامس عشر من تموز عام 2007م
- 231 الفصل الحادي والثلاثون: فتى كهربائي
- 231 حوار مع ألفيو بازيلي الملقَّب بـ كوكو





- 📖 **الفصل الثاني والثلاثون: برونز وفضة**
 السابع عشر من كانون الأول عام 2007م 235
- 📖 **الفصل الثالث والثلاثون: يلعب بجسمه وعقله**
 حوار مع روبرتو بيرفومو الملقَّب بـ الماريסקال 245
- 📖 **الفصل الرابع والثلاثون: رحلة طويلة للظفر بالذهب**
 الثاني والعشرون من أيار عام 2008م 249
- 📖 **الفصل الخامس والثلاثون: سعادة**
 السابع والعشرون من أيار عام 2009م 271
- 📖 **الفصل السادس والثلاثون: الثالثة ثابتة**
 الأول، والتاسع عشر، والحادي والعشرون من كانون الأول عام 2009م .. 295
- 📖 **الفصل السابع والثلاثون: دموع تنهمر**
 الثالث من تموز عام 2010م 311
- 📖 **الفصل الثامن والثلاثون: مفاجأة**
 العاشر من كانون الثاني عام 2011م 327
- 📖 **الفصل التاسع والثلاثون: إنَّه الأفضل**
 الثامن والعشرون من أيار عام 2011م 339
- 📖 **الفصل الأربعون: مع ميسي**
 حوار مع ليونيل ميسي 355
- 📖 **السيرة الذاتية**
 367
- 📖 **قائمة المراجع**
 371





الفصل الأول

مسقط الرأس

حوار مع الأم والخالة



«أشتري ردف الذبيحة أو قطعة من عجزها. إنَّها قطع من لحم العجل سبق أن رأيتها في برشلونة أيضًا، لكنِّي لا أعرف ماذا يسمونها هناك. أرشُّ قليلاً من الملح على كلِّ قطعة، ثمَّ أغمسها بالبيض، وأكسوها بالخبز المطحون. أقوم بقليلها حتى تحمر، وحينئذٍ أضعها في صينية الفرن. بعد ذلك، أُقَطِّع البصل بشكل ناعم، ثمَّ أقلبه حتى يصبح لونه أقرب إلى الأبيض، فأضيف قطع الطماطم المفرومة، والقليل من الماء، والملح والزعتر، ورشة من السكر. ثمَّ أتركها على النار مدَّة عشرين دقيقة تقريباً. وحين تجهز الصلصة، أسكبها على قطع اللحم بعناية، بحيث تغمرها كلّها بصورة جيدة. ولا أنسى إخراج بعض الجبن السائل أو الجامد من الثلاجة، ثمَّ وضع طبقة رقيقة منه على اللحم. وبعد أن أترك اللحم في الفرن حتى يذوب الجبن، لا يتبقَّى عليّ عمل شيء سوى قلي البطاطا لتكون طبقاً جانبيّاً، وبذلك يكون طبق الشنتزل نابوليتانا جاهزاً للتقديم».

تصف سيليا بحماسة الطاهية الماهرة وخبرتها الممتدة الوجبة المفضّلة لابنها ليونيل ميسي، قائلة: «عندما أذهب إلى برشلونة، أقوم بإعدادها مرّتين





ميسي

أو ثلاث مرّات في الأسبوع، وأضع فيها - على الأقلّ - ثلاث قطع متوسطة الحجم من اللحم». ثمّ تضيف وهي تداعب شعره: «إنّ الشنتزل نابوليتانا والمتمّة (الشاي التقليدي في الأرجنتين) هما سبب تسجيلك عددًا كبيرًا من الأهداف». إنّ ذوق ليونيل في الأكل بسيط جدًّا؛ الشنتزل. ولكن، ليست تلك المصنوعة من لحم الحصان، أو الدجاج، مع مرق الفلفل الأسود، والبصل، والبنادورة، والزعتر.

إنّه لا يهتم بالوجبات المنمّقة مثل تلك التي يُعدها شقيقه رودريغو. وكما هو معروف، فإنّ رودريغو طاهٍ محترف، وهو يحلم بأن يكون له مطعم خاص به يومًا ما. لذا، فمن الطبيعي - بالنسبة إليه - أن يُجرّب وصفات طعام جديدة؛ حتى لو كان شقيقه الأصغر لا يُقدّر ذلك دائمًا. هل يحبّ الحلويات؟ «نعم، ليويحبّ الشوكولاتة والفاخور (بسكويت تقليدي محشو بالكراميل، وهو من الأكلات الشعبية)؛ فعندما نذهب إلى إسبانيا نأخذ منهما ما يكفي حاجتنا مدّة بقائنا هناك».

وفي هذه الأثناء، أخذت سيليا تروي إحدى قصصه حينما كان صغيرًا؛ إذ وعده المدربّ بقطعة فاخور لقاء كلّ هدف يسجّله، فأحرز حينها ثمانية أهداف في المباراة. لقد كانت وليمة بحقّ.

وفي أثناء تناولها فنجانًا من القهوة في مقهى لا تيندا الكائن على جادة سان مارتين دي روزاريو، تتحدّث والدة لاعب نادي برشلونة صاحب الرقم 10 بمتعة كبيرة عن ابنها الذي وصلت شهرته أصقاع الأرض؛ وهي تعبت بشعرها الأسود، وابتسامة عذبة فقط بابتسامتها العذبة، وملامح تُذكّر المرء بليو (مع أنّها تضحك حين تسمع ذلك، قائلة: إنّه يشبه أباه تمامًا).

تملك سيليا ماريا كوشيتيني أوليفيرا دي ميسي صوتاً رقيقاً وهادئاً. تنظر مراراً في أثناء تحدّثها إلى أختها مارسيليا الجالسة قبالتها. ولمارسيليا





هذه، البنت الصغرى في عائلة كوشيتيني، أبناء يلعبون الكرة أيضًا؛ فابنها ماكسيمليانو يلعب لنادي أولمبيا في الباراغواي، في حين يلعب شقيقه إيمانويل في إسبانيا لنادي جيرونا. أمّا برونو فيرتاد مدرسة ريناتو شيزاريني لكرة القدم، التي يُدرّب فيها لاعبون سابقون كبار، أمثال: فيرناندو رودندو، وسانتياغو سولاري. ومارسيلا كوشيتيني دي بيانكوتشي هي إشبنته (عزّابته) في المعمودية، وخالته المفضّلة. وهو يحبّ قضاء بعض الوقت في بيتها عندما يذهب إلى روزاريو. تقول سيليا: «علينا الذهاب إلى هناك، أو الاتصال به للاطمئنان عليه، لكنّ أختي تُفسده طبعًا بدلالها. ثمّ هناك إيمانويل أيضًا؛ فمن الصعب التفريق بينهما، وقد كانا يلعبان كرة القدم معًا منذ الصغر». تتذكّر سيليا ذلك قائلة: «كان هناك خمسة فتية؛ أبنائي الثلاثة ماتياس ورودريغو وليو، وابنا أختي ماكسيمليانو وإيمانويل. كنّا حين نذهب إلى منزل والدتي كلّ يوم أحد، ينزل الفتية إلى الشارع للعب قبل وقت الغداء. لقد كانوا يخوضون مباريات صاخبة؛ سواء بكرة القدم أو التنس، وعادة ما كان ليو يعود إلى البيت باكياً؛ إمّا لخسارته، وإمّا لتعرّضه للغشّ من الفتیان الذين يكبرونه سنًّا».

تضيف مارسيلا: «ذكّرني ماكسي بتلك المباريات منذ أيام معدودات، وقال لي: إنه يرغب في تنظيم مباراة بين عائلة ميسي وعائلة بيانكوتشي حين يلتقي الجميع في روزاريو، تمامًا كما في الأيام الخوالي».

إنّ هذه الذكريات توصلنا إلى الجدّة سيليا، وطعامها الشهّي، وحلوياتها، واجتماع العائلة كلّ يوم أحد، والشغف بكرة القدم. تقول سيليا: «كانت هي مَنْ يصطحب الفتیان إلى التدريبات والتمارين الخاصة بكرة القدم. وكانت هي مَنْ يُصِرّ على إشراك ميسي في اللعب، مع أنّه لم يكن كبيرًا كفاية؛ فقد كان أصغر الفتية سنًّا وحجمًا. فهو لطالما كان صغيرًا؛ حتى إنّهم كانوا يخشون عليه من أن يضيع بين الأرجل، أو يُصاب بأذى. أمّا الجدّة سيليا فلم تكن كذلك؛ فقد





هيسي

كانت شديدة الحماس، وتصرخ قائلة: «مرّروا الكرة إلى ليونيل، مرّروها إلى الفتى الصغير، إنه الوحيد القادر على تسجيل الأهداف». لقد كانت هي مَنْ أقتنعا بشراء حذاء اللعب له. ومن المؤسف أنّها لن تتمكن اليوم من رؤية ما آلت إليه حاله؛ فقد أدركها الموت حين كان (ليو) في العاشرة من عمره. ولكن، مَنْ يدري، فقد يُتاح لها الآن أن تشاهد من علّ الحال التي آل إليها حفيدها، ويساورها شعور بالفرح والسعادة من أجله أيضًا.

ولكن، كيف بدأ مشوار ليو مع كرة القدم؟ من الذي علّمه؟ من أين اكتسب المهارات الكثيرة التي يتمتّع بها الآن؟ هل للأمر علاقة بموضوع الوراثة؟ «لا أعرف، فربّما أنّه ورث هذا الأمر من أبيه، أو إخوته، أو أقاربه. لطالما كانت كرة القدم تجري في دماء عائلتنا. فأنا من محبّي كرة القدم أيضًا. أمّا مثلي الأعلى فهو مارادونا. وقد تابعت سيرة حياته المهنية وأهدافه جميعها بشغف كبير. لقد كان أسدًا هصورًا في الملعب».

قلّت له ذات يوم حين قابلته: «أتمنّى أن يصبح ابني لاعب كرة قدم عظيمًا، وأن تُدرّبه أنت. انظر ماذا حدث... انظر إلى ما أنجزه ابني حتى الآن».

وفي هذه الأثناء، رنّ جرس الهاتف النقال المُلقى على الطاولة. فتستأذن سيلييا، وتتحنّى جانبًا؛ لتردّ على المكالمة.

وفي أثناء ذلك، تستكمل مارسيليا حديثها عن ليو الصغير قائلة: «إنّه فتى خارق، لقد استطاع التحكّم في الكرة على نحوٍ أفضل من أيّ شخصٍ آخر؛ حتى قبل أن يبلغ الخامسة من عمره. فقد كان مولعًا بها، ولا يتوقّف عن اللعب بها. وأظهر مهارة وبراعة في التصويب على بوابة المنزل الأمامية، لدرجة أنّ الجيران كانوا يطلبون منه التريث والهدوء».



أنهت سيليا حديثها بالهاتف، فجلست، ثم هزّت رأسها بالموافقة. «لقد كانت أشدّ عقوبة يمكننا تهديده بها، هي حرمانه من التدرّب طوال اليوم». وفي المقابل، فقد أخذ ليويتوسّل قائلاً بإصرار: «لا، يا أمي، أرجوك، أعدك... دعيني ألعب»؛ حتى أعدل عن قراري في النهاية. لم يكن ليو طفلاً مزاجياً أو كسولاً، ولطالما كان فتى مطيعاً، هادئاً، خجولاً، تماماً كما هي حاله اليوم.

حقاً! نعم. إنّه لا يأبه بالشهرة؛ فهو يودّ أن يأتي إلى جادة سان مارتن، ويتجوّل فيها برفقة ابن خالته إيمانويل عندما يزور روزاريو. لكنّه كان يُظهر استياءً شديداً، حين نقول له: إنّ تلك الفكرة غير صائبة، وإنّ الناس هنا - في مسقط رأسه - سيصابون بحالة هستيرية إذا رأوه، وسيحدّون كثيراً من حركته. إنّه لا يفهم كيف تسير مثل هذه الأمور، وينزعج في نهاية المطاف.

اعتاد ليو - حين يكون في برشلونة - الذهاب إلى متجر كورته إنغلس مرتدياً لباساً رياضياً. واعتاد رونالدينيو على مداعبة شعره وسؤاله: كيف يمكن لعاقل أن يخرج من البيت بمثل تلك الملابس؟ إنّه لم يُبال يوماً بالمكانة التي وصل إليها. لذا، فهو لا يتضايق من الشهرة، أو من التقاط الصور التذكارية مع المشجّعين، ومنح توقيعه لهم. وفي بعض الأمسيات، وحين يقفل عائداً إلى المنزل بعد غياب طويل وأذهب لرؤيته، أستلقي إلى جانبه في السرير، ثمّ نبدأ ندردش، وأنا أداعب شعره، ثمّ أُسرّ له بأحاديث عدّة على سبيل المزاح، مثل قولي: «إنّ المشجّعين جميعاً على استعداد لبذل الغالي والنفيس ليكونوا بجانبك في هذه اللحظة». حينئذٍ، ترسم على مَحَيّاه تعبيرات ساذجة، ثمّ يقول: «دعي عنك المزاح يا أمي».

تتدلّى على جدران مقهى لا تيندا قمصان لاعبين من الأرجنتين. وكذا قميص ليو، الذي ينسدل تحت إحدى النوافذ، وهو موسوم بالرقم 30 الذي يُمثله في نادي برشلونة.





«أنهم لا يعرفون أنني والدته، مع أننا نعيش معاً في هذه البلدة». تعلق سيليا، وهي امرأة تُسبب لها الشهرة شعوراً بالخجل. إنها تُدرك تماماً الأخطار التي تُفرض عليها الشهرة، وإن لديها أهدافاً وأولويات واضحة في هذه الحياة؛ سواء أكانت تخصصها أم تخصص أبنائها. كل ذلك جيد. ولكن، ما الشعور الذي يراودها حين تتذكر أنها والدة نجم؟ «إنني فخورة جداً. فعندما أطلع الصحيفة؛ سواء هنا أو في إسبانيا، وأجد مقالاً عنه، أو عندما أرى قميصاً برقمه يرتديه الأطفال... أشعر بفخر شديد. لذلك، يؤذيني أن أسمع أحداً ينتقد طريقة لعبه، أو يُطلق أخباراً كاذبة عن حياته الشخصية. إنه من المؤلم والمؤثر أن يتصل بك شخص قائلاً: هل رأيت هذا؟ هل رأيت ذلك؟ ليو؟ إنه نادرًا ما يقرأ الذي يُكتب عنه، ولا يتأثر كثيرًا في حال قرأ. لكن هذا لا يعني أنه لم يعانِ أوقاتاً عصبية؛ فقد تعرّض لكثير من المواقف المؤلمة، مثل: إصابته وغيابه عن اللعب أشهرًا عدّة، وسير الأمور -أحياناً- خلافًا لما يريد. لا يراودني أدنى شكّ في تعرّضه لمثل هذه المواقف، وحينئذٍ، أحزم أمتعتي، وأسافر إلى برشلونة؛ لأتحقق ممّا يحدث، وأكون قريبة منه، وأعتني به قدر المستطاع. لطالما كان ليوفتيّ كتومًا حيال الصعوبات التي تواجهه، لكنّه - في الوقت نفسه - كان ناضجًا جدًا مقارنة بأقرانه وأبناء جيله. وما زلتُ أذكر قوله حين ألمحنا إلى احتمال عودتنا إلى الأرجنتين: «لا تقلقي يا أمي، اذهبوا أنتم، وأنا سأمكث هنا، وحتماً إن الله سيساعدنا»؛ إنه حقًا يملك إرادة حديدية».

ومرّة أخرى تعود للحديث عن نجاحاته، وعن الناس الذين يعشقون «البرغوث» على طرفي المحيط.

تقول سيليا: «إن أكثر شيء يعجبني هو محبّة الناس له. أعتقد أنهم يحبّونه لبساطته وتواضعه وطيبته. فهو دائماً يُفكّر في الآخرين، وينظر في





أحوال المحيطين به؛ ليتأكد أنهم على ما يرام: والديه، وشقيقيه، وشقيقته، وأبنائهم، وأقاربه. إنه دائم التفكير في عائلته.»

أنا والدته، ومثل أي أم؛ فإنني أقول دائماً أموراً جيدة عن أبنائي، فلذات أكبادي، ولكنني أصدقك القول حين أخبرك أن ليو يمتلك قلباً كبيراً.»

كيف ترى أمّ مستقبل ابنها؟ «فيما يخص كرة القدم، أتمنى أن يجد له مكاناً مشرفاً في سجل التاريخ؛ كالذي حظي به بيليه ومارادونا، أتمنى أن يُحقّق الكثير. لكنّ الأهم، بوصفي أمّاً، هو الدعاء إلى الله أن يمنحه السعادة، وأن يُنشئ عائلة. وأن يعيش حياته كما يجب، فهو لم يحَيها بصورتها الحقيقية بعد. لقد كرّس نفسه لكرة القدم قلباً وقالباً. إنه لا يخرج، ولا يفعل مثلما يفعل أقرانه الذين يماثلونه في السنّ. لذا، فأنا أتمنى له حياة ممتعة، فهو يستحق ذلك.»

يهبط الظلام خارج النافذة الكبيرة، وتصبح حركة السير أكثر حدّة ووطأة؛ سيارات، وشاحنات متهاكة، وحافلات، تترك وراءها سحباً كثيفاً من الدخان، وتمرّ عربة مليئة بالخرردة يجرّها حصان هزيل، وحشد من الناس يشقّ طريقه نحو المتاجر ومحطات الحافلات. يجب أن تعود سيليا إلى المنزل، فماريا سول، أصغر أفراد العائلة، تنتظرها هناك. ويتعيّن على مارسيليا أن تأخذ برونو من مدرسة الكرة. إنها تمطر، وسيليا تصرّ على اصطحاب ضيوفها إلى وسط المدينة. فتذهب لإحضار السيارة.

لقد مثّلت كلمات مارسيليا الأخيرة، ونحن نهّم بالصعود، مخاوف الأمّ وهواجسها حيال ما قد يتعرّض له صغيرها؛ الإصابات، والمال الذي يُغيّر أنفس البشر. «لم تتغيّر طباع ليو وأولادي حتى الآن. وما زلتُ أعيش أنا وعائلي وعائلة أختي في هذه البلدة حيث وُلدنا، وفي البيوت عينها. فنحن لم نُفكّر في الرحيل إلى منطقة أخرى، ولم نردّ لحظة التخلّي عن جذورنا، وكذا الفتیان؛ فهم لم





هيسي

يتغيّروا قَطًّا. أتمنّى ألا تتغيّر طباعهم مستقبلًا، وألا يصيبهم ما اعترى لاعبي كرة قدم آخرين من جرّاء الشهرة».

تقف سيارة فولكس فاغن رمادية اللون بجانب الرصيف. تقود سيليا السيارة بسرعة مخترقة شوارع الجزء الجنوبي من روزاريو. ثمّ تمرّ بجانب المدرسة التي كان يرتادها ليو، فتُعلّق قائلة: «لم يكن تلميذًا نجيبًا. لقد كان كسولًا مُقلًا في الدراسة».

وفجأة، تعطف باتجاه تيرو سوزو، وهو نادٍ رياضي أسّسه مهاجرون من منطقة تيسينو عام 1889م. وفي هذه الأثناء، يظهر طفلان لا يلحظان السيارة؛ فهما منشغلان بلعب الكرة.

تلتفت سيليا إليهما قائلة: «ذلك كان حال ليونيل أيضًا».





الفصل الثاني

مستشفى الولادة

الميلاد في الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩٨٧م



في الزاوية رقم 1249 من شارع فيزازورو، يجثم مجمع أبنية ضخمة مستطيل الشكل، لونه يُماثل لون القشدة، وهو مبني على طراز يحاكي طرز المباني التي شُيّدت في القرن التاسع عشر؛ إنّه المستشفى الإيطالي الذي شُيّد تكريمًا لجوسيبي غارibaldi، الذي بُني له أيضًا تمثال في ساحة بلازا دي إيطاليا في روزاريو.

يُعَدُّ غارibaldi شخصية قومية مشهورة نالت لقب «بطل العالمين»؛ بسبب المعارك التي خاضها هذا القائد على طول نهر بارانا عندما نُفي إلى أمريكا الجنوبية. لقد تركت جماعة السترات الحمر التي كان يقودها غارibaldi آثارها في تلك المناطق؛ فعلى سبيل المثال، يوجد مستشفيان في روزاريو وبوينوس آيرس أسَّسهما أشخاص كانوا قد نُفوا لأسباب سياسية، ولدعمهم ماتزيني وغارibaldi والاتحادات العمالية التي أسَّسها.

وقد دُشن مجمع روزاريو الطبي في الثاني من تشرين الأول عام ألفٍ وثمانين مئةً واثنين وتسعين لخدمة الجاليات الإيطالية التي كانت تُمثّل آنذاك 70% من مجموع المهاجرين الذين وصلوا من أوروبا. يمتلك المجمع في يومنا هذا أحد





ميسي

أفضل أقسام الولادة في المدينة. وهنا تبدأ قصة ليونيل ميسي، المولود الثالث في عائلة ميسي - كوشيتيني، في الساعة السادسة من صباح يوم شتوي.

والده خورخي الذي يبلغ من العمر التاسعة والعشرين، يعمل رئيس قسم في شركة إسندار لصناعة الصُّلب في منطقة فيا كونستيتيوسيون التي تبعد نحو 50 كيلومترًا عن روزاريو، في حين تعمل والدته سيليا البالغة من العمر سبعة وعشرين عامًا في ورشة لتصنيع المغناطيس. وقد التقيا في الصغر في حيّ لاس هيراس الذي كان يُعرَف سابقًا باستادو دي إسرائيل، ويُعرَف اليوم بحيّ سان مارتن، الواقع في القسم الجنوبي من المدينة، حيث السكان البسطاء والكادحون.

يعمل أنتونيو، والد سيليا، فنيًا لتصليح الثلاجات والمكيفات والأجهزة الكهربائية الأخرى. وقد عملت والدتها التي تحمل اسم سيليا أيضًا خادمةً سنوات. أمّا أوزيبينو، والد خورخي، فيعمل في مجال الإنشاءات، في حين تعمل أمّه روزا ماريا خادمةً أيضًا.

يسكن هؤلاء جميعًا على بُعد مسافة مئة متر تقريبًا من بعضهم بعضًا. وهم ينحدرون من أصول إيطالية وإسبانية شأنهم في ذلك شأن كثير من العائلات الأخرى التي تسكن هنا. أمّا اسم عائلة ميسي فيرجع في أصله إلى بلدة إيطالية تُدعى بورتوريكاناتي، وهي تقع في ولاية مازيراتا التي شهدت ولادة الشاعر جياكومو ليوباردي، ومغني الأوبرا بنيامينو جيفلي.

وتقول الرواية: إنَّ شخصًا يُدعى إنجيلو ميسي غادر من هناك على متن واحدة من السفن الكثيرة المتجهة إلى أمريكا عند نهاية القرن التاسع عشر؛ بحثًا عن حياة أفضل في العالم الجديد، بعدما اشترى تذكرة للدرجة الثالثة، شأنه في ذلك شأن معظم المهاجرين.



تملك عائلة كوشيتيني جذورًا إيطالية أيضًا من جهة الأب. ومع أنّ تلك العائلات تنحدر من المناطق السهلية الرطبة، لكنها استقرت في المدن في نهاية المطاف.

تقع مدينة روزاريو التي يبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة، على بُعد ثلاث مئة وخمسة كيلومترات عن العاصمة بوينوس آيرس، وهي تُعدّ كبرى مدن ولاية سانتا فيه، وتمتد على طول ضفاف نهر بارانا. في حين يمتد متنزه كوستانيرا على طول النهر وصولاً إلى جسر نويسترا سينيورا دل روزاريو الذي يقطع مياه النهر وجزره ليصل المدينة بمدينة فيكتوريا.

احتل نهر بارانا مركزًا مهمًا على مرّ الزمن فيما يخصّ النقل النهري؛ فمن هناك تُصدّر كثير من المنتجات الزراعية إلى دول اتحاد ميركوسر جميعها (الأرجنتين، البرازيل، الأوروغواي، الباراغواي)، ولعلّ أبرزها محصول الصويا الذي جلب - في الوقت الحالي - الثروة إلى هذه المناطق، ما أدّى إلى تحضّرها.

وعلى الرغم من ظهور مبانٍ وناطحات سحاب جديدة إلى جانب فلل لافتة على الشاطئ ذي الرمال الناعمة التي ترسّبت من النهر، تظل روزاريو مدينة ذات هوية وطنية بامتياز.

يتجمّع طلبة المدارس بلباسهم الأبيض لالتقاط الصور عند قاعدة نُصب العلم الذي بُني على الطراز السوفيتي القديم، ودُشّن عام 1957م؛ تخليدًا للمكان الذي أصدر منه الجنرال مانويل بلگرانو الأوامر لرفع العلم الوطني أول مرّة في السابع والعشرين من شهر شباط عام ألفٍ وثمانين مئةٍ واثنى عشر.

وروزاريو هي مدينة أحفاد المهاجرين، ومدينة العشوائيات والمنازل الريفية. ولكن، لندع عنّا قصص الهجرة والثقافات واللغات والتقاليد المختلفة





هيسي

التي تطبع الأرجنتين بطابع خاص، ولنتكلم عن خورخي وسيليا، اللذين وقعا في الغرام، وأصبحا على علاقة في سنّ صغيرة.

تزوَّج خورخي وسيليا في السابع عشر من حزيران عام ألفٍ وتسع مئة وثمانية وسبعين، في كنيسة كوراثون دي ماريا (قلب مريم). وكانت البلاد وقتئذٍ مشغولة ببطولة كأس العالم، لدرجة أنّ العروسيين الجديدين اللذين يقضيان شهر العسل في مدينة باريلوشه يحرصان على متابعة مباراة الأرجنتين أمام البرازيل الجارية في روزاريو. وقد انتهت هذه المباراة بالتعادل من دون أهداف. ولكن بعد ثمانية أيام، وعلى ملعب موني مونتال الخاص بنادي ريفر بلايت، تغلّب المنتخب الأرجنتيني الملقّب بالألبيسيليتي (أي الأبيض والأزرق السماوي) على المنتخب الهولندي بثلاثة أهداف مقابل هدف واحد، ليفوز بكأس العالم، بقيادة المدرب سيزار لويس مينوتي. وقد عمّ البلاد - بعدئذٍ - فرح غامر، وجنون عارم؛ كأنّ لاعبي المنتخب (فيلول، وأولغوين، وغالفيان، وباساريلا، وتارانتيني، وآرديليس، وغاليفو، وأورتيز، وبيرتوني، ولوكي، وكيمبس) قد أبعدوا كلّ الذكريات المرتبطة بحقبة الحكم العسكري، وأسدلوا الستار على مأساة آلاف المنشقين الذين فارقوا الحياة، والمواطنين الذين «اختفوا» فجأة، ويزيد عددهم على 30 ألفاً، فضلاً عن التعذيب والفظائع التي ارتكبتها الجنرال رافاييل فيديلا في أثناء حكمه العسكري المستبد المجهول بالدم والعنف، الذي انطلقت شرارته في الرابع والعشرين من شهر آذار عام ألفٍ وتسع مئة وستة وسبعين عند تحية إيزابيل بيرون.

ومازال ممكناً مشاهدة عبارة «كأس العالم القذر»، في شوارع بوينوس آيرس، مكتوبةً أسفل ملعب كرة قدم أخضر، والتاريخ (1978م) منقوش إلى جانبها.



ومع أنّ البلاد لا تزال في قبضة الحكم المستبد بعد عامين على الانقلاب، لكن الحياة مستمرة. فبعد حين، أصبح خورخي وسيليا أبوين؛ إذ وُلِدَ رودريغو مارتن في التاسع من شباط عام ألفٍ وتسع مئة وثمانين، ثمّ وُلِدَ ابنهما الثاني، ماتياس هوراشيو، في واحدة من أحلك الساعات في تاريخ البلاد. فقد قَدِمَ إلى هذا العالم في الخامس والعشرين من حزيران عام ألفٍ وتسع مئة واثنين وثمانين؛ أي بعد أحد عشر يومًا فقط من نهاية حرب فوكلاند.

حصرت الأرجنتين التي هُزِمَت في الحرب خسائرها (649 قتيلًا، وأكثر من 1000 جريح)، ولم ينسَ جميع الرجال الذين أمضوا شهرين ونصف الشهر تحت القصف، حالة الهلع التي أصابتهم. لقد كانوا من المتطوعين الشباب الذين تنقصهم الخبرة والمعدات، وقد أُقْتَبِعُوا بالانضمام إلى الجيش بِحُجَّةِ الوطنية الزائفة؛ لكي يعيدوا غزو أرخبيل فوكلاند الذي تحتله بريطانيا منذ عام 1833م.

كانت العملية روزاريو، وهو الاسم الذي أُطْلِقَ على الغزو الأرجنتيني الرئيس بقيادة الجنرال ليو بولد غالتيري في الثاني من نيسان عام ألفٍ وتسع مئة واثنين وثمانين، واحدة من المحاولات الكثيرة اليائسة التي قام بها المجلس العسكري؛ بهدف صرف انتباه الشعب عن الكارثة التي تسبّب بها برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي قُدِّمَ عام 1980م. فقد تمخّضت تلك السياسات عن تضخّم بلغت نسبته 90%، إضافة إلى ركود أصاب مختلف القطاعات الاقتصادية، وارتفاع الدين الخارجي على الشركات الحكومية والخاصة، وانخفاض قيمة الرواتب، وإفقار الطبقة الوسطى (وهي ميزة يمتاز بها تاريخ هذا البلد، وتُميّزه عن بقية الدول الأخرى في أمريكا الجنوبية) تحديدًا.

كان من المفترض أن تُنسى الحرب الناس مآسي الماضي، وتُوقَفَ فيهم حسّ الوطنية، لكنّ غالتيري لم يكن جاهزًا بعدُ لمواجهة المرأة الحديدية مارغريت





هيسي

تاتشر، ولم يأخذ قوة الجيش البريطاني في الحسبان. دحرت القوات البريطانية الجيشَ الأرجنتيني بعدها بأسابيع قليلة، وقد مثل ذلك كارثة للأرجنتين، أدت لاحقاً إلى سقوط المجلس العسكري، والانتقال إلى النهج الديمقراطي في وقت لاحق من العام نفسه. ولا تزال مسألة استعادة جزر مالفيناس (الاسم الذي تُطلقه الأرجنتين على جزر فوكلاند) قائمة حتى يومنا هذا.

عمدت الدولة إلى بناء نُصب في متزه العلم الوطني بروزاريو؛ تكريماً «للأبطال الذين يعيشون في جزر مالفيناس»، وينصّ دستور عام 1994م على أنّ استرجاع تلك المنطقة هدفٌ لا يجوز التخلي عنه.

ولكن، عام 1983م، آل الفوز في الانتخابات إلى راؤول ألفونسو، وهو واحد من سياسيين قلائل لم يتورطوا مع الجيش، وقد أكد أنّ هدف قادته الوحيد من وراء الحرب هو تعزيز الاستبداد.

تمرّ أربع سنوات، وسيليا على وشك إنجاب طفلها الثالث، والوضع ما زال متأزماً، فالأرجنتين على شفا حرب أهلية في أسبوع الآلام من عام 1987م؛ إذ ثارت على الحكومة مجموعة من الضباط الشباب الذين أطلقوا على أنفسهم اسم كارابتاداس (أي الوجوه المطلية) بقيادة العقيد الدوريكو، مُطالبين بإنهاء المحاكمات الخاصة بالخروقات التي طالت حقوق الإنسان إبان حقبة الحكم العسكري. وفي الوقت الذي رفض فيه القادة العسكريون الانصياع لأوامر رئيس البلاد، نزل الناس إلى الشارع في محاولة لحماية الديمقراطية، وأعلن الاتحاد العام للعمّال عن إضراب شامل، ثمّ يظهر راؤول ألفونسو في الثلاثين من نيسان، مخاطباً الحشد المتجمّع في بلازا دي مايو بقوله: «تمّت تسوية الأوضاع، أتمنى لكم عيد فصح سعيد»، لقد كانت عبارة سيسترها التاريخ؛ لأنّ ذلك ما آلت إليه الأمور فعلاً.



لقد تعيّن على الرئيس الذي لم يكن ليقوى على الجيش، الدخول في مفاوضات مع مجموعة كارابنتاداس، ووعدهم بإنهاء المحاكمات بحقّ العسكر. ثمّ يأتي قانون (طاعة الأوامر) الذي يُخلي ساحة الضباط ومَنْ يتبع لهم، من الفظائع التي ارتكبوها؛ بوصفهم جنودًا كانوا يُنفّذون الأوامر الصادرة عن رؤسائهم. وقد بدأ تطبيق هذا القانون في الثالث والعشرين من حزيران عام 1987م؛ وهو اليوم نفسه الذي أُدخِلت فيه سيليا قسم الولادة في مستشفى غاربيالدي. وقد بقى ولداها الآخران - رودريغو صاحب الأعوام السبعة، وماتياس ذو الأعوام الخمسة - في المنزل مع جدّتهما، بينما اصطحب خورخي زوجته سيليا إلى المستشفى. كان يودّ أن يرزق بفتاة بعد أن حباه الله بولدين، لكنّ قدره كان أن يرزق بولد ثالث. مرّت مدة الحمل بهدوء وسلام، لكنّ الأمر تعقّد في الساعات القليلة التي سبقت عملية الولادة؛ إذ شخّص طبيب النسائية نوربيرتو أوديتو اعتلالاً جنينياً حاداً، فقرّر تحفيز عملية الولادة؛ لتجنّب أيّ تأثير طويل الأمد على المولود. يتذكّر خورخي هذا الموقف العصيب حتى الآن، والخوف الذي غلّف تلك اللحظات، والرعب الذي شعر به عندما أخبره الطبيب بأنّه سيستخدم الملقط الطبي، ورجاءه للطبيب أن يبذل كلّ ما باستطاعته لتجنّب ذلك؛ لأنّه سمع قصصاً مخيفة عن التشوّهات التي تلحق بالمولود من جرّاء استخدامه. ولحسن الطالع، لم يُستخدم الملقط في نهاية المطاف.

قبل السادسة صباحاً بدقائق معدودات، وُلِد ليونيل أندرياس ميسي، وكان يزن ثلاثة كيلوجرامات، وبلغ طوله 47 سنتيمتراً، وغلبت على وجهه حمرة كالطماطم، وكانت إحدى أذنيه مثنية بالكامل نتيجة تسريع عملية الولادة (أحد التشوّهات الخلقية التي تزول بعد ساعات قليلة عند معظم المواليد). وبذا، حلّت الفرحة مكان الخوف؛ فالوافد الجديد بصحة جيدة، على الرغم من لونه المائل للوردي قليلاً.





ميسي

أما الوضع خارج حدود المستشفى، فيبدو أنه كان أكثر اضطراباً؛ إذ انفجرت قنبلة في المدينة، وانفجرت أخرى في شركة فيلا للمقاولات، حيث يعمل خورخي. ثم ارتفع عدد التفجيرات - التي جاءت ردّ فعل على قانون طاعة الأوامر - إلى خمسة عشر تفجيراً في أرجاء البلاد شتّى. ولحسن الحظ، لم يمّت أحد، فقد اقتصر الأضرار على الجوانب المادية فقط. وفي واقع الأمر، فقد كشفت التفجيرات عن مدى انقسام البلاد الغارقة في غياهب الحكم العسكري والأزمات الاقتصادية الحادة. وكان وزير التجارة المحلية قد أعلن تَوّاً تطبيق تعرفه جديدة لتسعير المواد الأساسية؛ ارتفع بموجبها سعر الحليب والبيض بنسبة 9٪، والسكر والذرة بنسبة 12٪، والكهرباء بنسبة 10٪، والبنزين بنسبة 8٪.

لقد فاقم هذا القرار من معاناة العائلات الكادحة، مثل عائلة ميسي - كوشيتيني، مع أنها كانت تحصل على راتبين، ولا تدفع بدل إيجار للبيت الذي تسكنه. فقد بنى خورخي البيت بمساعدة والده على مدار أسبوعية عدة، على قطعة الأرض التي تملكها العائلة، وتبلغ مساحتها 300 متر. وقد تألّف هذا البيت المبني من الطوب من طابقيّين وحديقة خلفية وفرت للأطفال مكاناً للعب، وهو يقع في حيّ لاس هيراس.

يصل ليونيل إلى هناك في السادس والعشرين من حزيران بعد أن غادر وأمه المستشفى الإيطالي.

وبعد ستة أشهر من ذلك التاريخ، ظهرت صور لليونيل في ألبوم العائلة، وكان يبدو فيها ممتلئ الخدود مبتسماً، وهو مستلقٍ على سرير أبويه، يرتدي سروالاً أزرق صغيراً، وقميصاً أبيض.

بدأ ليونيل بمطاردة أخويه عندما بلغ الشهر العاشر من عمره، وقد تعرّض وقتها لحادثته الأولى؛ إذ خرج من المنزل - لا أحد يعرف السبب بطبيعة



الحال - ربّما للعب مع الأولاد الآخرين في الشارع الذي لم يكن قد مُهد حينها، ولم تكن السيارات تمرّ به بكثرة. وفجأة، تمرّ دراجة هوائية فتسقطه أرضاً. ثمّ ينفجر باكياً، ويهرع كلّ مَنْ في المنزل إلى الشارع. يبدو أنّ الأمر على ما يرام؛ إنّه مجرد خوف اعتراه. لكنّه لم يتوقّف عن الشكوى طوال الليل، وأخذت ذراعه اليسرى تتورّم، فيأخذه والده إلى المستشفى ليلاً، ليتبيّن أنّه يعاني كسراً في عظم الزند، وأنّه في حاجة إلى جبيرة.

يشفى الكسر بعد بضعة أسابيع، ثمّ يحلّ عيد ميلاده الأول، فتشتري له خالاته وأعمامه قميصاً لأحد أندية كرة القدم، في محاولة مبكرة لجعله يشجّع فريقه المستقبلي؛ نيولز أولد بوائز. لكنّ الأمر لا يزال مبكراً؛ إذ يُفضّل ليو، الذي بلغ الثالثة من العمر الآن، اللعب بالبطاقات المصوّرة، وبأصغر الكرات حجماً؛ وهي الكرات الزجاجية (الدواحل). وقد تمكّن من جمع كثير منها بعدما ربحها من زملائه في اللعب، وكان كيس الكرات خاصته مملوءاً على الدوام.

وفي المقابل، فقد كان الوقت متاحاً دائماً للعب بالكرات المدوّرة؛ سواء في الحضانة، أو في المدرسة. ولمّا أهداه أبواه في عيد ميلاده الرابع كرة بيضاء مرسوماً عليها ماسات حمراء، حدث أمر لافت غيّر - على الأرجح - منحى حياته كلّها، فقد جاء اليوم الذي فاجأ به الجميع؛ والده وأخواه يلعبون كرة القدم في الشارع، وليويقرّر مشاركتهم اللعب للمرّة الأولى. لقد كان فيما مضى يُفضّل كسب الكرات الزجاجية. ولكن، ليس هذه المرّة. يقول خورخي: «دُهّلنا عندما رأينا قدراته. كانت تلك المرّة الأولى التي يلعب فيها الكرة».





الفصل الثالث

أصغر اللاعبين

ظهيرة يوم صيفي من عام 1992 م



يبدو ملعب غراندولي مجرد تقريبيًا، يكسوه كثير من التراب، وقليل من المساحات الخضراء على الخطوط الجانبية. القوائم في حال يرثى لها، شأنها شأن السياج، وشأن المبنى الذي يحوي غرف الغيار والحمامات. لا يبدو الحيّ بأكمله بحالٍ أفضل؛ محطات مؤقتة لغسيل السيارات تنتشر عند تقاطعات جادة غواتيريز، بأعوإطارات مستعملة، لوحات تقول: «هنا نشترى الحديد»؛ أي محالّ خردة، حتى إنّ هناك قطعة من الكرتون تُعلن عن توفير خدمة تنظيف الكلاب. نشاهد في الخلفية أبراج البناء المشهورة التي تبدو مهجورة مع أنّها مأهولة؛ بيوت صغيرة ذات سقوف منخفضة افتقدت التألّق الذي كانت عليه في الماضي، نباتات تنمو بين شقوق الأسفلت، نفايات تصطلي بحرارة الشمس، رجال وعجائز عاطلون، فتیان يركبون درّاجات هوائية صغيرة لا تناسبهم. يقول أكبر العجائز سنًا: «لقد تغيّر الناس في هذه الأنحاء»، ثمّ يضيف: «أصبح من المخيف التجوّل هنا ليلاً؛ لقد انتقل الأشرار إلى هنا».

الساعة الثالثة عصرًا، لا يوجد أحد في المكان. ملعب كرة القدم خالٍ. لقد غادر الفتیان الذين يرتادون المدارس المجاورة، ثمّ يأتون لممارسة





هيسي

الرياضة في مركز أبانديرادو ماريانو غراندولي للتربية البدنية (سُمِّي بهذا الاسم تيمُّناً بأحد متطوعي حرب عام 1865م الذين ضحَّوا بحياتهم في سبيل الوطن). ولاعبو كرة القدم لا يأتون حتى الساعة الخامسة.

الشخص الوحيد الموجود في المكان هو معلّم، يرتدي قميصاً أبيض، وبزّة رياضية زرقاء. يدلُّنا على بيت يبُعدُ نحو 150 متراً، هناك يقطن السيد أباريشيو؛ أول مدربّ لليونيل ميسي.

يفتح أباريشيو الباب بيديه المبلّتين، فهو يُحضّر الطعام لزوجته الكفيفة كلوديا. ومع ذلك، فهو يدعو ضيفه إلى الدخول. أربعة كراسي، كلب أبيض ضخّم، رائحة نتنة تفوح في صالة ضيقة يتوسطها تلفاز كبير. يبلغ سلفادور ريكاردو أباريشيو (ينادونه أبا) الثامنة والسبعين من العمر، لديه من الأبناء أربعة، ومن الأحفاد ثمانية، ومن أبناء الأحفاد أربعة؛ وجهه أعياه الزمن، وشاربه ذاوٍ، جسده ملتوٍ كسلك شائك، وصوته مرتجف كحال يديه.

عمل أباريشيو طوال حياته في سكّة الحديد. وقد ارتدى في شبابه القميص رقم 4 عندما لعب لنادي فورتن، ودرّب الفتيان قبل أكثر من ثلاثين عاماً على ملعب غراندولي الذي يبلغ طوله 40 متراً، وعرضه 5,7 أمتار.

تدرّب على يديه المئات من الأطفال، بمنّ فيهم رودريغو، وماتياس. كان الأخ الأكبر سريعاً قوياً يلعب في مركز الوسط المتقدم. أمّا الآخر فكان يلعب عند خط الدفاع. كانت الجدّة سيليا تصطحبهما إلى التدريب كلّ يوم ثلاثاء وخميس. وفي ظهيرة يوم صيفي، اصطحبت ليو معها.

«كنت في حاجة إلى لاعب لإكمال فريق مواليد عام 1986م. لقد انتظرتُ اللاعب الأخير حاملاً قميصه بيديّ، في الوقت الذي أخذ فيه اللاعبون يقومون بعمليات الإحماء. لكنّ اللاعب لم يأت. وفي هذه الأثناء، كان هناك طفل صغير



يركل الكرة على المدرجات. لقد كان الوقت يمرّ، وقلت لنفسِي: اللعنة... لا أعرف إن كان يجيد اللعب. ولكن... أخيراً، توجّهت صوب الجدة التي بدا عليها الاهتمام اللافت بكرة القدم، قائلاً لها: دعيه يُجربَ حظّه. كانت تودّ رؤيته وهو يلعب. وكثيراً ما طلبت إليّ - من قبل - أن أمنحه فرصةً للعب. وكم مرّة التقيتها، فأخذت تُعدّد لي المواهب التي يمتلكها هذا الفتى الصغير. كانت أمّه أو خالته، لا أذكر تماماً. لم تكن ترغب أن يشارك الآخرين في اللعب، وكانت تقول: إنّه صغير جدّاً، والآخرين ضخام. كنتُ أطمئنها قائلاً: سأقف هنا. وفي حال هاجموه، فسأوقف اللعب، وأسحبه من الملعب».

وهكذا تجري أحداث القصة التي يرويها السيد أباريشيو، لكنّ عائلة ميسي - كوشيتيني تصف الأحداث بأسلوب مختلف. «كانت سيليا هي مَنْ أرغمت أبا على إشراكه عندما لم يأتِ ذلك اللاعب. لم يُعجب المدرّب بتلك الفكرة؛ لأنّ (ليو) كان صغير الحجم. لكنّ الجدة أصرّت قائلة: أشركه، وسترى مدى مهارته. حسناً، أجب أبا، لكنّي سأضعه قرب الخط الجانبي، فإذا بدأ البكاء، فبإمكانك إخراجه من الملعب بنفسك».

لا يوجد خلاف على ما جرى لاحقاً من أحداث. والآن، لنعد إلى رواية المدرّب العجوز: «حسناً... أعطيته القميص، فارتداه. ثمّ جاءت الكرة أول مرّة، نظر إليها... من دون أن يُحرّك ساكناً».

نهض الدون أبا، كما يُلقّب هنا، عن كرسيّه، ثمّ أخذ يُقلّد أصغر أفراد عائلة ميسي في نظرات الدهشة التي اعتلت مُخيّاه، ثمّ جلس مرّة أخرى قائلاً: «إنّه أشول، لذلك لم يتمكن من الوصول إلى الكرة. عندما مرّت الكرة بقدمه اليسرى، تشبّث بها، ثمّ تخطّى أحد اللاعبين، فأخر، فأخر. صرختُ به قائلاً: اركلها، اركلها. لقد كان خائفاً من أن يؤذيه أحدهم، لكنّه واصل شقّ طريقه.





هيسي

لا أذكر ما إذا سجّل هدفًا حينها أم لا. ولكن، لم يسبق لي أن رأيت شيئًا مثل ذلك. قلت لنفسِي: هذا لاعب أصيل، لن أدعه يغادر أرض الملعب أبدًا. لم أقم بتبديله قطّ».

يختفي السيد أباريشيو في غرفة أخرى، ثم يعود حاملًا كيسًا بلاستيكيًا، ويأخذ يُقلّب في شريط ذكرياته. وأخيرًا، يجد الصورة التي يبحث عنها؛ ملعب أخضر، فريق يضم مجموعة من الفتيان الذين يرتدون قمصانًا حمراء، شخص يبدو أنّه أباريشيو أيام الشباب، وأصغر الجميع سنًا. لقد كان يرتدي سروالًا أبيض يصل إلى الإبطين تقريبًا، وقميصًا كبيرًا جدًا، واعتلت قسّمات وجهه ملامح الجدّ والصرامة، وكانت ساقاه منفرجتين. إنه ليونيل؛ يبدو كطائر صغير، كبرغوث، مثلما كان يسميه أخوه رودريغو.

«كان من مواليد عام 1987م، لكنّه لعب مع فريق مواليد عام 1986م. كان أصغر اللاعبين سنًا وحجمًا، لكنّه برز من بين الجميع. لقد عاقبوه من دون رحمة. ومع ذلك، فقد كان لاعبًا مميّزًا، يمتلك موهبة خيالية. لقد وُلِد، وهو يعرف كيف يلعب الكرة. كان الناس يحتشدون لرؤيته كلّمًا كنّا نلعب. لم يكن يعترض طريقه أيّ شيء عندما يستحوذ على الكرة. لقد فعل أشياء لا تُصدّق، ولم يتمكّن أحد من إيقافه. كان يُسجّل أربعة أهداف أو خمسة كلّ مباراة. وقد أحرز يومًا هدفًا في مرمى فريق أمانيسير لا نشاهد مثله إلا في الإعلانات. إنني أتذكّره جيدًا؛ لقد تخطّى الجميع، بمنّ فيهم حارس المرمى. كيف كان أسلوبه في اللعب؟ لقد كان سيّد الملعب، لا يستطيع أحد مجاراته في اللعب، ما أبرز صفاته؟ كان فتى جادًا، يقف دائمًا بهدوء إلى جانب جدّته. لم يكن يشتكي قطّ. كان يبكي أحيانًا إذا تعرّض للأذى، لكنّه كان يقف ويواصل اللعب بعدها. لذا، فأنا أجادل الجميع، وأدافع عنه عندما يُقال: إنّه يحبّ اللعب منفردًا، أو إنّه لاعب عادي، أو إنّه جشع».



تنادي عليه زوجته من الغرفة المجاورة، فيختفي السيد أباريشيو هنيهة، ثم يعود ليكمل حديث الذكريات.

يذكر شريط فيديو أضعاه، يحوي كثيرًا من المباريات المثيرة التي خاضها الفتى. «كنت أعرضه على الفتية؛ لكي يتعلموا ما يمكن القيام به بالكرة». ثم أخذ يتذكّر أول مرة عاد فيها ليو من إسبانيا، وزيارته له: «لقد ساد جوٌّ من الدهشة والإثارة عندما شاهدني. وكنت قد ذهبت صباحًا، ثم عدت في الواحدة ليلاً. أمضينا الوقت نتحدث عن حال كرة القدم في إسبانيا». يذكر أيضًا حفل التكريم الذي أقامه الحيّ لليونيل. فقد أرادوا منحه درعًا في ملعب غراندولي، لكنّ ليو لم يتمكّن من الحضور. ثمّ اتصل لاحقًا ليقول لهم: «أشكركم، ربّما في وقت آخر».

لا ينتاب المدربّ العجوز أيّ شعور بالمرارة في أثناء حديثه عن ليو؛ فكلامه يدلّ على عظم الحبّ الذي يَكُنّه للفتى الصغير الذي درّبه سنوات.

«أجهشت بالبكاء عندما شاهدت - بالتلفاز - هدفه الأول وهو يلعب مع فريق برشلونة. سألتني ابنتي جينوفيفا التي كانت في الغرفة المجاورة: ما الخطب يا أبت؟ قلت: لا شيء. إنّها الفرحة الغامرة التي تسلّلت إلى مكونات نفسي، وجعلتني أشعر بنشوة الانتصار».

يُخرج أباريشيو جوهرة أخرى من كيسه البلاستيكي. إنّها صورة أخرى للفتى الأشقر الصغير، وهو يرتدي قميصًا كبيرًا جدًّا، وقد بدت قدماه قصيرتين؛ ويحمل في يده كأسًا، لقد كان ذلك أول كأس يفوز به في حياته. كان حجم الكأس يُماثل حجمه تقريبًا.

لم يبلغ ليو الخامسة من العمر بعد، لكنّه بدأ - مع ذلك - يشعر بحلاوة الأهداف، ولذّة الانتصارات على ملعب غراندولي. ثمّ يحالفه الحظ في العام





المقبل؛ بأن أصبح والده هو المدرب. فقد قبل خورخي عرضاً من مدير النادي لتدريب أعضاء فريق مواليد عام 1987م، الذين لعبوا أمام فريق ألفي، غريمهم القادم من طرف المدينة الآخر؛ إنهم يفوزون دائماً.

يقول خورخي ميسي، بفخر نابع من كونه أباً أكثر منه مدرباً: «إنهم يُحرزون كلَّ شيء؛ البطولة، والدورات، والمباريات الودية».

نبتعد قليلاً عن كرة القدم للحديث عن المدرسة. فقد اعتاد ليو الذهاب إلى المدرسة رقم 66، وتُدعى مدرسة لاس هيراس الحكومية، وعنوانها 4800 شارع بوينوس آيرس. وكان يصطحبه إلى هناك والدته سيليا، أو خالته مارسيليا، أو الجارة سيلفيا إريانو، والدة سنتيا، صديقة ليو المقربة. لقد كانوا يذهبون مشياً على الأقدام، شاقّين طريقهم عبر الحقول الواسعة، أو من حول أطراف ملاعب كرة القدم الموجودة في الثكنات العسكرية التابعة لكتيبة الاتصالات رقم 121. ولم تكن تستغرق هذه الرحلة أكثر من عشر دقائق.

واليوم، ولدى الاقتراب من البوابة الرئيسية، أمكننا مشاهدة أصغر طلبة الصفوف سنّاً، وهم منشغلون بالرسم. يرتدي اثنان منهم قميص ميسي، في حين يلعب بعض الفتية في سرادق مغطى كبير، مرتدين أطقماً بيضاء، وهم في قمة التركيز. وعلى الرغم من وجود قوائم للمرمى، إلا أنه كان ينقصهم كرة للعب. وقد استعاضوا عنها بكومة من الأوراق البنية التي لُفّت معاً بلاصق.

كان هؤلاء الفتية يتحرّكون على نحوٍ يُشعر الناظر بالدوار، غير آبهين بالحصى المؤذي. وقد امتازوا بمهارة المراوغة، وسرعة الالتفاف، والمحاورة. وما نحن نشاهد ابن خالة ليو، برونو بيانكوتشي من بين اللاعبين؛ وقد تصبّب العرق منه بغزارة، ومال وجهه إلى الحمرة من فرط المجهود والتعب، وتدلّى شعره الأسود على مُخيّاه، وزين شحمة أذنه بقرط أبيض ذي خطوط وردية. ثمَّ



ما لبث أن أخبرنا رفاقه بأنه الأفضل. وقد سبق للصحف أن كتبت الكثير من المقالات في مدحه، والإشادة به، وتوقع أنه سيكون خليفة ليو. أما مدرّبوه فقد أجمعوا على مهارته في اللعب، وعلى موهبته التي تُضارع موهبة ابن خالته، فضلاً عن اتصافه بالخجل مثله. وكان يُصرّح دائماً بأنه يحسد ابن خالته على روح المبادرة التي يمتلكها، وعلى قدرته على تسجيل الأهداف. يلعب برونوفي خط الهجوم أيضاً، وهو يودّ الانضمام إلى نادي برشلونة في يوم ما.

تحلّق عدد من الأطفال حولنا، وكلّ يودّ الإدلاء برأيه بشأن الفتى الذي كان يرتاد مدرستهم حتى وقت قريب. بالنسبة إلى بابلو ذي الأحد عشر ربيعاً فالأمر واضح تماماً: «لديه قدرة ليكون الأفضل في العالم. إنه أفضل حتى من مارادونا. أكثر ما يعجبني فيه هو سرعته، إنه خارق». أما أوغستين ذو التسعة أعوام، فقد راوده شعور بالقلق، وهو قلق يُورِّق حال الكثير من الأرجنتيين: «بدأ مارادونا حياته مع نادي أرجنتينيوس جونيورز. أما ميسي فمع البارسا». بعيد جداً عن هنا من دون شكّ.

وفي المقابل، فإنّ كثيراً من الفتيات اللاتي كنّ يشعرن بالخجل أكثر قرّرن الانضمام إلى التجمّع. وقد كشفت آراؤهنّ عن كثير من التضارب والتعارض؛ فبعضهنّ يعتقدنّ أنه وسيم، في حين تعتقد أخريات أنه قصير جداً.

حان الآن وقت الاستراحة، فأخذ التلاميذ الصغار يطاردون بعضهم بعضاً حول شجرة معمرة. ويوماً ما، كان ليو يراوغ حول جذع هذه الشجرة الضخم في أثناء مطاردة الكرات المصنوعة من الوزق والبلاستيك. إنّ أجمل الذكريات بالنسبة إليه - في تلك السنوات - كانت لعب كرة القدم بأيّ أداة أو شيء متوافر آنذاك. وقد صرّح مراراً أنه لم يكن متعلّقاً بالدراسة.

أكدت هذه المعلومة مونيكا دومينا؛ المعلمة التي درّسته من الصف الأول





حيسي

إلى الثالث، بقولها: «لم يكن ليو مجتهداً في الدراسة، لكنّ مستواه كان مقبولاً. وقد واجه صعوبة في القراءة بداية الأمر. لذا، نصحت والدته بأخذه إلى اختصاصي نطق. لقد تمكّن من التحسّن شيئاً فشيئاً في بقية المواد، مع أنّه لم يُحقّق نتائج متقدّمة. كان ليو طفلاً هادئاً لطيفاً خجولاً، ولم يسبق لي أن شاهدت طالباً خجولاً مثله طوال حياتي المهنية. لقد كان مُقلّاً في حديثه، لا يتكلّم إلاّ إذا خاطبه أحدهم، وكان يجلس بهدوء في مقعده آخر غرفة الصف. وفي المقابل، كان أكبر الطلبة سنّاً يتنافسون معه على المشاركة في البطولات التي تشارك فيها جميع المدارس في مدينة روزاريو. لقد كان ماهراً بطبيعة الحال، وتمكّن من نيل كثير من الكؤوس والميداليات، لكنني لم أسمع يوماً يتفاخر بطريقة لعبه أو أهدافه».





الفصل الرابع

كما هو الحال دائماً

حوار مع صديقة الطفولة



عيناها زرقاوان برّاقتان، وتقاسيم وجهها جميلة، وجسمها نحيل. كانت تقطن في منزل متواضع يقع عند ممرّ إيبانيث، ويحمل الرقم 510، حيث اعتادت أن تستقبل فيه زائريها بابتسامة عذبة. كان هناك أيضاً كلب أسود يهزّ ذيله، ويتفحص الوافد الجديد قبل أن يغادر غرفة الجلوس الفارغة مُتّجّهاً إلى الباحة التي تقع خلف باحة منزل عائلة ميسي.

تقول سينتيا (صديقة ليومنذ الصغر): «والدي ووالدته مثل الأخوات». وقد حملت سيلفيا إريانو بسينتيا في الوقت نفسه الذي كانت فيه سيليا حاملاً بليو. تشرح سيلفيا هذا الأمر قائلة: «كنا نرافق بعضنا على الدوام؛ إذ اعتدنا أن نذهب إلى التسوّق معاً، ونتكلّم عن مستقبل أبنائنا؛ فسينتيا هي بكري. لقد كنت أنا وسيليا صديقتين حميمتين».

تضع كوباً من الصودا على الطاولة، ثم تأخذ تحاور ابنتها الكبرى صاحبة الاثني والعشرين عاماً، التي صاحبت ليوفي مرحلتي الحضانة والروضة، فضلاً عن مرحلة الدراسة الابتدائية، ناهيك عن مشاركته الاحتفال بأعياد الميلاد والحفلات والمباريات.





بماذا تميّز ليو في صغره؟

«لقد كان خجولاً جداً وقليل الكلام، ولكنّه كان مُتألّقاً عند لعب الكرة فقط. أتذكّر أوقات الاستراحة عندما كان رؤساء الفرق يختارون أفراد الفريق ويختلفون؛ لأنّ كلاً منهم يرغب في ضمّ ليو إلى فريقه؛ إذ اشتُهر بتسجيله الكثير من الأهداف. وبذا، فإنّ وجوده مع أيّ فريق يضمن له الفوز. لقد كان شغوفاً بكرة القدم، وكثيراً ما تخلف عن المشاركة في حفلات أعياد الميلاد لحضور مباراة أو تمرين».

كيف كان في المدرسة؟

«لقد كنّا نعتبه ببيكيه (الثمرة الصغيرة)؛ لأنّه كان أصغرنا حجماً. لم يكن ليو يحبّ اللغات ولا الرياضيات، لكنّه كان ماهراً في مواد التربية البدنية والفنون».

يقولون: إنك كنت تساعدينه...

«هذا صحيح، أحياناً... فقد كان يجلس خلفي أيام الامتحانات، ويسألني عن إجابة أيّ سؤال غير متأكد من إجابته. وكنت حينها أغافل المعلمة وأمرّ له مسطرتي أو ممحاتي، التي كتبتُ الإجابة عليها. كنّا أيضاً نحلّ واجباتنا المنزلية وقت الظهيرة معاً دائماً».

بعد ذلك، تفرقتما في المرحلة المتوسطة، وذهب ليو إلى برشلونة...

«حقاً، فقد بكينا جميعاً في ذلك الصيف حين غادر وعائلته إلى إسبانيا. لم أصدّق ما جرى، وكنتُ على وشك فقدان أعزّ أصدقائي. وكثيراً ما كانت تتابنا مشاعر جيّاشة حين نتحدّث بالهاتف، وكنت أشعر في هذه الأثناء أنّه يجد العيش في أوروبا أمراً صعباً. ولكن، عندما عاودنا الاتصال والتحدّث مرّة





أخرى، أدركت أنّ هذه الرحلة تُمثّل تجربة مهمة بالنسبة إليه، فقد ساعدته على النضج بصورة كبيرة. لقد كان هذا الأمر مرهقاً ومحبطاً لعائلته، لدرجة أنّ سيليا وماريا سول عادتا إلى هنا. وقد أسرّ لي أنّه ألف الأمر هذا؛ لأنّه كان يلعب كرة القدم مع فتية من أبناء جيله. فقد كان ذلك أمراً أساسياً بالنسبة إليه. أراد ليو أن يصبح لاعب كرة قدم، ونجح في ذلك حقاً».

تغادر سينتيا الغرفة، ثمّ تعود حاملة ملفاً مليئاً بالصور وقصاصات من الصحف. تُظهر إحدى هذه الصور الاثنين معاً حين كانا طفلين؛ ليو يرتدي مريولاً أزرق وبجانبه دمية، ومن ورائهما دمية تُمثّل عروساً ضخمة، وبجانبه سينتيا، ذات الشعر المجدول، وهي ترتدي حفاظة. هناك صورة أخرى تجمعهما بأقرانهما في الحضانة عام 1992م، يظهر فيها الجميع وهم يرتدون زياً أزرق اللون.

نشاهده في صورة أخرى متأنقاً لحضور المهرجان (الكارنفال)، وهو يرتدي خوذة شرطي، ويضع شارباً مزيفاً، في حين ترتدي سينتيا ثوباً أبيض، وتضع نظارة كبيرة على عينيها.

أمّا بالنسبة إلى قصاصات الجرائد فتحمل عناوين عدّة، مثل: مارادونا الجديد، وميسي الخارق، ومن أيّ كوكب أتيت، وصولاً إلى العناوين التي نُشرت في شهر تموز من عام 2005م، حين فاز برفقة المنتخب الأرجنتيني بكأس العالم لفئة الشباب دون سنّ العشرين.

«لقد أشرفتُ شخصياً على تنظيم الحفلة التي أقيمت هنا في الحيّ؛ إذ مررنا بالجيران كافة، وجمعنا المال اللازم لشراء النشار⁽¹⁾ والألعاب النارية

(1) قطع من الأوراق الملونة تشر على العروسين (المراجع).





والطلاء. وقد كتبنا: «ليو، فخر الأمة» بطلاء أبيض على الأرض، ثم رفعنا لافتة على أعمدة الشارع تقول: «أهلاً بالبطل».

كان من المفترض أن يصل الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وقد حرص سكان الحيّ جميعاً على استقباله، مع أنّ الفصل كان شتاءً، والبرد قارساً، لكنّ ليو لم يصل. فعاد بعضهم إلى دياره من جرّاء التعب. أمّا نحن فقد بقينا ننتظر حتى الساعة الخامسة صباحاً، وحينئذٍ دخلت شاحنة بيضاء الشارع مُطْلِقَةً العنان لبوقها. في تلك اللحظة، أُضِيَّت كاميرات التصوير جميعها. ثمّ بدأ الناس بالصراخ، وإطلاق الألعاب النارية، وقرع الطبول مُنشدّين «ليو هنا، ليو هنا». لقد كان مرهقاً، ولم يكن يتوقّع أن يحظى بمثل هذا الاستقبال، لكنّه كان سعيداً جداً.

ثمّ أخذنا نُقلّب قصاصات وصوراً أُخرى لليو، ولفّت انتباهنا بعض التعليقات الشديدة اللهجة التي انتقدته على إثر مباراة الأرجنتين وألمانيا في كأس العالم عام 2006م، مُذَيِّلة بصورة يظهر فيها جالساً وحده على الدكة.

«لقد نعتوه بالتسرّع والانفعال، وعدم التعاون مع الفريق. لقد تكالبوا عليه، لكنّه لم يكن كذلك. لا يمكن لأحد أن يعرف مكونات نفسه ومشاعره إذا لم يعرفه أو يخالطه بصورة شخصية. يميل ليو إلى الانعزال إذا لم يُحسّن اللعب جيداً، فينسحب، مبتعداً عن الجميع. إنّه يتصرّف على هذا النحو منذ زمن؛ حتى معي أنا. لقد كان من المستحيل معرفة مشاعره الداخلية. ولكن، على الرغم من ذلك، فقد نجح دائماً في رسم الابتسامة على مُعَيّاي».

هل تغيّر فيما بعد؟

«لا، فقد ظلّ كما عهدته؛ خجولاً، وهادئاً. إنّه ليو نفسه الذي ترعرعت معه. الفرق الوحيد هو أنّه كان - فيما مضى - يأتي إلى هنا، ثمّ يركب درّاجته





الهوائية متوجّهاً صوب البلدة. أمّا الآن فهو يقود سيارة؛ لأنّ الناس لا يدعونه وشأنه. إنّه لا يكاد يتخيّل الصخب والتزاحم الذي يتولّد لحظة حضوره. فقد أضحى مَنْ كانوا - في يوم ما - فقط جيرانه وسكّان حيّه، من أشدّ المعجبين به، الذين يحرصون على التقاط الصور معه. أمّا المشجعون فقد كانوا ينتظرون أمام بيته لإلقاء التحية عليه. في حين يرغب الأولاد كافة في أن يصبحوا مثله. وكثيراً ما يعتريني شعور بالدهشة حين أسمع تعليقات الآخرين، وهو يلعب في إسبانيا، أو مع المنتخب الوطني. لذا، فعندما يسألني أحد عنه، أوثر السكوت؛ فأنا لا أريد أن يعتقد أحد ما أنّني أسعى إلى نشر الأقاويل عنه، أو أحاول جذب الانتباه إليّ. قطعاً لا، فليو بالنسبة إليّ إنسان متواضع، وصديق قديم، ولا يزال غير قادر على إدراك الشهرة التي نالها».





الفصل الخامس

عاشق نادي نيولز

الالتحاق بنادي نيولز في الحادي والعشرين من آذار عام 1994م



راؤول: «لطالما كان هناك كثير من الأرجنتينيين الطبيعيين من حولي، مثل: فالدانو الذي منحني فرصة اللعب مع ريال مدريد أول مرّة، وروندو، والأرجنتينيين الذين لعبوا معي في الفريق. وكلّ هؤلاء تربطني بهم علاقة وطيدة. أتمنى لو أזור الأرجنتين قريباً لأستمع بكرة القدم هناك. أريد أن أشاهد مباراة لنادي بوكا جونيورز، أو ريفر بلايت».

«أو نيولز»، يضيف: ميسي بصوت خافت. لا يفوت (البرغوث) أيّ فرصة للتأكيد على عشقه للفريق الذي يرتدي اللونين: الأحمر والأسود، لدرجة أنّه ذكر الفريق الذي يعيشه في حدث إعلامي جمعه بالقائد السابق لنادي ريال مدريد (صاحب الرقم 7 وفي نادي شالكه الألماني 04). ويعدّ هذا الأمر حدثاً طبيعياً؛ فالعائلة بأكملها تعشق نادي نيولز، ولعب والده خورخي مع فريق النادي مُدّ كان في سنّ الثالثة عشرة حتى التحاقه بالخدمة العسكرية. لقد لعب في خط الوسط، وكانت لديه مهارات فائقة في كشف الملعب، وميول دفاعية أكثر منها هجومية، لكنّه لم يلعب ضمن فئة المحترفين. وقد انضم رودريغو أيضاً إلى مدرسة كرة القدم بالنادي في سنّ السابعة، ثمّ تبعه ماتياس في ذلك.





ميسي

وصل ليو من ملعب غراندولي مباشرة عام 1994م، حيث يعرفه كشافو النادي حق المعرفة. وكانوا قد طلبوا من أشقائه مقابلته وتعريفهم به للتحقق من صحة ما يشاع عن موهبته الفذة، وقد أسفر ذلك الأمر عن تمكن أصغر أفراد عائلة ميسي من لعب ثماني مباريات ضمن تشكيلات عدّة من فرق الرديف التابعة للنادي، وقت الظهيرة والمساء على مدار شهر كامل.

لقد كان اختبارًا مكثفًا، لكنّ ليو لا يُخيّب الآمال. فقد رأى المدربون في نادي نيولز أنّه خارق للعادة، وأوصوا بضمّه إلى مدرسة مالفيناس لكرة القدم التي ترعى اللاعبين الصغار. لم يكن ليو قد بلغ السابعة من العمر بعد؛ ما حتم على إدارة النادي أخذ موافقة الأهل، وهو أمر لن يُشكّل معضلة؛ نظرًا إلى شغف العائلة بكرة القدم.

يسرد أباريشيو، المدربّ العجوز، الأحداث في ملعب غراندولي قائلاً: «جاءني والده، وقال لي: سأأخذه لنادي نيولز. ماذا عساي أقول في تلك الحالة؟ حسنًا... فلتأخذه إذن!».

في الحادي والعشرين من شهر آذار عام 1994م، أصبح ليونيل أندرياس ميسي، صاحب الرقم 992312، عضوًا في نادي نيولز أولد بويز الرياضي.

يُعدّ ناديًا نيولز، وروزاريو سنترال الغريميّين التقليديّين اللذين ينقسم عليهما أهل روزاريو. أُسس نادي روزاريو سنترال الرياضي في الرابع والعشرين من كانون الأول عام 1889م، وحمل اسم نادي سنترال أرجنتين ريل واي الرياضي (الشركة الرئيسة لسكك الحديد في الأرجنتين) الذي أطلقه عمال سكة الحديد الإنجليز الذين كانوا يعملون لدى الشركة. وكان أول رئيس للنادي هو كولن باين كالدر. ثمّ تغيّر اسم النادي لاحقًا بعد دمج شركتي فيروكاريل



سنترال أرجنتينو، وبوينوس آيرس لسكك الحديد عام 1903م. ومنذ ذلك الحين، أصبح يُعرَف باسم نادي روزاريو سنترال الرياضي.

يمتاز لباس هذا النادي بلونيه: الأزرق، والذهبي. وقد خرج من لدنه كثير من اللاعبين الكبار، أمثال: ماريو كيمبس، ولوتشيانو فيغاروا، وخوزيه تشاموت، وكريستيان غونزاليس، وروبرتو أبودنزيري، وروبرتو بونانو، وسيزار دلغادو، ودانييل ديات، ودانييل بيدرو كيلر، وخوان أنتونيو بيتزي، وسيزار لويس مينوتي.

يُعدُّ أرنستو تشي غيفارا أحد أبرز مشجعي النادي، وقد وُلِدَ في روزاريو في الرابع عشر من حزيران عام 1928م، وكان أول بيت يقطن فيه هو شقّة في شارع إنترى ريوس تحمل الرقم 480. وفي مكان ليس بعيداً عن تلك الشقّة، توجد جدارية رسمها الفنان ريكاردو كارباني تخليداً لذكرى (تشي)، في ساحة كوبراسيون (التعاون) بالمدينة.

أمّا روبرتو فونتانا روسا الملقب بالنيغرو فيُعدُّ هو الآخر أحد المشاهير المناصرين للنادي، وأحد أعظم فناني الرسوم الساخرة (الكاريكاتير) والكتّاب في البلاد، لكنّه توفي عام 2007م.

تأسّس نادي نيولز في الثالث من تشرين الثاني عام 1903م، وقد أشرف على تأسيسه كثير من الأساتذة والطلبة وخريجي المدرسة الإنجيلية التجارية الأرجنتينية، التي أسّسها أيزاك نيول، المولود في مقاطعة كنت بإنجلترا، في روزاريو عام 1884م. تقول الأسطورة: إنّه كان أول مَنْ أحضر الكرة الجلدية وقوانين كرة القدم الرسمية إلى الأرجنتين.

بدأ الطلبة في مدرسته - بمنّ فيهم ابنه كلاوديو، مسؤول الترويج في النادي - لعب كرة القدم، ثمّ قرّروا بعد ذلك تأسيس النادي. وبذا، فقد سُمّي





هيسي

النادي بنيولز أولد بويز (أبناء نيول القدماء)؛ تكريماً للأب المؤسس، وهو يمتاز بلباسه ذي اللونين: الأسود، والأحمر.

يغيب مشجعو نيولز نظراءهم من مشجعي روزاريو سنترال بحقيقة مفادها أنّ ديفغو أرماندو مارادونا لعب لنيولز في يوم من الأيام؛ حتى لو اقتصر الأمر على خمس مباريات رسمية واثنتين ودّيتين. كان ذلك عام 1993م، بعد أن عاد (الفتى الذهبي) من رحلة احتراف في أوروبا بدأها مع نادي برشلونة، وانتقل من هناك إلى نادي نابولي، ثمّ أنهاها في نادي إشبيلية. وباستثناء ديفغو، لعب للنادي كثير من الأسماء البارزة، أمثال: غابرييل باتسيتوتا، وخورخي فالدانو، وأبل بالبو، وماكسي رودريغز، وسيرخيو الميرون، وموريسيو بوكوتينو، وخوان سيمون، وروبرتو سنسيني، وخورخي غريفا، ووالتر صامويل، وأميريكو غاليخو، ومارتينو الملقب بتاتا.

يُذكر أنّ أنصار النادي يلقّبون بالمجدومين. إنّهُ شيء غريب لكنّه واقعي. وهو لقب ينطوي على إساءة، لكنّه أصبح مع مرور الزمن أحد رموز النادي. ولأنّ هذا الأمر يحتاج إلى تفسير، فقد عمد أنصار نادي نيولز إلى توضيح ذلك عن طريق الموقع الإلكتروني الذي أنشئ بمناسبة مرور مئة عام على ممارسة لعبة كرة القدم في النادي.

وبناءً على رواية أجدادنا - التي تُعدّ أسطورة متداولة منذ زمن بعيد - أرادت اللجنة الخيرية النسائية بمستشفى كاراسكو إقامة مباراة خيرية يذهب ريعها لعلاج المرضى الذين يعانون مرض هانسن، أو كما هو معروف بين الناس بمرض الجذام.

ارتأت اللجنة تنظيم مباراة لأكبر فريقين في مدينة روزاريو. لذا، جرى مخاطبة المسؤولين في كلا الناديين للحصول على موافقتهم لإقامة المباراة.



قبل نيولز الدعوة فوراً، لكنّ الطلب جوبه بالرفض من سنترال؛ ما يُعدّ أول إشارة إلى المشكلات التي ستحلّ بالنادي الذي يتميّز لباس لاعبيه باللونين: الأزرق، والذهبي. أصبح أنصار سنترال بذلك يوصفون بأنذال المدينة؛ وذلك جعل أنصار فريق الأحمر والأسود يشتمون بهم. ولكن أنصار سنترال ردّوا على ذلك بقولهم: لأن أنصار نيولز متحمسون جدّاً للعب تلك المباراة تحديداً، فلا بُدّ أنّ سبب ذلك هو إصابتهم بالجذام. ومن حينها بدأ أنصار نيولز يلقّبون بالمجدومين، في حين نُعت أنصار سنترال بالأنذال. ومع أنّ تلك القصة أصبحت من أكثر القصص انتشاراً على مرّ السنين (قد تكون حقيقية فعلاً)، ولكن لدى كبار السنّ في روزاريو تفسير مختلف للسبب الذي دفع الناس - منذ الأزل - إلى تسمية أنصار نيولز بالمجدومين؛ حتى قبل تأسيس النادي مطلع القرن العشرين، حين كان يُدعى مؤسسة روزاريو التعليمية فحسب.

تقول القصة: إنّ القضية تدور حول واقع كان سائداً في ذلك الزمن، يتمثّل في عدم وجود أسوار عالية تفصل بين البيوت في أحياء روزاريو، واعتياد الجيران تجاذب أطراف الحديث مع بعضهم بعضاً من فوق الأسوار بالوقوف على أطراف أصابعهم، أو بالصعود على مناضد بجانب السور المذكور أعلاه. وهذا يعني - من ناحية أُخرى - أنّ انتشار الجذام بين شريحة واسعة من السكان كان أمراً سهلاً، ولم تُستثنَ روزاريو من هذا الوضع. ونظراً إلى خطورة هذا المرض، الذي ظهر منذ غابر الأزمان؛ فقد كان يُعزّل كلّ مَنْ يصاب به، ويوضع في مكان بعيد بمنأى عن مرأى الآخرين ومخالطتهم.

ولأن الماريّنَ بمحاذاة مدرسة السيد آيزاك نيول، يلاحظون السور الضخم الصُّلب الذي يحيط بها، فقد أصبح لديهم اعتقاد راسخ بأنّ المكان مليء بمرضى الجذام المعزولين بعيداً خلف هذا السور. لذا، وبناءً على كلتا القصتين، أصبح أنصار نيولز أولد بويز يُعرّفون بالمجدومين.





هيسي

ذلك هو اللقب الذي سيُلازم ليونيل عندما تجري معه صحيفة لا كاييتال - التي تصدر في روزاريو- حوارًا للمرّة الأولى. فبعد مرور ستة أعوام على تلك القصة، وبعد خوض ست بطولات للفريق الريدف، وإحراز نحو 500 هدف، ها هو ذا يحصل على شرف الظهور في الصحافة المحلية.

لوحات جدارية باهتة لفريق الأحمر والأسود، وعبارة (قوة المجذومين) مكتوبة على قبضة مرسومة على أحد الأسوار، لا بُدَّ أنه من عمل الأنصار المشاغبيين. ثم نجد فوق الحاجز لافتة تقول: «مدرسة مالفيناس لكرة القدم في نادي نيولز أولد بويز».

أرضية الملعب في حالة يرثى لها، لكنّ ذلك - على ما يبدو- لا يُزعج الأطفال الذين يلعبون هناك. يتعيّن عليهم بذل قصارى جهدهم؛ فالمدرّبون في النادي قد جاؤوا لإجراء التجارب. سرير صدئ مهجور في الزاوية بجانب غرف تغيير الملابس. وعلى الجانب الآخر، على طول جادة فيرا موخيكا، يوجد ملعبان آخران مهجوران أيضًا. يقول بعضهم: إنّ الأموال التي يجنيها النادي من بيع التذاكر الموسمية والعادية، وبيع عدد كبير من اللاعبين للأندية خارج الأرجنتين؛ لا تُستغلّ هنا في المدرسة، حيث تُدرّب الأجيال اليافعة. ذلك أمر جليّ للعيان؛ مع أنّ الواقع لم يختلف كثيرًا عن تلك الأيام حين لعب ليونيل أول مواسمه مرتديًا القميص ذا اللونين: الأحمر والأسود. قد يُعزى الأمر ببساطة إلى وجود حماس أكبر في الماضي؛ أشخاص أكثر يعملون بصدق، ومدبرون يرضون بمال أقل. لندع عنّا ذلك، ولننحدّث عن ذلك العام، حين بدأ على نحو جيد، وانتهى بخسارة على يد تيرو سويزو بنتيجة 0-3. نعم، لقد خسر الفتية اللقب، لكنّهم تعلموا من أخطائهم، بدليل خسارتهم مباراة واحدة فقط في المواسم الأربعة التي أعقبت ذلك، كانت على يد زملائهم في التدريب، فريق نيولز ج.





حصل الفريق على لقب (ماكينات 87) بفضل تلك النتائج المذهلة. وكان أكبر مصدر للرضا بالنسبة إلى ليو، هو الكأس التي تشبه الدلفين، والتي حصل عليها الفريق بعد فوزه بلقب دورة كانتولا التي أقيمت في العاصمة البيروفية ليمّا عام 1996م.

شارك في هذه الدورة أكثر من 25 فريقًا، تُمثّل دولة كلّ من: الأرجنتين، وتشيلي، والإكوادور، وكولومبيا. وقد تمكّن فريق نيولز من الظفر باللقب في نهاية المطاف. وفي المقابل، استحوذ ميسي الصغير على اهتمام وسائل الإعلام بالحيل التي قام بها باستخدام الكرة، فضلًا عن أمور أخرى. كان ليوي يقوم بركل (تنطيط) الكرة عاليًا في أثناء التدريبات وقبل المباريات من باب الترويح عن نفسه. وقد لفتت هذه المهارة انتباه الجميع؛ حتى كبار مسؤولي النادي، لدرجة أنّه سرعان ما طُلب إليه - مرّات عدّة - الترفيه عن الجماهير في أثناء استراحة ما بين الشوطين في مباريات الفريق الأول. وكانوا حينها يعلنون عن اسم ميسي بوساطة مكبّرات الصوت، فيخرج من بين المدرّجات، ويُعذّ الخطأ حتى يصل منتصف الملعب لاستعراض بعض الحيل بالكرة، ويُبهر الجمهور بحركاته. وفي تلك الاستراحة التي تخلّلت الشوطين، وقعت عيون المجذومين أول مرّة على مَنْ سيُشار إليه - في يوم من الأيام - بليونيل ميسي العظيم.

يتذكّر المدرّب الثاني لليوفي نادي نيولز، أرنستوفيكيو، الأمر وهو محاط بالسيارات الأمريكية القديمة في ورشة التصليح خاصته، قائلاً: «لقد كان خارقًا وحكيًا. فإضافة إلى سرعته، ودقته في تمرير الكرة، كان يلعب من أجل زملائه في الفريق، على الرغم من قدرته على تخطّي نصف فريق الخصم وحده.





هيسي

أذكر مرّة أنه تلقّى الكرة من حارس المرمى في المنطقة الخلفية لملاعب المدرسة الرئيس، ثمّ ركض على طول الملعب كلّهُ، حتى تمكّن من تسجيل هدف خيالي. لم يكن ليوفي حاجة إلى تعلّم أيّ شيء. فهل يحتاج لاعب مثل مارادونا أو بيليه إلى التعلّم لإحراز هدف؟ توجد بعض الأمور البسيطة فقط التي يتعيّن على المدربّ التركيز عليها.»

وقد تبيّن أنّ الأيام حُبلى بكثير من الذكريات المرتبطة بهذين العامين اللذين درّب فيكيو فيهما ليو، من سنّ التاسعة حتى سنّ الحادية عشرة. من ذلك، دورة بالكيرس التي أطاح فيها فريق نادي نيولز من مواليد عام 1987م بفرق مثل بوكا جونيورز، وأندبندينتي، وسان لورينزو.

يقول لوتارو فورميكا، أحد مدافعي فريق ليو: «لم تكن الكرة تأتي باتجاهنا. أذكر أنّ روداس وميسي كانا يدمران الفرق المقابلة. كان الخصوم يتعدون عن ميسي حين يحصل على الكرة. وكنا نحن - معشر المدافعين - نشعر بالملل في بعض الأحيان.»

وفي المقابل، كان حال النجم الآخر في الفريق، غوستافو أربيل روداس الملقّب ببيلي، مغايرًا لحال ليو. وقد مثّلت حالته دليلًا على أنّ موهبة اللاعب الطبيعية لا تكفي وحدها لتحقيق النجاح.

ينحدر ببيلي، لاعب خط الوسط المهاجم في فريق 86، وصاحب القدرات الفنية العالية، من روزاريو أيضًا، لكنّه وُلد في إحدى البلدات المليئة بالأكواخ. أصبح هذا اللاعب بديلًا في الفريق الأول لنادي نيولز، ورزق مولوده الأول وهو في سنّ الرابعة عشرة. ثمّ لعب ضمن الفئة الأولى أول مرّة عندما كان في سنّ السادسة عشرة، حيث توفّع له الجميع مستقبلاً مشرقًا. والآن، وبعد أن أصبح لديه طفلان، وبلغ سنّ الثانية والعشرين؛ طواه



النسيان. يشرح فيكيو هذا الأمر قائلاً: «يحدث ذلك لكثير من اللاعبين الذين ينحدرون من العشوائيات وبؤر الفقر. ومع أن كرة القدم تساعدهم على نسيان البؤس الذي كان يلف حياتهم، فإنهم يعودون إلى العشوائيات إذا لم يتكيفوا مع الأمر لاحقاً، فضلاً عن وقوعهم في مستنقع الكحول والمخدرات والإحباط. ومما لا شك فيه أن تلقى التعليم يُعدّ علامة فارقة؛ فقد حظي ليو - على سبيل المثال - بأب وأم قاما بدعّمه ومساعدته ليصبح على ما هو عليه اليوم. وأنا أؤمن كثيراً بأن توافر الأجواء العائلية المستقرة، أحد أسباب النجاح للاعب كرة القدم».

لدى أرنستو فيكيو متسع من الوقت ليخبرنا بقصة أخرى؛ تُعدّ أكثر قصصه لفتاً للانتباه، حيث يقول: «كنّا نلعب أمام فريق من فنتنا يُدعى توريتو. وكان ليو وقتئذٍ مريضاً، ولم أشأ أن أشركه في المباراة، فأبقيته على الدكة. كانت المباراة على وشك أن تنتهي، وكان فريق الخصم متقدماً بنتيجة 0-1، فاقتربت من ليو مخاطباً إياه: هل لديك قدرة على اللعب؟ فهزّ رأسه بالإيجاب، ثم أخذ يقوم ببعض تمارين الإحماء. وقبل أن يدخل، صرخت قائلاً له: أريدك أن تحقّق الفوز للفريق! وهذا ما حصل فعلاً؛ فقد أحرز ليو هدفين خلال خمس دقائق، وغير النتيجة لمصلحتنا».

وقد لا يكون مُستغرباً معرفة أنّ (البرغوث) كان يُسجّل نحو مئة هدف كلّ موسم.

فعام 2000م، لعب ليو ذو الثلاثة عشر عاماً بطولته العاشرة والأخيرة مع ماكينات 87، وكان مدرّبهُ آنذاك أدريان كوريا. وقد فاز فريقه في تلك البطولة على ملعب بيلا فيستا، حيث تدرّب الفريق الأول. حينها؛ أي في الثالث من أيلول، وقبل أسبوعين من السفر إلى برشلونة، نشرت صحيفة لا كاييتال أول مقابلة





ميسي

معه في صفحتين بعنوان: «ليونيل أندرياس ميسي، مجذوم صغير بمهارات كبيرة». أمّا المقدّمة فكانت كالآتي تقريباً: «إنّه لاعب من الدرجة العاشرة، وصانع ألعاب الفريق. إنّه ليس لاعباً واعدّاً في نادي نيولز فحسب، بل هونجم أمامه مستقبل باهر؛ فعلى الرغم من قصر قامته، لكن يستطيع تجاوز لاعب واثنين، والتغلّب على المدافعين كافة، ثمّ تسجيل الأهداف، والأهم من هذا كلّهُ، هو شعوره الغامر بالسعادة والمتعة في أثناء اللعب».

وفيما يأتي وابل من الأسئلة التي طُرحت عليه، يعقبها بعض من إجاباته:

مَنْ مَثُلَكَ الأَعلى؟ أبي، وعَرَابي كلاودييو.

مَنْ اللّاعِبُونَ المفضّلُونَ لَدَيْكَ؟ شقيقِي، وابن خالتي.

ما اسم فريقك المفضّل؟ نيولز.

ما أبرز هواياتك؟ الاستماع إلى الموسيقى.

ما كتابك المفضّل؟ الكتاب المقدّس.

ما اسم فيلمك المفضّل؟ بيبيز داي أوت.

أَيُّ المهن تُحبُّذ لولم تكن لاعباً؟ مدرس تربية بدنية.

ما هدفك الرئيس؟ إنهاء مرحلة الدراسة الثانوية.

ما طموحك؟ أن يصبح فريقِي من فرق الدرجة الأولى.

ما أسعد اللحظات في حياتك؟ فوز فريقِي ببطولة الدرجة العاشرة.

ما أتعس اللحظات في حياتك؟ وفاة جدتي.

ما حلمك؟ اللعب في الفريق الأول بنادي نيولز.





ما أجمل ذكرياتك؟ أول مرّة ذهبت فيها مع جدتي للعب الكرة.

ماذا يعني لك التواضع؟ أمر لا يجب أن يفقده الإنسان.

ماذا يعني لك نيولز؟ كلّ شيء، الأفضل.





الفصل السادس

أسطورة

حوار مع لاعب ومدرب



لا يزال التلفاز في الغرفة يعرض كثيرًا من الأحداث والمشاهد المتتالية، وإلى جانبه جهاز حاسوب مُضاءة شاشته حتى هذه اللحظة.

إنّ أدريان كوريا، اللاعب السابق في نادي نيولز، والمدرب السابق لفريق الشباب في النادي نفسه، هو الآن في إجازة، وهو يمارس عمله من البيت. وقد تبيّن أنّ استعادة شريط الذكريات المتعلّق بأحد لاعبيه السابقين، كان أمرًا مُحببًا لنفسه.

نبدأ حديثنا عن شعورك حينما شاهدت لعبه أول مرّة.

«كان هناك كثير من الحديث حينها عن ليوناردو ديببتريس، وهو فتى أشقر صغير غادر للانضمام إلى نادي آي سي ميلان عندما كان في الحادية عشرة من عمره. كان الجميع يتبادلون أطراف الحديث عن أمور رائعة قام بها، لكنني كنت أخالفهم الرأي. كنت أقول دائمًا لأحد أصدقائي: «سيكون أداء ليو أفضل بعشر مرّات من أداء ديببتريس؛ حتى إنّه سيتفوّق على مارادونا حين يكبر. علمًا بأنني من أشدّ المعجبين بمارادونا».





أنى لك أن تكون متأكدًا من تحقيقه النجاح، مع أنه كان لا يزال في سن

الثانية عشرة؟

«لا شكّ في أنّ كلّ مَنْ يرى هذا الفتى سيُخَيِّلُ إليه أنه لا يجيد لعب كرة القدم؛ فليوقصير القامة، طري العود، صغير البنية. ولكن، سرعان ما يتبيّن أنّه ولد مختلف عن الآخرين، وأنّه يُمَثِّلُ ظاهرة، وأنّه سيُحَقِّق إنجازات عظيمة. لماذا؟ لأنّه كان طموحًا متحفزًا، يملك قدرة على التحكّم في الكرة قلّ نظيرها. إنّه مثل سيارة الفيراري التي تسابق في فئة الفورميولا 1. لقد كان دائمًا يتوقّع الخطوة الواجب اتخاذها لاحقًا، فضلًا عن مهارته في المحاورة والمناورة رجالًا لرجل. لقد كان يصرع خصومه، ويسيطر على الكرة بصورة كاملة، ويبقيها دائمًا على الأرض مُلتصقةً بقدمه.

لقد تجاوز بمهاراته الفنية الكبارَ الذين لم يُتِقِنُوا بعدُ القدرةَ على التحكّم الجيد، والتناسق في الحركات. ومع أنّ طوله كان لا يتعدّى 1,2 متر فقط، لكنه كان يقهر المدافعينَ الذين تصل أطوالهم إلى 1,8 متر. لقد كان حقًا علامة فارقة. وتميّز بقدرته الفائقة على التحكّم في أعصابه؛ وبطموحه ورغبته الجامحة في الفوز، ولا شيء غيره. لذا، فقد كان حريصًا على ألاّ تنتهي نتيجة أيّ مباراة على نحوٍ مغاير لما حَطَّطَ له.»

في أيّ أجزاء الملعب كان يُفَضِّلُ اللعب؟

«خلف المهاجمين. كنت أتبع خطة 2-1-3-4؛ نظرًا إلى وجود لاعب حرّ، أو صانع ألعاب تحت قيادتي. لقد كان يُبهر الجميع - في أثناء المباريات - بأدائه ومهاراته التي يصرع بها الخصوم. ولأنهم كانوا على علم بقدراته، فقد حاولوا إيقافه مرارًا، وكثيرًا ما تعرّض للركل من كلّ حذب وصوب، لكنّه لم يكن يتأثر أو يشتكي، بل زاده ذلك إصرارًا على المواصلة؛ فكلّما ازدادوا شراسة معه، كانت





مقاومته لهم تزيد. وقد أمكن له الوصول -مرّات عدّة- إلى مرمى الخصم بسرعة فائقة. وفي واقع الأمر، لقد كان يُحقّق لنا الفوز وحده؛ حتى إنّ المحيطين بي كانوا يقولون دائماً: «أنت لا تحتاج إلى توجيه الفريق عندما يكون ليو في الملعب».

هل تذكر هدفاً مميّزًا سجّله، أو مباراة مثيرة لعبها؟

«لقد سجّل أهدافاً متنوعة. وهناك كثير من المباريات التي انتصرنا فيها بفضلته. لقد كان مثل غارديل (أي أسطورة، مثل مغني التانغو الشهير كارلوس غارديل)».

هل كان يستمع إلى نصائح المدرب؟

«نعم، فقد تميّز باحترام الآخرين، وكان يصغي بانتباه. لم يكن يتفوّه بكلام على شاكلة: «أنا ألعب»، أو «أنا الأفضل». وقد حظي بتقدير زملائه في الفريق وحبّهم. أمّا الأمر الوحيد الذي كان يُعاب عليه فهو عدم حبّه للتمارين، بل اللعب بالكرة. أذكر أنّني طردته من التدريب في إحدى المرّات، وطلبت إليه العودة إلى البيت. أنا لست وحشاً، أو شخصاً متسلطاً، لكنني أحبّ أن ينظر الآخرون إلى الأمور بجدّ واهتمام. كنّا ذات يوم نركض حول الملعب، وظلّ هو يلعب بالكرة. ناديته مرّة واثنين، لكنّه لم يلتفت إليّ... قلت له في نهاية المطاف: «أعطني الكرة، وغير ثيابك، ثمّ اذهب إلى البيت».

بعدها بعشر دقائق شاهدته حاملاً الحقيبة على كتفه، ومُصِصاً نفسه بالسيّاح الفاصل يراقب الملعب. حينئذٍ، شعرت بالأسى تجاهه، وساءني أن أراه على تلك الحال. فصرخت قائلاً: «لقد غادرت من دون أن تودّعني. اقترب منّي لكي يودّعني، فطلبت إليه العودة إلى غرفة تغيير الملابس ليغيّر ثيابه، وينضم إلى التدريب. لقد كان فتى خجولاً، لكنّه - في الوقت نفسه - كان ذا شخصية صُلْبة. كانت تلك المرّة الوحيدة التي وبّخته فيها».





ما رأيك في انتقاله إلى إسبانيا؟

«إن إدارة نادي نيولز لم تُحسِن الاستفادة من قدراته جيداً؛ فهي لم تكن على استعداد لدفع مزيد من الأموال عليه، ولم ترغب في الإنفاق على فتى في سنّ الثالثة عشرة. أعتقد أنّها لم تشعر بقيمة الجوهرة الثمينة التي كانت بين يديها».

ما رأيك فيه الآن؟

«أعتقد أنّه نضج بصورة كبيرة في أثناء إقامته في أوروبا؛ أقصد في مجال كرة القدم، لكنّه لم يبلغ أوج عطائه بعد».

هل يمكن للشهرة والمال أن يؤثّرا في لاعب كرة القدم؟ «أعتقد أنّ الشهرة ساعدته على النضج؛ فهو يعرف كيف يتعامل مع الأمور بعقلانية. وإنّه لم يتغيّر قطّ. لا يزال هو الفتى المتواضع نفسه. وقد التقيته مصادفة في وقت لاحق. كنّا قد أنهينا التدريب توّاً، وكانوا هم على وشك البدء. رأني، فترك تمرين الإحماء، وأقبل نحوي، ثمّ سلّم عليّ، وأهداني قميصه. لم يُصدّق لاعبيّ ما رأوه، وسألوني إذا كان بإمكانهم لقاءه، أو أن أطلب إليه أن يهديني قميصاً آخر. كان ذلك الأمر واحداً من الأمثلة. وقد مرّ زمن طويل مُدّ شاهدته آخر مرّة... لكنّه بدا لي الفتى نفسه الذي درّبته على ملعب بيلا فيستا».





الفصل السابع

لقاء مع ذي الحجم الصغير

الحادي والثلاثون من كانون الثاني عام ١٩٩٧م



يتذكّر الدكتور ديفغو شفارتزن تاريخ الموعد الأول بدقة؛ إنه الحادي والثلاثون من كانون الثاني، اليوم الذي يصادف يوم ميلاده. قابلت في ذلك اليوم ليونيل أول مرّة. كان عمره تسع سنوات ونصف السنة، وقد أحضره أبواه إلى عيادة الغدد والباطنية، الموسومة بالرقم 1764، في شارع كوردوبا بوسط روزاريو؛ لاستشارة الطبيب المتخصّص بشأن عملية النمو المحدودة التي وسمت ثالث أبنائهما، وسبّبت لهم شعورًا بالقلق.

يتذكّر الطبيب هذا الأمر جيدًا، وفي ذلك يقول: «كانت الاستشارة تتعلّق ببنيته الصغيرة؛ وهو أمر أراه مرّات عدّة يوميًا».

كان طول ليو يبلغ 1,27 متر، ولم يكن بعدد قد أصبح نجمًا أو لاعبًا مشهورًا، حتى إنه لم يبلغ مستوى الاحتراف؛ إذ كان يلعب وقتئذٍ ضمن فرق الفئات العمرية بنادي نيولز. «أنا من مشجعي المجدومين منذ الصغر (هناك ما يُثبت هذا الأمر؛ صورة لابنه تحت زجاج المكتب، التقطت في مباراة أحرز فيها فريق الأحمر والأسود هدفًا في مرمى فريق بوكا جونيورز). وقد ساعدني





ذلك على إنشاء علاقة طيبة بالمريض. كنّا نتحدث عن كرة القدم، التي كانت الموضوع الوحيد الذي كسر حاجز الخجل عند هذا الفتى».

مواعيد عدة، تقصّ دام أكثر من عام، فحوص معقّدة، تحاليل وعمليات ييو كيميائية. «قمنا بذلك كلّهُ؛ لأنّه كان السبيل الوحيد لتحديد ما إذا كانت المشكلة تتعلّق بالهرمونات، أم أنّها مجردّ حالة ممّا نسمّيها «النمو المتأخّر»؛ أيّ، طفل يتأخّر نموه مقارنة بأقرانه، لكنّه يواصل النمو في نهاية المطاف».

شرح الطبيب لنا هذا الأمر عن طريق الإشارة إلى التواريخ والمُدّد الزمنية في سجلّ مريض ما، مُبيّنًا الوقت الذي يستغرقه تشخيص مثل تلك الحالات (نقص هرمون النمو). وفي ذلك يقول: «لا تُنتج الغدد هرمونَ النمو إطلاقًا. يمكن تبسيط شرح هذه الحالة بتشبيهها بحالة مريض السكري الذي لا يُنتج بنكرياسه الأنسولين أبدًا. وبالنسبة إلى حالة ليو، فإنّه في حاجة إلى مادة تساعده على النمو. الفرق بين هاتين الحالتين هو أنّ سبعة في المئة من سكان العالم يعانون مرضَ السكري، في حين تُعدّ حالة ميسي نادرة جدًا؛ إذ تُظهر الإحصائيات أنّها تصيب واحدًا من كلّ عشرين مليون شخص».

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الحالة ليست وراثية. انظر إلى أخويه، أو حتى إلى أخته الصغرى ماري سول، التي تُعدّ طويلة هي الأخرى».

وفيما يخصّ كيفية تعامل ليو مع ذلك الأمر، قال الطبيب: «أذكر أنّه كان يتعامل مع حالته المرضية بصورة جيدة؛ إذ تقبّل أنواع الفحوص جميعها – حتى أشدّها وطأة – والعلاج على نحوٍ حسن. وقد ساعدته عائلته كثيرًا على ذلك، فقد كانت عائلة من الطراز الرفيع».

وحين حُدّد موضع الخلل، بدأ اختصاصي الغدد الصم برنامجًا للعلاج بهرمون النمو؛ حقنة تحت الجلد يوميًا، مدّة تتراوح من ثلاث إلى ست سنوات؛ حتى يكمل المريض نموه بصورة كافية.



أمّا بالنسبة إلى تقييم مدى التطوّر في حالة المريض، وكيفية قياس النمو وتعرّف حدّه الأقصى، فإنّ ذلك يكون بتصوير اليد بوساطة الأشعة السينية. وقد دأب الطبيب على عرض الصور أمامنا في مراحل التطوّر المختلفة التي مرّ بها ليو: في سنّ التاسعة، والعاشر، والحادية عشرة، وصولاً إلى سنّ الثامنة عشرة. وقد لفت انتباهنا المساحة الفارغة بين العظمة والأخرى، التي قال عنها الطبيب: إنّها سوف تختفي حين تبلغ عملية النمو حدّها الأقصى لدى المريض.

أضاف بعدها قائلاً: «ليس بمقدورنا التغلّب على علم الوراثة. ولكن، يمكننا تقديم المساعدة في حال ظهرت بعض التعقيدات. أودّ التأكيد أنّ حالة نقص هرمون النمو تُلازم المريض طوال حياته. لذا، يتعيّن علينا التّدخّل للتخفيف من وطأة هذا الأمر».

لم تكن حالة ميسي تتطلّب عمل اختبارات وفحوص. فهو لم يكن فأر تجارب كما كتب أحدهم ذات مرّة. بدأ صبر الطبيب ينفد، وهو يقول بصوت جهير: «لم يكن الأمر تجربة قطّ. لطالما استُخدم هرمون النمو في حالات مشابهة سنوات طويلة: نحو ثلاثين عاماً على وجه التحديد. وقد كان يُستخرج - فيما مضى - من جثث الموتى، إلّا أنّ ذلك كان يزيد من احتمال الإصابة بجنون البقر. لذا، فقد عمِدَ عن ذلك، وأصبح يُنتج عن طريق الهندسة الجينية منذ ثمانينيات القرن العشرين. ولم يثبت - حتى هذه اللحظة - وجود أيّ أعراض جانبية على المدى البعيد. وإن لم نواجه أيّ مشكلة في أثناء معالجة الحالات الشبيهة بحالة ميسي، حيث كان لزاماً منحه ما ينقصه».

وفي معرض ردّه على سؤال عن سبب تحريم هرمونات النمو، وعدم انتشارها في أوساط الرياضيين عند الحديث عن المنشطات؛ قال الطبيب:





ميسي

«تُسهِم الهرمونات في حال أُعْطِيت لشخص بالغ لا يعاني أيّ نقص أو خلل ما (أيّ شخص لديه معدلات إفراز طبيعية، وستيرويدات ابتنائية)، في زيادة الكتلة العضلية، والتقليل من الألياف الدهنية؛ ما يزيد من إنتاج الطاقة الحركية، وسرعة الأداء».

لكنّ الأخطار التي تُهدّد سلامة المرء عند تعاطيها كبيرة؛ إذ يمكنها التسبّب في كثير من الأعراض، مثل: احتباس السوائل، وفرط نشاط الغدة الدرقية، وارتفاع معدل السكر في الدم، وارتفاع الضغط داخل الجمجمة، فضلاً عن احتمال ظهور الأورام.

وعلى الرغم من ظهور كثير من التكهّنات والمخاوف ذات الصلة بهذا الموضوع؛ سواء في الأرجنتين أو في إسبانيا، لكن هناك أمراً كُتِبَ عنه الكثير - من دون تحقّق، أو داعٍ غالباً-؛ هو تكلفة العلاج التي قد تصل إلى نحو 600,000 بيزو أرجنتيني (100,000 دولار أمريكي تقريباً) سنوياً.

يُعدّ هذا المبلغ كبيراً، وقد يكون هو السبب وراء مغادرة عائلة ميسي إلى إسبانيا، من باب أنّ نادي برشلونة كان هو الوحيد الذي أظهر استعداداً للتكفّل بنفقات العلاج.

«لطالما لفتت قصته انتباهي، حينما كانت وسائل الإعلام تُصرّح بأنّ والده سافر به؛ لأنّ أحداً لم يتكفّل بعلاجه هنا. مع أنّه من غير المؤكّد أنّ الجميع رفض ذلك فعلاً؛ إذ تكفّل الضمان الاجتماعي ومؤسسة أسيندار بعلاج الفتى. ولم يتضح - حتى هذه اللحظة - ما إذا كان ذلك هو سبب مغادرتهم البلاد حقاً. فإذا كان الوالدان مشمولين بالضمان الاجتماعي، أو لديهما تأمين صحي، فإنّ البرنامج الصحي الإجباري سيتكفّل بالعلاج. وفي حال لم يكونا مشمولين





بأحدهما، فيستعان باللجنة الاستشارية الوطنية التي تُعنى بالأطفال الذين يعانون نقص هرمون النمو، وهي جهة تُقدِّم العلاج مجاناً منذ عام 1991م».

هذه رواية تختلف عن تلك التي ترويها عائلة ميسي؛ إذ قال خورخي (والد ليو): إنَّ الضمان الاجتماعي ومؤسسة أسيندار توقفتا عن دفع كامل التكاليف بعد سنتين من بدء العلاج، ثمَّ وافقت إدارة نادي نيولز على تغطية جزء من التكاليف (واحدة من حقتين)؛ لعلمها بالمستقبل الواعد الذي ينتظر ليو. ولكن، وبصورة تدريجية، بدأت الدفعات تصل متأخرة. وفي ذلك يقول خورخي، الذي لم يألُ جهداً في إيجاد حلٍّ للمشكلة: «لقد راجعناهم مراراً للحصول على المال، لدرجة أنَّ زوجتي ضاقت ذرعاً بذلك، وقالت: إنها لن تُطالب بأيِّ مال بعد الآن، وهذا ما كان فعلاً».

يتذكَّر خورخي الأمر قائلاً: «كان نادي ريفر بلايت قد افتتح مكتباً في روزاريو. وكانت تلك فرصة للفتى، ووسيلة للضغط على نادي نيولز. فذهبنا إلى بوينوس آيرس حيث استعدَّ ليو لعرض مهاراته وقدراته.

تدرَّب ليو في موقع النادي بحَيِّ بلغرانو، وحين أنزلوه إلى الملعب في مبارياته الأولى، أدركوا مدى مهارته وتميُّزه في الحال، وأنَّه لم يكن مجرد فتى هزيل. ثمَّ قالوا لي: نريده. ولكن، يتعيَّن عليك البدء بإجراءات انتقاله إلى النادي بصورة رسمية، بعد موافقة نادي نيولز على التخلِّي عنه. لم يرغب القائمون على النادي الخوض في مشكلات مع نادي نيولز. لذا، لم نَمضِ قُدماً في الموضوع. وحين علم إداريو نادي نيولز بالأمر طلبوا إليَّ الإبقاء على ليو، وقدِّموا المزيد من الوعود. بعدها ظهر نادي برشلونة في دائرة الأحداث...».

وبعد توضيح الأمر بصورة أو أُخرى، تبيَّن أنَّ عائلة ميسي تتفق مع شفارتزن في «أنَّ مسألة نقص هرمون النمو وعلاجها لا تتعدَّى كونها مجرد حكاية، وأنَّ المهم حقاً هو مهارات الفتى في كرة القدم».





ميسي

في هذه اللحظة، ينهض الطبيب عن مقعده، ويخرج من وراء مكتبه، ويُطلق العنان لمجموعة من التصدّرات التي تجول في مخيلته بشأن رجل شغوف بكرة القدم، فيتحدّث عن مدى إعجابه بالركض السريع، والتحكّم في الكرة، وعن «قدرات ليو التي لا يستطيع أحد تحديدها وتعرّف كُنْها، وعن غيرة سكان بوينوس آيرس (البورتينوس) وغيظهم من أنّ لاعبًا عظيمًا مثله لم يخرج من رحم مدينتهم؛ فهذا يتعيّن عليك اللعب لأحد قطبي العاصمة إذا رغبت في إحراز النجاح. فباتيستوتا على سبيل المثال، كان لاعبًا لنيولز، لكنّ شهرته لم تبلغ الآفاق في الأرجنتين إلّا عندما لعب لبوكا جونيورز».

لندع عنّا كرة القدم، ولنعد قليلاً إلى الوراثة. فقد يكون موضوع العلاج بهرمون النمو مجرد حكاية تُحكى. ولكن، انظر إلى مقال نُشر أخيراً في صحيفة لا كابييتال يحمل عنوان «يريدون تجربة دواء ميسي على أطفالهم». ورد في هذا المقال ما نصّه: «منذ أصبح العلاج الذي تناوله ميسي معروفاً للملأ، تحوّل هرمون النمو ليصبح دواءً سحرياً، يمكنه مساعدة الأطفال الصغار على النمو. يُعدّ موضوع أجسام الأطفال الهزيلة هاجساً يُورّق الأهل، خاصة عندما يذهب هؤلاء الأطفال إلى الروضة، وتبدأ مقارنتهم بأقرانهم. إنّ تلك المقارنة تُعدّ مغالطة ومجافاة للحقيقة؛ لأنّ معدل النمو غير ثابت.

وفي واقع الأمر، يُعزى سبب هذا الهزال إلى عوامل وراثية، وإلى سوء التغذية خلال أول سنتين من عمر الطفل، أو إلى تأخّر في عملية التطوّر والنمو، وهو أمر لا يمكن علاجه، لكنّ كثيراً من الآباء والأمهات يطلبون إلى الأطباء المتخصّصين الذين يُشرفون على حالة أبنائهم، العلاج نفسه الذي أُعطي لليون ميسي».

يحتج الطبيب على هذه المسألة قائلاً: «تلك هي الآثار السلبية للطريقة التي تتناول بها وسائل الإعلام علاجاً أُعطي للاعب كرة قدم مشهور، فضلاً





عن طريقة الفهم المغلوطة التي يتبعها الأهل والناس بصورة عامة. لم يكن ذلك ليحدث لو بقي الأمر محصوراً في علاقة الطبيب بالأهل والمريض.

يحتّم عليّ واجبي أن أنافح عن الحقيقة الطبية التي تؤكّد أنّ ذلك العلاج لا يفيد الأطفال الذين لا يعانون نقصاً في الهرمونات، خاصة عند أخذ تكلفة العلاج المرتفعة (مقارنة بنتائجه غير المجدية) في الحساب. لذا، يتعيّن على مَنْ يعانون نقص الهرمون الذي كان يعانيه ليو، تناول هذا العلاج. وما زلّت أذكر أنّ ليو بدأ بتناول العلاج عام 1998م، حين كان طوله 1,27 متر، ثمّ أصبح طوله 1,69، الآن، بعد أن أكمل علاجه في برشلونة. وكلّي يقين أنّه لم يكن لينمو بهذا الشكل لولا العلاج الذي تناوله».





الفصل الثامن

نجم عالمي في بلدة صغيرة

حوار مع ماريانو بيريزنيكي؛ الصحفي في صحيفة لا كابيتال



ما الذي يُمثله ليو ميسي بالنسبة إلى مدينة روزاريو؟

«إنَّه أفضل لاعب أنجبته المدينة. وهو يُمثِّل الأمل للأرجنتين بأكملها. إنَّه أيقونة في كرة القدم. كلُّنا ننتظر اليوم الذي يصبح فيه خليفة مارادونا».

ماذا يعرف الناس عنه في روزاريو؟

«إنَّه ليس معروفًا هنا بالمعنى الحرفي للكلمة؛ فقد لعب كرة القدم في هذه المدينة ضمن فرق الفئات العمرية، وحتى الدرجة العاشرة. لم يصبح مشهورًا هنا؛ إذ لم يشاهده إلا أولئك الذين لعبوا ضده. وقد سمع بعضنا عنه في تلك المدة، حينما أظهرت التوقعات أنَّه قادر على تحقيق ما يصبو إليه قريبًا. لقد مثَّل ذلك الأمر كابوسًا للأندية في روزاريو؛ فهم لم يكونوا على دراية بقيمة هذا الفتى الذي سيفقدونه فيما بعد.

هناك أمر لم يقدِّر به ليو بعد؛ وهو اللعب هنا. إنَّه من نتاج نادي نيولز. ونأمل أن نراه في ملاعبنا عاجلاً أم آجلاً. نستطيع رؤية مهاراته الآن عن





ميسي

طريق التلفاز فقط حين يلعب لنادي برشلونه، وقد نحطى بمشاهدته في ملعب المونيمونتال ببوينوس آيرس عندما يشارك المنتخب الأرجنتيني في مبارياته».

متى قابلته أول مرة؟

«كان ذلك أواخر عام 2000م، بعد عودته من برشلونه. أجريت معه مقابلة بكل سهولة. وقد ذهبنا حينها إلى نصب العلم لالتقاط بعض الصور. لم يكن الناس يعرفونه. كان وقتها شخصاً عادياً حاله حال الجميع». - كيف وجدت ليو؟
«إنه فتى وديع، لا يتكلم كثيراً. لكنّه سرعان ما يتحوّل حال نزوله أرض الملعب؛ إذ يصبح شخصاً آخر مختلفاً في سلوكه وتحركاته، حالما تصبح الكرة بين قدميه. وفي واقع الأمر، فإنّ ليونيل ميسي الحقيقي يظهر على أرض الملعب، وكلّ ما ينبغي عليك فعله هو الجلوس والتمتع بلعبه».

بعد خمس سنوات، تغيّر كلّ شيء....

«كان ذلك بعد بطولة كأس العالم لفئة الشباب دون سنّ العشرين عام 2005م. ففي هذا العام بدأت ظاهرة الولع بميسي. كانت الأجواء صاحبة. وشنت وسائل الإعلام هجوماً على بيته؛ الصحف، وقنوات التلفزة، ومحطات إذاعية وطنية ودولية، كلّها أرادت إجراء مقابلات معه والتحدث إليه، وكذلك أراد سكان المنطقة. كان يأتي معجبون كلّ يوم لتنهنته، أو طلب توقيعيه. لماذا كلّ هذه الهالة حوله؟ لأنّ الأرجنتين بقضها وقضيضها كانت في انتظار شخص مثله منذ أمد طويل. وبينما كان الجميع يتحدث عن ريكلمي وتيفيز وإيمار... ظهر ميسي على الساحة. لقد فاجأ الجميع بما فعله في بطولة كأس العالم





للشباب. لقد أثبت حقاً أنه من طينة فريدة من لاعبي كرة القدم. وقد تُوِّج ملكاً على هولندا، حيث أُقيمت بطولة كأس العالم للشباب».

ماذا يعني قدومه إلى روزاريو الآن؟

«عندما يأتي إلى هنا يُنظر إليه بوصفه نجماً عالمياً في بلدة صغيرة. وقد أصبح يُمثل قيمة تسويقية مرتفعة؛ لأنه وقَّع عقوداً مع شركات مشهورة على مستوى العالم؛ إذ تحتاج الشركات إلى الترويج لمنتجاتها، وهو ما يمكن لميسي أن يعمل به، ويودّ الناس رؤيته. لكنّه يلجأ إلى عائلته وأصدقائه... ليستعيد قوته ونشاطه، وتستقيم حالته الذهنية؛ لكي تتناسب والحياة ذات المتطلبات الكثيرة في برشلونة. لذا، فإنّ روزاريو هي المكان الذي يعيد فيه شحن بطارياته».

في رأيك، ما ملامح شخصية هذا الروزارينو (المنحدر من مدينة روزاريو)؟

«لا أحد يعرف شخصيته الحقيقية باستثناء المقربين إليه. لا يستطيع المرء معرفته حتى لو قرأ الكثير عنه. ذلك أمر ليس بالهين. يبدو لي أنّه متواضع لأبعد الحدود؛ إذ لم تُؤثر فيه النجومية أو تُغيِّره. إنّه صلْد كالحديد».

وماذا عن سلوكه ومهاراته في مجال كرة القدم؟

«أعتقد أنّه من طينة لم يُجبل عليها أحد منذ وُلد مارادونا».

لنعمل على تحليل مهاراته.

«التضامن مع الفريق، الولاء، الهجوم بالكرة، الطاقة المتجدّدة المندفعة النادرة، فضلاً عن القدرة المذهلة على التسارع. إنّه يفعل ذلك كلّ بطريقة فريدة».





ماذا تتوقع له مستقبلاً؟

«ليو يعيش مستقبلاً حقيقياً. وقد أثبت جدارته في كثير من البطولات التنافسية في إسبانيا وأوروبا، لكنه لا يزال شاباً. لم يحقق بعد ما يصبو إليه على الرغم من تسجيله أهدافاً رائعة كتلك التي سجلها دييغو».

هل هو مارادونا الجديد؟

«إنه ميسي بحق».



الفصل التاسع

في اتجاه برشلونة

السابع عشر من أيلول عام ٢٠٠٠م



الإسبانية (إسبانيا)	الإسبانية (الأرجنتين)	العربية
Arquero	portero	حارس مرمى
Colectivo	autobus	حافلة
Facture	bollo	فطائر دنماركية
Birome	bolígrafo	قلم حبر
Ojotas	chanclas de dedo	خُفَّ (شيشب)
Departamento	piso	شقة
Pollera	falda	تنورة
Redonda	esférico	دائري
Remera	camiseta	قميص (تي شيرت)
sobretudo	abrigo	معطف

تعني كلمة (coger) باللغة الإسبانية يحضر، أو يمسك. أمّا عند الأرجنتيين فتعني أمرًا بذيئًا، والأفضل لنا ألا نذكره.





هيسي

يقولون: إن اللغة في إسبانيا والأرجنتين هي عينها؛ أي كاستيليان (castellano)؛ وهو اسم يدل على اللغة الإسبانية الفصيحة. ولكن، توجد فروق كبيرة بين اللغة المستخدمة في إسبانيا وتلك المستخدمة في الأرجنتين. ولا يقتصر الأمر على الاختلاف في معنى الكلمات والتعبيرات المستخدمة في اللغة العامية فحسب، بل يشمل اختلاف طرائق العيش، وفهم الحياة في بعض الحالات. وبوجه عام، تنحدر غالبية العائلات الأرجنتينية من أصول إسبانية أو إيطالية. أما الآن، وبعد نحو قرن من وصول آخر الأسلاف من شبه الجزيرة الأيبيرية والجزمة الإيطالية (دلالة على خريطة إيطاليا) ليصبح (gallego) [إسباني بالعامية] أو (tano) [إيطالي بالعامية]، فقد تغيرت الأوضاع على نحو ملموس.

لقد أحدث الزمن هُوَّة، أفضت إلى ظهور ثقافات متباينة جداً؛ حتى عدَّ ابتعاد شخص ما عن نمط الحياة الذي كان يحياه في بلده، وعودته إلى موطنه الأصلي، إنجازاً عظيماً.

مما لا شكَّ فيه أن ذلك يُعدُّ تحدياً صعباً، فما بالك إذا كان الشخص المعني فتى بالكاد بلغ الثالثة عشرة من العمر! إنَّ ترك عالم الطفولة، وبلدة المنشأ، والمدرسة، والأصدقاء، والفريق الذي تحبَّ، وملاعب مالفيناس وبيلا فيستا، وجزءاً من العائلة؛ يتطلَّب عزيمة كبيرة، خاصة إذا لم تكن هناك أيُّ ضمانات للمستقبل.

يفادر ليو ميسي ووالده خورخي مدينة روزاريو في اتجاه برشلونة في السادس عشر من شهر أيلول عام 2000م.

لنعد إلى الوراء قليلاً؛ كي نتعرَّف سبب صعود الأب وابنه طائفة الخطوط الأرجنتينية المتجهة عبر الأطلسي، وكيف قرَّرا أن يُجرِّبا حظَّهما في الأراضي الكاتالانية، وما يتوقَّعانه في رحلتها تلك.



بلغ ليوسنّ الثالثة عشرة، وهو يُعَدُّ الآن معروفاً في مجال كرة القدم للفتيات العمرية. وقد خُصِّصت بعض الصحف صفحتين لإجراء مقابلات معه، فضلاً عن الإشارة إليه في أثناء لعبه في كثير من بطولات الدوري المغمورة. علماً بأنه حصد الإعجاب في بوينوس آيرس بعد تجربة موفّقة مع نادي ريفر بلايت. قبل ذلك بسنتين، كان المدافع السابق لنادي نيولز وريفير؛ فايان باسوالدو قد عمل وكيلًا لليونو أشهرًا عدّة، في محاولة منه لوضع الفتى على المسار الصحيح، إلى أن جاء الوقت، وأدركت عائلة ميسي أن لا ضرورة لأحد في تلك السنّ لوكيل يُمثّله. ولكن، في أحد الأيام من عام 2000م، جاء رجلان يُمثّلان شركة ماركا (شركة تُعنى ببيع اللاعبين وشرائهم، مقرّها الرئيس في روزاريو)، هما مارتن منتيرو وفايان سولديني، اللذان قدّما أنفسهما في بيت العائلة رقم 525، في استادو دي إزرايل.

لا يودّ خورخي؛ والد ليونيل، الحديث عن هذين الرجلين، لأنّهما - كما سيُظهِر سير تسلسل الأحداث في القصة- لم يفعلوا شيئاً لمساعدة ابنه؛ حتى إنّهما سبّبا له كثيراً من المشكلات... وما زالت هناك قضايا عالقة وقضايا استئناف منظورة في كثير من المحاكم إلى يومنا هذا. لنُدع عنّا النزاع القضائي، ولنكمل القصة.

يريد منتيرو وسولديني تمثيل ليونيل؛ فهما مقتنعان أنّ بإمكان الفتى الصغير الحصول على مستقبل واعد مشرق مع أحد الأندية العريقة؛ سواء في إيطاليا أو إسبانيا، في الإنتر أو الميلان، أو ريال مدريد أو برشلونة. وقد أكّدا أنّ لهما علاقات وصدقات في أماكن مرموقة. ومع ذلك، فإنّ عائلة ميسي لا تنقاد بسهولة وراء الوعود الزائفة؛ إذ لن يكون هناك أيّ دفعات حتى يحظى الفتى بفرصة لتجربة حظّه في أوروبا.





هيسي

لم يَبْدُ الأمر مستحيلاً، لدى تذكُر ما استطاع لياندرودبريتيس الحصول عليه عندما تمكّن من السفر إلى أوروبا، والتدرّب مع فريق الشباب في نادي آي سي ميلان. كلّ ما يتعيّن عليهم فعله هو التأكّد من أنّ تلك العلاقات والصدقات ليست مجرد خدعة.

كان الرجلان صادقَيْن؛ إذ اتصل منتيرو وسولديني في شهر آب من عام 2000م بهوريشيو جاغيولي، وهو أحد سكان روزاريو، ويعمل في مجال بيع العقارات وشرائها في برشلونة منذ سبعينيات القرن الماضي، ويعمل مع وكيل لاعبين يُدعى جوسيب ماريّا منغويلا، وهو المساهم رقم 2292 في نادي برشلونة، ومستشار التقلّات الخاص برئيس النادي آنذاك خوان غاسبارت، الذي كان قد رشّح نفسه لانتخابات رئاسة النادي التي أعقبت ذلك، لكنّه خسر أمام خوان لابورتا.

يتذكّر منغويلا ذلك قائلاً: «شاهدت تسجيلاً منزلياً للفتى، وكان هوريشيو ومارتن وفايان قد أكّدوا لي أنّه يستحق المشاهدة. لذا، اتصلت بتشارلي، الذي هو أحد الأصدقاء المقربين إليّ».

يضيف كارلوس ريكاساش، الملقب بتشارلي، الذي كان مديراً فنياً للفريق الأول لنادي برشلونة حينها، قائلاً: أخبرني عن فتى بارع جداً... مثل مارادونا. ظننته يتحدث عن فتى في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر. فوجئت حين عرفت سنّه. كان يتعيّن عليه أن يكون ظاهرة فعلاً إذا أراد أن يلفت انتباهنا. لم يكن من سياسة النادي أن يُوقّع أيّ عقود مع فتية من خارج كاتالونيا، فما بالك بفتى من خارج دول الاتحاد الأوروبي!

لقد أكّدوا لي أنّه حالة فريدة من نوعها. ومع أنّي أسافر كثيراً إلى أمريكا الجنوبية، فقد قرّرنا أن نجلبه إلى برشلونة ليتدرّب أسابيع عدّة؛





ليتسنى للمدريين في النادي مشاهدته على مهلٍ. كان ذلك هو الحل الأمثل؛ إذ من الأفضل له ولنا القدوم إلى إسبانيا مع عائلته، بدلاً من ذهابنا نحن إلى الأرجنتين، واكتشاف أنه مريض، أو أنه لا يستطيع اللعب وقتئذٍ تحديداً، فلا يكون وجودنا هناك ذا فائدة.

وبناءً على ما تقدّم، سيصل ليونيل إلى عاصمة إقليم كاتالونيا في السابع عشر من شهر أيلول عام 2000م، بصحبة والده وفاييان سولديني، وسيكون هوريشيو جاغولي في استقبالهما بمطار إل براتا؛ ليصطحبهم فيما بعد إلى فندق بلازا، الواقع في ساحة إسبانيا عند سفح تل مونتخويك، حيث سيلعب ليو مباراته الأولى - بعد سنوات عدّة - مع الفريق الأول في الملعب الأولمبي الواقع هناك. يمكن مشاهدة المدينة من نوافذ الفندق. وفي حال جرت الأمور على ما يرام، وتمكّن ليو من الانضمام إلى صفوف البارسا، فإنّها ستصبح موطنه الجديد. سيكون هناك بيت ومال ووظيفة لوالده، وربما فريق لشقيقه الأكبر رودريغو.

وقد يبدو من غير المألوف أن تضع عائلة بأكملها الثقة بفتى في سنّ الثالثة عشرة. لكنّ سيليا وخورخي كانا قد فكّرا قبل الزواج في الهجرة إلى أستراليا؛ بغية الحصول على حياة جديدة في مكان جديد. لم يكن حالهما سيئاً، لكنّهما كانا على علم بأنّهما حقّقا أقصى ما يمكن تحقيقه تقريباً، وأنّه لم يكن بمقدورهما تحسين حياتهما في الأرجنتين على نحوٍ أفضل ممّا هي عليه الآن. وفي واقع الأمر، فقد كانا يبحثان عن فرصة جديدة لأطفالهما، ولعلّ هذه الفرصة قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى منهما؛ فمن ناحية، يمكن لليو متابعة العلاج في برشلونة، ومن ناحية أخرى يمكنه تطوير مهاراته في نادٍ عريق يليق بالموهبة التي يمتلكها. لكنّ اتخاذ قرار مثل هذا أمر صعب. وقد سأل أفراد العائلة أنفسهم مراراً عن مدى صحة القرار الذي هم على وشك اتخاذها. لذا،





هيسي

تجمّع أفراد العائلة قبل المغادرة حول طاولة، وتساءلوا عمّا يودّون فعله، ثمّ توصلوا إلى أنّه إذا امتنع أحدهم عن السفر، فإنّ الجميع سيقفون في روزاريو. حدّد موعد التجربة بعد ظهر يوم الإثنين الموافق للثامن عشر من شهر أيلول. وقد اعترت ليو حالة من الدهشة والذهول لدى رؤيته المرافق الرياضية؛ ما حفز بعضهم إلى التقاط صورة له عند إحدى بوابات ملعب مينيستادي (ملعب فريقي الريدف والشباب)، تمامًا كما تفعل جموع السيّاح التي تزور ملعب نوكامب كلّ يوم. بعدئذٍ، توجّه ليو إلى إحدى غرف الملابس لتغيير ثيابه، ثمّ الانضمام إلى فرق الفئات العمرية التي تتدرّب على الملعبين: رقم (2)، ورقم (3).

استمر ليو -على مدار أسبوع- في التدرّب، ولعب مباريات قصيرة مع فتية يماثلونه في العمر. وكان والده خورخي يتابع أداءه من المدرّجات بصمت، تمامًا كما كان يفعل في ملاعب روزاريو. لا يريد ليو أن يُخيّب أمل والده؛ فأحرز خمسة أهداف في مباراة واحدة، ناهيك عن سادس لم يحتسبه الحكم.

يُذكر أنّ خورخي وعد ليو باصطحابه لشراء بذلة رياضية في حال نجح في تسجيل ستة أهداف، وأنّ عليه الوفاء بذلك الوعد في نهاية المطاف.

يُجمّع المدرّبون كافة ممّن شاهدوه على مهارته الفائقة في اللعب، لكنّ القرار النهائي بيد ريكساش الموجود في النصف الآخر من الكرة الأرضية، في مدينة سيدني الأسترالية، حيث تجري الألعاب الأولمبية. وكان ريكساش قد ذهب هناك لمتابعة مباريات كرة القدم، التي أسفرت عن وصول إسبانيا والكاميرون إلى المباراة النهائية، التي فازت بها الأخيرة بركلات الجزاء الترجيحية؛ ما أدّى إلى تمديد مدة إقامة ليو في برشلونة حتى عودة شارلي في الثاني من شهر تشرين الأول.





وبدا، فقد بقيت مجريات الأمور مُبهمة وغير واضحة، وكان لِزامًا الفصل فيها بأقرب وقت ممكن. وقد بدا ذلك الأمر قريباً؛ إذ ستقام مباراة بين فريق الطلبة الذين تتراوح أعمارهم من (14) إلى (15)، وفريق طلبة السنة الأولى على ملعب مينيسيتادي رقم (3)، يوم الثلاثاء الموافق للثاني من شهر تشرين الأول، الساعة الخامسة مساءً. وكان تشارلي يترقب هذه المباراة باهتمام؛ لمشاهدة كيف يبلي ليو في مواجهة فريق الفتية ممن يفوقونه سنًا.

يتذكر ريكساش ذلك قائلاً: «كنت قد أنهيت تناول الطعام تَوًّا، ووصلت إلى الملعب بعد خمس دقائق من الموعد. كان الفريقان قد بدأ اللعب فعلاً. كان عليّ الركض من حول الملعب للوصول إلى الدكة حيث يوجد المدربون.

وقد تطلّب منّي الأمر سبع أو ثماني دقائق للالتفاف. وحين وصلت الدكة كنت قد اتخذت قراري. قلت لريفه وميغويلي (مدرّبي فريق الشباب): «لنوقع معه العقد حالاً. لقد أذهلني هذا الفتى؛ فمع أنّه لا يزال صبيّاً صغير الحجم، لكنه متميّز، يملك ثقة عالية بالنفس، نشيط، سريع، ماهر، قادر على الاحتفاظ بالكرة في أثناء الركض بأقصى سرعة، مراوغ جيد لكلّ من يعترضه.

لم أجد صعوبة في اكتشاف ذلك؛ فمواهبه التي يعرفها الجميع الآن، كانت أكثر وضوحاً حين كان في سنّ الثالثة عشرة. هناك دائماً لاعبو كرة قدم في حاجة إلى فريق يساندهم ليلمع نجمهم، لكنّه ليس كذلك. وكنت دائماً أجب منّ يعزوا إليّ الفضل في اكتشافه بالقول: «لو أنّ الذي رآه كان من سكان المريخ لعرف أنّه مميّز جدًّا».

وافق المدير، وحُسمت الصفقة. وبعد ذلك بيومين، يغادر ليو ووالده بالطائرة متوجّهين إلى بونينوس آيرس تغمرهما فرحة عارمة. وكان تشارلي ريكساش قد أكّد بوساطة طرف ثالث أنّه سرعان ما ستُوجّه إليهما دعوة للسفر إلى برشلونة مرّة أُخرى؛ للانتهاء من تفاصيل العقد.





هيسي

لا يعرف خورخي تشارلي شخصياً - حتى يومنا هذا - الظروف والملازمات التي اكتنفت توقيع هذا العقد، لكنّه يعترف أنّ سبب لعب ابنه لنادي برشلونة، هو عناد ذلك المدرّب.

انتهت المغامرة على الطرف الآخر من المحيط الأطلسي على نحوٍ طيب. لكنّ الأمور تصبح أكثر تعقيداً كلّما اقتربت من مراحلها النهائية؛ إذ لا يزال هناك كثير من العقبات لتخطّيها. يتذكّر ريكساش - المُلقّب بفتى بدرالبس (أحد أحياء برشلونة)، وأحد رموز النادي - اليوم المشكلات جميعاً التي واجهها، في أثناء جلوسه معنا في مقهى فندق الأميرة صوفيا القريب من ملعب نوكامب.

«كانت أولى المشكلات أنّه أجنبي، والقوانين تمنع أيّ طفل أجنبي من اللعب في الدوري أو البطولات الوطنية. كان ذلك بالنسبة إلينا عائقاً كبيراً. وتمثّلت المشكلة الثانية في أنّه لا يزال طفلاً. فقد ينتهي به المطاف في نادٍ آخر؛ سواء كان ذلك خياره، أو من جرّاء الإصابة، أو العمر. أمّا المشكلة الثالثة فتعلّق بوالديه؛ فما الذي سيفعلانه؟ يتعيّن علينا إيجاد وظيفة لكلّ منهما في حال قرّرا الانتقال إلى إسبانيا.

وأخيراً، فالفتى يعاني مشكلة في النمو، ويحتاج إلى العلاج».

يشرح ريكساش كيف وازن بين السلبيات والإيجابيات، ليُقرّر بعدها - مع زملائه - أنّ عليهم المجازفة، وبأيّ ثمن، «وتوقيع العقد؛ لأنّه بارع جداً». ومع ذلك، لم يكن جميع منّ في النادي مقتنعين بالأمر. وقد جرت العادة على طرح كثير من الأسئلة ساعة اتخاذ القرار؛ فقد رأى بعضهم أنّ ليو صغير الحجم هزيل الجسد، وأنّه مجرد لاعب لافِت لا أكثر. وقد ردّ تشارلي على مثل تلك الآراء والاعتراضات بقوله: «أحضروا لي اللاعبين اللافِتَيْن الصغار كلّهم،





أريدهم جميعاً في فريقتي». حتى رئيس النادي، خوان غاسبارت، طلب شرحاً وتفسيراً للموضوع؛ لمعرفة إذا كان الأمر يستحق العناية بصبي في الثالثة عشرة من العمر وعائلته.

يردّ تشارلي بالإيجاب، موضّحاً أنّ هذا الأمر يُعدّ مجازفة يتعيّن على النادي خوضها. يمرّ الوقت في هذه الأثناء، فينتهي شهر تشرين الأول، يتبعه تشرين الثاني من دون وصول القرار المنتظر.

سوف يتصل منغويلا بريكساش في الرابع من شهر كانون الأول، ويخطط للاجتماع به في مطعم بجمعية بومبي ريال للتنس في مونتخويك. وفي الموعد المحدّد، حضر هوريشيو جاغيولي - الذي كان يمثّل عائلة ميسي حينها - الاجتماع أيضاً. يبدو أنّه الأكثر إصراراً، ويتذكّر أنّه قال: «لقد قطعنا شوطاً كبيراً يا تشارلي. إمّا أن تأخذوه، وإمّا أن يذهب إلى مكان آخر....». ثمّ يضيف: «لم أكن أأخذه، فقد بدأنا حقاً مفاوضات مع ريال مدريد».

يقول ريكساش: «لم يتقوا بي ولا ببرشلونة. لقد أرادوا اتفاقاً مكتوباً، وإلا فإنّهم كانوا سيضعون حدّاً للمفاوضات. كنت مُصرّاً على ألاّ يفلت ذلك الصبي من يدي. لذا، تناولت منديلاً ورقياً، ثمّ كتبت شيئاً جعل النادي يوافق على توقيع العقد مع ليو ميسي في حال استجيب لشروطه. ذيلت توقيعني على المنديل، ثمّ أعطيته إيّاه».

وكذا فعل كلُّ من منغويلا وجاغيولي أيضاً (حُفظ المنديل بعد ذلك، وأصبح بمنزلة قطعة أثرية)، وكان ذلك ميثاق شرف، لكنّه لم يكن كافياً؛ إذ توّد عائلة ميسي الحصول على بعض الضمانات قبل حزم حقائبها، ومغادرة برشلونة؛ بدءاً بدفع تكاليف السفر، وانتهاءً بتوفير منزل ووظيفة لخورخي الذي سيتترك عمله في مؤسسة أسيندار للحاق بابنه وببقية أفراد العائلة.





ميسي

يعمل تشارلي ريكساش بجدّ لحلّ المشكلات العالقة، لكنّ الأمر ليس بالهين؛ إذ «لم نستطع مناقشة مسألة تقديم عقد في البداية؛ فقد كان طفلاً سيلعب مع فرق الشباب. لكن، كان لزاماً علينا فعل ذلك، وهذا ما حدث فعلاً».

في الثامن من شهر كانون الثاني عام 2001م، جرى التوصل إلى اتفاق نهائي في مطعم آخر في برشلونة يدعى فيا فينيتو. وفيه التقى خوان لاكويفا الذي كان حينها مدير الكرة في النادي مع منسّق أكاديمية الشباب خواكيم ريفه الذي يملك قدرة على استشراف المستقبل، ويودّ أن يبذل النادي جهداً لإغراء ميسي. طلب ريفه تقريراً من المتحمّس ريكساش، الذي كتب ببساطة «إنّ ميسي لاعب خارق». وبناءً عليه، كُتبت رسالتان إلى خورخي ميسي؛ إحداهما من تشارلي تؤكد الاتفاق الذي أبرم مع العائلة في برشلونة، والأخرى من لاكويفا تتعلق بالشروط المالية، ويشرح فيها التفاصيل الخاصة بالمنزل الذي سيُوجر لهم، والمدرسة، ومبلغ سبعة الملايين ببيزيتا (40,000 دولار تقريباً) التي سيحصل عليها الأب لقاء العمل في النادي، وهو مبلغ يساوي تقريباً ما يحصل عليه اللاعب عادة. ولكن، في مثل هذا الحال، سيكتفي اللاعب بمنحة دراسية.

كانت الرسالة كافية لكي تحزم عائلة ميسي أمتعتها؛ إذ حطّت العائلة بأكملها الرّحال في مطار مقاطعة كاتالونيا، في الخامس عشر من شهر شباط عام 2001م، حيث كان شتاء برشلونة على أشده.





الفصل العاشر

مُغَيِّر مجريات المباريات

حوار مع فيرناندو نيمبرو المُلقَّب بشيشيه، والمُعلِّق في قناة فوكس



لنتحدث عن ميسي، وعن انتقاله إلى إسبانيا.

«لم يتوقف، أو حتى يمرّ من بوينوس آيرس؛ فمطار إيزيزا الدولي الذي غادر منه إلى أوروبا لا يقع في المدينة. لقد غادر بوصفه صبيًّا يعاني مشكلة في النمو، لكنّ قدراته تفجّرت في برشلونة. لم نكن نعرف أيّ شيء عنه. فقد خطفه منّا الأسبان. بعد ذلك عرفنا أنّه يوجد هناك (في إسبانيا) صبي أشول يمتلك مواهب وقدرات فائقة. ما حدث حينها يحدث الآن مرارًا؛ توقّع الأندية الأوروبية الكبيرة مع لاعبين يافعين من أمريكا الجنوبية. لا يتطلّب الأمر أن يكون هؤلاء اللاعبون قد لعبوا ضمن فرق الدرجة الأولى، أو فازوا ببطولات عالمية حتى يتم شراؤهم أو التعاقد معهم؛ إذ تقوم الأندية بإخراجهم من أحد الأحياء العشوائية في البرازيل بوساطة الطائرات المروحية، ونقلهم إلى مدارس كرة القدم التابعة لها. إنّها هجرة جماعية للاعبين الموهوبين الصغار تعمل على تدمير بطولتنا الدورية الوطنية.»

ما تقييمك لميسي في الوقت الحالي؟

«يمكن تشبيه ميسي الآن بلا تيغازو (تعني حرفيًّا ضربة السوط).»





ماذا تقصد بذلك؟

«إنَّه لاعب قادر على زعزعة المنافس، وتغيير مجريات المباراة بحركة واحدة. لا شكَّ في أنَّ هناك لاعبي كرة قدم ماهرين، لكنَّهم يعجزون عن فعل ذلك طوال الدقائق التسعين. في حين يستطيع هوبثَّ الحماس بين الجماهير ومنتقديه على حدِّ سواء بمراوغة واحدة أو تمويه.

ومع ذلك، فتحن الأرجنتيين غير معتادين على مثل ذلك؛ إذ أَلْفنا مشاهدة اللاعبين العظماء، المتكاملين، المتناسقين، الذين يُسَخِّرون مواهبهم لمصلحة الفريق. لذا، فأمام ميسي المزيد لتعلُّمه».

ما الذي يتعيَّن عليه تعلُّمه؟

«يتعيَّن عليه أن يفهم أنَّه جزء من كلِّ، فيشارك زملاءه الكرة، ويمرِّرها بصورة أسرع، ويعمل على صناعة الأهداف، وعدم الاعتقاد أنَّه لاعب يواجه العالم أجمع وحده. فأداؤه يوحي أحياناً بأنَّه يريد الكرة لنفسه فقط، ولا يودُّ مشاركة أحد فيها. ما زال أمامه متَّسع من الوقت للتعلُّم، لكنَّه يحتاج إلى مدرِّب قدير وزملاء رائعين لينجح في ذلك. وهو يملك ذلك كلَّه الآن في صرح عظيم مثل نادي برشلونة».

هل من شيء آخر يتعيَّن عليه تعلُّمه؟

«يجب أن يكون حذرًا حيال التسويق».

ماذا تقصد بذلك؟

«يجب ألا يفكِّر أنَّه، إذ لم يؤدِّ جيدًا فسيفقد عقود الترويج للساعات، أو المشروبات، أو ما شابه».





لتغيّر الموضوع... ميسي ومارادونا؟

«لا مناص من المقارنة بينهما، فمارادونا وبيليه يُعدّان أنموذجين في كرة القدم، لكنّ المقارنة هنا غير عادلة. ويمكن عمل مقارنة عندما ينهي ميسي مسيرته الكروية، لكنّها لن تكون دقيقة حينئذٍ أيضًا.»

لماذا؟

«لأنّ اللاعبين اليوم يواجهون عقبات أكثر من تلك التي كانت قبل عشرين عامًا. لقد أصبحت كرة القدم اليوم في حاجة إلى سرعة أكثر، ومجهود بدني أكبر. وأصبح عدد المباريات وكَمّ المعلومات أكبر؛ فنحن نعرف كلّ شيء عن أيّ شيء. لذا، فمن الصعب حدوث أمر مفاجئ أو استثنائي. لقد أضحي العالم مكانًا أكثر تعقيدًا.»

ذلك كلّه صحيح. ولكن، ألا توجد أوجه شبه بين كلا اللاعبين؟

«قطعًا هناك تشابه في بعض الصفات، مثل: السرعة، أو المراوغة الخاطفة، لكنّ حركة ميسي تكون في اتجاه واحد دائمًا، خلافًا لمارادونا الذي كان ماهرًا في استخدام كلتا قدميه.»

في رأيك، هل سيتفوّق ميسي على مارادونا؟

«أتمنى أن يصبح أفضل من مارادونا. فذلك سيكون أمرًا رائعًا بالنسبة إلى كرة القدم في الأرجنتين. ولكن، ينبغي لميسي أولاً الفوز بكأس العالم.»

ما الذي يُخبّئه المستقبل لميسي؟

«من الصعب التنبؤ بذلك، فعالم كرة القدم يتسارع بوتيرة كبيرة، ويتغيّر بسرعة فائقة. كلّ شيء يتغيّر، ويتطوّر على نحوٍ محموم.»





الفصل الحادي عشر

رخصة مشروطة

السادس من آذار عام 2001م



يظهر ليوفي صورته المطبوعة على أول بطاقة تعريف يُصدرها له نادي برشلونة بوجه ممتلئٍ وغرّة، فضلاً عن الابتسامة التي سرعان ما ستختفي؛ لأنّ الأمور لن تجري على أفضل حال بالنسبة إليه خلال الأشهر الأولى التي سيقضيها على الأراضي الكاتالونية، بعدما يمنحه الاتحاد الكاتالوني رخصة مشروطة لمزاولة كرة القدم في السادس من شهر آذار؛ أي بعد أسابيع عدّة على وصوله، ليصبح في اليوم اللاحق قادراً على الظهور أول مرّة على أرضية ملعب أمبوستا، مرتدياً القميص رقم (9) للبلاوغرانا (اللونان: الأزرق والعنابي في اللغة الكاتالونية)؛ حتى إنّه قد يتمكّن من تسجيل هدف. لكنّ الأمر المُشكّل هو أنّه أجنبي؛ ما يعني منعه من اللعب في البطولات الوطنية، ومن ثمّ فلن يحقّ له مشاركة فريق الأطفال (أ) في اللعب كما هو مُخطّط له. وهذا يحتم عليه الانضمام إلى فريق الأطفال (ب) الذي ينافس في البطولة المحلية لإقليم كاتالونيا. وقد زاد الأمر تعقيداً أنّ الفرق في شهر آذار كانت قد شكّلت، والمنافسات قد بدأت. لذا، كان من الصعب - والظلم - سحب أحد الأطفال الذين بدؤوا الموسم مع الفريق لإفساح المجال لليو، على الرغم من موهبة هذا الأخير.





هيسي

هناك أمر مُشكّل آخر يتمثّل في أنّ نادي نيولز لا ينوي إتمام إجراءات الانتقال اللازمة حتى يتسنى لنادي برشلونة تسجيل ليولدى الاتحاد الإسباني لكرة القدم.

هذا ليس كلّ شيء؛ فالأسوأ لم يأت بعد. ففي الحادي والعشرين من شهر نيسان، قام مدافع من نادي توروسا بالتصدي له بصورة عنيفة، أفضت إلى كسر في ساقه اليسرى.

كانت تلك أول إصابة في مسيرته الكروية. وهو يحتاج الآن إلى تقويم، فجيّرة، ثمّ إعادة تأهيل؛ ما يعني أنّه لن يتمكّن من اللعب قبل السادس من شهر حزيران.

وقد تكرّر الأمر نفسه بعد أسبوع؛ إذ تعرّض لإصابة أخرى، أفضت إلى حدوث تمزّق في أربطة كاحله الأيسر، لكنّ المُتسبّب هذه المرّة كان ليو نفسه؛ إذ تزلّقت قدمه في أثناء نزوله الدرج. ولحسن الحظ، فقد كانت إصابته أقلّ خطورة من سابقتها، وسوف يغيب - على إثرها - عن الملاعب ثلاثة أسابيع.

أمّا الخبر الجيد الوحيد المتعلّق بالصحة فمرده الفحوص وصور الأشعة التي خضع لها على يد اختصاصيي الغدد الصماء وأطباء النادي؛ إذ قرّر هؤلاء، بعد استيفائهم دراسة سجلّه الطبي ومشكلات النمو لديه، أن يُقلّوا جرعة العلاج بهرمون النمو تدريجيّاً. ويمكن لبرنامج تدريب خاص وحمية معيّنة أن يساعد الصغير على النمو بصورة طبيعية. ومع هذا، فقد يُضطر - في نهاية المطاف - إلى تحمّل الحقن سنوياً أخرى قادمة.

وفي حال استثنينا هذا الأمر، فإنّ بداية مشواره مع برشلونة كانت سيئة بامتياز، لدرجة أنّه عند نهاية الموسم، وفي خضم تلك الأحداث كلّها، لم يلعب





إلا في مبارتين رسميتين فقط، ودورة ودية (إضافة إلى المباريات التدريبية). أضف إلى ذلك كمّ المشكلات التي تعيّن على ليو وعائلته التعامل معها؛ ما أفضى إلى تفاقم الأمور وازديادها تعقيداً. فبعد انتقال عائلة ميسي إلى شقة على جادة كارلوس الثالث - بعد الإقامة في فندق رالي- بدأ الوضع على ما يرام. إلا أنّ التكيف مع بيئة المدرسة الجديدة وبرامج التدريس فيها كان أمراً بالغ التعقيد.

التحق ليو بمدرسة جون الثاني والعشرين الحكومية الواقعة في حيّ ليس كورتس قرب ملعب نو كامب. لا يزال ذلك الفتى الذي لا يحفل بالدراسة؛ إذ لم يكمل المستوى الرابع من التعليم الثانوي الإجباري؛ نظراً إلى زيادة التزاماته الكروية بصورة كبيرة، إضافة إلى أمور أخرى. لكنّه مع ذلك، لم يشكّل مصدر إزعاج لمدرّسيه؛ فقد كان طالباً جاداً مهذباً، يواظب على التزام الهدوء في أثناء جلوسه على مقعده عند الزاوية.

وإذا كان ليو قد تمكّن - بصعوبة - من التكيف مع مثل هذا الوضع، لكنّ ذلك لا ينطبق على أصغر أفراد العائلة، ماريا سول؛ إذ لم تتمكّن من التأقلم مع نمط الحياة الجديد.

قامت العائلة بدراسة خياراتها، ثمّ اتخذت بعض القرارات لدى مغادرتها إسبانيا في العطلة الصيفية، واجتماعها مرّة أخرى في روزاريو. فقد قرّر سيليا وخورخي (الذان اضطرا إلى العودة باكراً للأرجنتين من أجل العناية بشقيقة سيليا بعد خضوعها لعملية جراحية) أن يبقى شقيقا ليو وشقيقته في الأرجنتين. في حين سألا ليو عمّا يودّ القيام به، وما إذا كان يريد العودة إلى برشلونة، أو الحياة في روزاريو.





هيسي

لا تظهر على مَحْيَا الصبي مشاعر الحيرة أو التردد؛ فمن الواضح أنه يريد تحقيق النجاح في برشلونة، ولا يود أن يقلق عليه أحد. لذا، تجد العائلة نفسها مضطرة إلى الانفصال عن بعضها بعضاً بعد خمسة أشهر فقط من وصولها إلى إسبانيا؛ إذ سيقم بعضٌ منها على طرف المحيط (سيليا، وماتياس، وماريا سول، ورودریغو). في حين يستقر بعضٌ آخر (خورخي، وليو) على الطرف الآخر.

لقد أصبح الوضع أصعب من المتوقع بالنسبة إلى ليو الذي سيعود إلى برشلونة في العشرين من شهر آب، والذي بلغ الآن الرابعة عشرة من العمر.

انتهى فصل الصيف، وعادت المدرسة والتدريبات من جديد. ولأنّ موضوع الانتقال المشروط بموافقة الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم لم يُحسَم بعد، فإنّ ليولن يتمكن من اللعب إلا في دوري المباريات الودية. ما بيده حيلة إلا أن يبذل قصارى جهده في التدريبات، ويستثمر طاقته ورغبته في تحقيق الفوز في المباريات الودية التي يخوضها. كان ذلك أسلوباً لاحظته عليه مدربه وزملاؤه من أعضاء الفريق (ب).

ولحسن الطالع، فإنّ موسم الانتقالات بين الفرق يبدأ نهاية عام 2001م، ويستمر حتى مطلع عام 2002م. وفي هذه الأثناء، يوقع خورخي عقداً ثانياً بالنيابة عن ابنه في كانون الأول، وهو عقد بديل عن ذلك الذي وقَّعه في أيار، وقد تضمّن تصويباً لبعض المسائل، ولا سيّما المادية منها؛ نظراً إلى الحالة المادية المتردية - نوعاً ما - التي كانت تمرّ بها العائلة بسبب تأخر الدفعات، والمشكلات البيروقراطية.

يُذكر أنّ ليو سيوقع ستة عقود يلتزم بها باللعب مع نادي برشلونة على مدار السنوات القليلة المقبلة، ويُعدّ ذلك دليلاً على التقدّم اللافت الذي أحرزه هذا





اللاعب، فضلاً عن المستجدات التي طرأت على أولويات النادي، والمشكلات الداخلية التي يعانيتها. ومن ذلك، شعور المدير بالانزعاج لعدم إعلامه بالمفاوضات الجارية، ثم رميه العقد في سلة المهملات، وكذا عدم تقبُّل بعض إداريي النادي لفكرة إنفاق مبالغ طائلة في سبيل التعاقد مع صبي صغير.

في نهاية المطاف، وصلت وثائق الفيفا في شهر شباط، وذلك أتاح للاتحاد الإسباني لكرة القدم المضي قدماً في التصديق على عقد ليو. ففي السابع عشر من شهر شباط عام 2002م، وبعد سنة تقريباً من وصوله إلى برشلونة أول مرّة، يُسَمَح ليو بالمشاركة في البطولة؛ إذ لعب أمام فريق أسبلوغويس دي يوبريغات على ملعب كان فيداليت. ومع أنّه دخل الملعب في الشوط الثاني فقط، لكنه نجح في تسجيل ثلاثة أهداف لتصبح النتيجة النهائية (1-14). بعد ذلك بأقل من شهر، وفي التاسع والعشرين من شهر آذار تحديداً، نال ليو أول لقب له مع فريق البارسا بعد فوزه على فريق إل برات (0-6). وبذا، تكون الأيام السيئة قد ولّت، ويبدأ زمن الانتصارات المتوالية؛ كالفوز بدورة تايجن في سويسرا، والأهم من ذلك، الفوز بكأس مايستريللي في مدينة بيزا بإيطاليا، التي أقيمت فيها المباريات في المدة الممتدة بين السابع والعشرين من نيسان والسابع من أيار. فقد تغلّب الفريق (ب) على معظم الفرق المشاركة، مثل: الإنتر، وكيفو، وبريشيا؛ وتعادل مع يوفنتوس، وتمكّن من هزيمة بارما في النهائي، ليتوجّج ليو بعدها بأفضل لاعب في البطولة، ويصبح فجأة لاعباً عظيم الشأن.

يقول سيسك فابريغاس قائد فريق آرسنال الإنجليزي (انتقل إلى برشلونة في موسم 2011م-2012م) الذي كان زميلاً ليو حينئذٍ: «كنا نعتقد أنّه أبكم، ثمّ اكتشفنا أنّه ليس كذلك، وأنّه يستطيع الكلام؛ وذلك بفضل البلاي ستيشن، وتلك الرحلة إلى إيطاليا.





ميسي

وحتى تلك اللحظة، كان فكتور فاسكيز دائم الملاحظة لميسي، اللاعب في صفوف الفريق (ب)، الذي يدخل غرف تبديل الملابس، ويجلس في إحدى الزوايا ليبدّل ثيابه، ثم يغادر من دون أن ينبس ببنت شفة. لقد تمكّن هذا الفتى من كسب ثقة مَنْ حوله عندما كنّا في إيطاليا، ولا سيّما فكتور فاسكيز الذي كان يلقبُه بـ «القرم».

أخذ ليو يتحدث مع فكتور بلهجة اللونفاردو؛ أي العامية الأرجنتينية، وكان من المستحيل فهمه إن فعل. ويُقَرّ المدربُّ تيتوفيلانوفاً بأنّ كأس مايستريلي مثل فرصة لميسي مكنته من الاختلاط أكثر بزملائه في الفريق، وقضاء الوقت معاً، والتخلّص من حالة الخجل التي كانت تعتريه. يقول فيلانوفاً: «فهو لم يكن خجولاً قطّ على أرض الملعب. وقد بدأ صغير الحجم، مثل مارادونا في أثناء مقارعة اللاعبين».

لم يحظَ ميسي بمديح مدرّبه فحسب، بل نال احترام أقرانه وتعاطفهم أيضاً. بعد تجاوز المرحلة العصبية التي مرّ بها ميسي أول الأمر، ينتهي موسم 2001م-2002م على نحوٍ طيب؛ سواء في الوطن، أو في الغربية بعيداً عنه. فقد اختتم هذا الموسم بالفوز على فريقي ريال مدريد وإسبانيول، في دورتي فياريال وسان غابرييل.

انضم ليو إلى الفريق (أ) في بداية موسم 2002م-2003م، وقد شارك في مباريات الدوري كلّها (30 مباراة)، فكان اللاعب الوحيد الذي حظي بذلك الشرف، واستطاع إحراز (36) هدفاً، متقدّماً بذلك على ما أحرزه المهاجم فكتور بخمسة أهداف؛ منها ثلاثة هاتريك (ثلاثة أهداف)، وواحد سوبر هاتريك (أربعة أهداف)، فضلاً عن تحقيق لقبين مهمّين (لا ليغا دي ديفيجن دي أونور، وهدّاف كأس كاتالونيا)، إضافة إلى ألقاب أخرى، مثل: كأس لاديزلاو كوبالا التذكاري، والدورات الصيفية الثلاثية.



تساعد مثل هذه الحقائق والأرقام على تقديم إيجاز وتقييم للحملة التي بدأها ميسي عندما كان لا يزال في الخامسة عشرة من عمره. كان طوله حينها 1,62 متر، ووزنه 55 كيلوجرامًا. ومع أنه كان أقصر لاعب في الفريق (أطولهم كان جيرارد بيكيه؛ 1,91 متر)، لكنه لم يكن أصغرهم سنًا (سيبلغ رامون ماسوفالاماخو الخامسة عشرة في شهر تشرين الأول القادم). وعلى الرغم من ذلك كله، مثل ميسي أحد الأركان الرئيسة لذلك الفريق الموهوب، بقيادة أليكس غارسيا. وفي المقابل، تخلف هذا اللاعب عن المشاركة في مناسبة واحدة، هي بطولة كأس إسبانيا؛ إذ لم يتمكن هو ولا فرانك سونغو (نجل جاك؛ الحارس الكامبروني الذي لعب سابقًا لنادي ميتز الفرنسي، وديبورتيفو لا كورونيا الإسباني) من المشاركة (مع أنه شارك اللاعبون الآخرون فرحة النصر)؛ لأن القوانين تنص على أن اللاعبين المولودين في إسبانيا، أو أولئك الذين يحملون الجنسية الإسبانية، هم فقط الذين يحق لهم المشاركة في تلك البطولة تحديدًا. وهي قوانين أفضت إلى كثير من المشكلات والأزمات في السنوات المقبلة.





الفصل الثاني عشر

قناع بويول

حوار مع أليكس غارسيا أحد مدربي ميسي



حُدّد مكان اللقاء عند حلبة التزلج في ملعب نوكامب. اللاعبون الشباب المحترفون يلعبون، وهناك آخرون يواصلون أداء بعض التمارين المرهقة التي يرافقها صدام عنيف على الطرف الآخر من الحاجز الزجاجي الذي يفصل الحلبة عن المقصف والمرافق الرياضية. يعرف أليكس غارسيا أحد تلك التمارين جيدًا، وإن كان يمارس التمرين على أرضية مختلفة تمامًا. أليكس في الثانية والأربعين من العمر، كان لاعب وسط هداًفاً في النادي الكاتالوني (لعب أول مباراة له في الخامس من شهر كانون الأول عام 1990م، ضمن أشهر فريق مرّ على النادي: فريق الأحلام)، وعمل مدرباً لفريق الشباب في النادي مدّة تسع سنوات (درب ميسي موسمًا كاملًا). وهو الآن يدرّب فريق نادي دينامو تيبليسي.

نعد قليلاً إلى بطولة موسم 2002م-2003م، من أبرز اللاعبين الذين أشرفت على تدريبهم؟

«هذا هو عامي الثاني الذي ما زلت فيه مدرباً للفريق (أ)، الذي ضمّ مجموعة من الفتية الموهوبين، أمثال: سيسك فابريغاس، وبيكيه، وفاسكيز، وليو».





كيف كان هذا الأخير؟

«كان متوقِّد الذهن، ينتبه لكلِّ شاردة وواردة، هادئًا، خجولًا، متحفِّظًا، راقبًا. لقد كان لاعبًا فريدًا ومتميزًا؛ إذ لم يتمكن أحد من إيقافه حال حصوله على الكرة، وكانت مراوغاته فاصلة حاسمة. أذكر أيضًا أنه كان يشعر بضيق شديد في حال لم تمرَّر له الكرة، أو تراجع أداؤه على نحوٍ لا يرقى إلى طموحه، لكنَّه لم يكن يحتج على قرارات الحكَّام، أو على أيِّ خطأ ارتكب بحقِّه، ولم يحاسب صاحبه على ذلك.»

كيف كان تعامله مع بقية أفراد الفريق؟

«لقد كانوا يعنونون به كثيرًا، ويدافعون عنه؛ لأنَّه كان بمنزلة أخيهما الأصغر، فضلًا عن تعرُّضه كثيرًا للأذى من لاعبي الفرق المنافسة، وهذا ما دفع بيكيه وفاسكيز إلى مساندته دائمًا. لقد كان الجميع يدركون أهميته ودوره الفاعل في الفريق، وقدرته على حسم المباراة في أيِّ لحظة.»

هل نشبت بينكما أيِّ مشكلات؟

«لا، أبدًا. كنت أدرك أنه بعيد عن وطنه وعائلته، وأنه يعيش هنا مع والده وحدهما. كنت أتخيل مدى الحنين الذي يشعر به تجاه وطنه وبلدته، وأسأله أحيانًا عن ذلك الأمر، لكنَّه كان يتصرَّف بصورة طبيعية، وكأنَّ كلَّ شيء على ما يرام. ولعلَّ أبرز ما كان يتصف به، هو قدرته الفائقة على إخفاء مشاعره كلِّها، وطموحه الذي لامس عنان السماء. ومع أنه كان صغيرًا لم يتجاوز سنَّ الخامسة عشرة بعدُ، لكنه كان على دراية بما يصبو إليه، وبوجود فرصة سانحة للعب مع فريق البارسا. لقد كان ليوعيي جيدًا معنى بذل التضحيات؛ سواء من طرفه، أو من طرف عائلته، ولم يكن يشأ إضاعة الفرصة التي أتاحت له. كان الشيء الوحيد الذي يضايقه فيما يخصَّ كرة القدم - علمًا بأنَّه لم يشتك





قطّ من أيّ شيء، على الرغم من ظهور الامتعاض والضيق على مَحْيَاه - هو اللعب في المكان الذي لا يناسبه. كنت أشركه في مواقع مختلفة من الملعب؛ حتى أطوّر مهاراته (وهذا إجراء معتاد في فرق الشباب)، فتارة يكون لاعب وسط أو لاعب وسط متقدّمًا، وتارة أُخرى يكون لاعب جناح أيمن أو أيسر، لكنّه لم يكن يحبّ ذلك؛ فنراه يغادر مكانه خلال دقائق معدودات ليتمرّكز خلف المهاجمين. لم يكن شيء يردعه عن ذلك».

ما الذي يمكن أن تعلّمه لفتى مثله؟

«أعتقد أنّه عرّفنا كرة القدم التي تلعب في الشوارع، أو كما يسمونها في الأرجنتين «لعب الحواري»، التي تشمل المراوغة والتمويه. وقد حاولنا نحن بدورنا أن نغرس فيه كرة القدم الهجومية التي نمارسها (الخاصة بالبارسا)، وتشمل الاستحواذ على الكرة وقتًا طويلاً، وبذل أقصى مجهود، والتقدّم إلى الأمام بلمس الكرة مرّتين أو ثلاث، وتبادل الكرة في منتصف الملعب، والضغط على الخصم في مناطقه؛ إذ يتعيّن على كلّ لاعب أن يُظهر جميع مهاراته في أثناء اللعب».

ما أجمل الصور والذكريات التي لا تزال عالقة في مخيلتك عن ذلك

الموسم المنصرم؟

«هناك كثير من الصور العالقة في مخيلتي عن ليو، لكنّ أكثرها روعة هي تلك المتعلقة بالقناع».

لم لا ترويهما لنا؟

«حدث ذلك في آخر مباريات الدوري، التي جمعت برشلونة بإسبانيول على ملعب مينيستادي. كنّا في حاجة إلى تعادل على الأقلّ لنفوز بالبطولة.





هيسي

وبينما كنا متقدمين (0-1)، وقع فجأة تصادم بين ليو وأحد مدافعي البيغاوات (لقب نادي إسبانيول). فقد ليو الوعي لحظات، ونُقِلَ إلى المستشفى في سيارة إسعاف. قالوا: إنه أُصيب بكسر في عظم الوجنة، وإنه يحتاج إلى أسبوعين ليتعافى. لم يتمكن من اللعب في المباراة النهائية لكأس كاتالونيا التي تقرّر موعدها بعد أسبوعين فقط من ذلك. أحزنت تلك الأخبار الفريق بأكمله، خاصة أنهم تمكنوا من هزيمة إسبانيول بنتيجة (1-3)، وتوجّوا أبطالاً للدوري. حسناً... يمرّ الأسبوع الأول، ويخبرنا أطباء النادي في الأسبوع الذي يليه أن بإمكان ليو التدرّب إن ارتدى قناعاً واقياً. كان لاعب الفريق الأول كارلوس بويول قد عانى قبلها بشهرين إصابةً مشابهةً، وآثر ارتداء واقٍ للوجه على إجراء عملية جراحية. ذهبنا لإحضار القناع لتتعرّف إذا كان بمقدور ميسي استخدامه أم لا. وافق الأطباء على الأمر، وسمحوا له باللعب في النهائي الذي أقيم في الرابع من شهر أيار بشرط ارتداء القناع».

ماذا حدث في المباراة النهائية؟

«بعد بدء المباراة، وقيام ليو بهجومين متواليين، لاحظت أنه يرفع القناع قليلاً؛ فقياسات القناع لا تناسبه، ولا تتيح له الرؤية جيداً. يقترب من الدكّة بعد دقيقتين، ثمّ يصرخ صوبي قائلاً: «إليك القناع يا كابتن»، ويرميه باتجاهي. فرددتُ قائلاً: «إن نزعته يا ليو، فسأخرجك من الملعب. تصرّفك سيوقعني في ورطة...». فردّ قائلاً: «لا، أرجوك يا كابتن، دعني ألعب قليلاً فقط». وفي هذه الأثناء، تمكّن من الاستحواذ على الكرة مرّتين في خمس دقائق، ثمّ سجّل هدفين. فقد استلم الكرة من منتصف الملعب في المرّة الأولى، ثمّ وصل مرمى الخصم، وراوغ الحارس مسجّلاً هدفه الأول. وفي المرّة الثانية تلقى تمريرة عرضية من فرانك سونغو، ثمّ أنهاها في المرمى على نحو رائع. كنا متقدمين





(3-0) مع نهاية الشوط الأول، فقلتُ له: «لقد قمت بواجبك تجاه الفريق، استرح على الدكّة الآن».

يا لها من قصة جميلة! اصدقني القول الآن، هل توقّعت أن يُحقّق

ميسي ما حقّقه؟

«نعم. ولكن، ليس بهذه السرعة؛ فقد كنتُ موقناً أنّه يمتلك الكثير من المواهب، وأنّه سيتمكّن من اللعب مع الفريق الأول. ولكن، أن تتفجّر مواهبه وطاقاته بتلك السرعة، فهذا ما لم أتوقّعه. لقد حدث كلُّ شيء بسرعة كبيرة. لذا، أعتقد أنّه سيترك بصمة وعلامة مميّزة في هذا العصر إذا لم يتعرّض لإصابة خطيرة».





الفصل الثالث عشر

الظهور الأول

السادس عشر من تشرين الثاني عام 2003م



إنَّه ملعب دراغاو الجميل، بلونه الأزرق المتباين مع أرضية الملعب الخضراء؛ مدرجاته المكشوفة تتيح إلقاء نظرة على مدينة بورتو بأضوائها البهية. تزيد المظلة البيضاء من بهاء أرضية الملعب.

بُنِيَ هذا الملعب الذي صمَّمه المهندس مانويل سالغادو، ويتسع لاثنتين وخمسين ألف متفرِّج، ليحلَّ محلَّ الملعب القديم المُسمَّى داس إنټاس، ويستضيف بعض مباريات بطولة أمم أوروبا لعام 2004م.

أُقيمت المباراة الافتتاحية للبطولة هناك، حيث واجهت البرتغال اليونان. إنَّه الملعب الذي يحتضن عادة مباريات نادي بورتو لكرة القدم؛ وهو مكان جميل ومضاء بصورة جيدة، تتناسب مع أول ظهور لليو الذي سيشارك الفريق الأول للعب، خاصة أنَّه يصادف يوم الأحد، السادس عشر من شهر تشرين الثاني عام 2003م؛ وهو تاريخ افتتاح الملعب.

تجمَّعت الحشود الهائلة التي حفزها الفضول وحبَّ الكرة إلى ترقُّب بدء مراسم افتتاح البطولة، ومتابعة لوحات فنية رائعة لكرة القدم في مدينتهم، وتجربة سحرها مباشرة، آملَّة أن تمثل ألوان ملابس فريقها فألاً حسناً بالنسبة





ميسي

إليهم، ومتطلّعةً إلى قضاء نصف ساعة بأبصار شاخصة تجاه السماء التي اشتعلت بالألعاب النارية.

تُعدّ مباراة اليوم حدثًا قليل الأهمية؛ فهي تفتقر إلى كثير من فنون كرة القدم، وإلى مشاعر الإثارة والحماس التي تلازم مدرّجات المشجّعين عادة، ناهيك عن الأداء الممل الهزيل الذي رافق الحدث والفريق المضيف، وانتهى بخروج هذا الأخير فائزًا بنتيجة (2-0).

يظهر ليونيل ميسي أول مرّة في الدقيقة الرابعة والسبعين. لقد كان التغيير الثالث الذي يجريه نادي برشلونة، الذي انضمّ إلى كوكبة الأبطال الذين يحتفلون بذلك العرس الكروي البرتغالي. ضمّت التشكيلة - قسرًا - كثيرًا من لاعبي الفريق الرديف؛ إذ جرى استدعاء اللاعبين الدوليين إلى منتخبات بلادهم، للمشاركة في التصفيات المؤهّلة لبطولة أمم أوروبا لعام 2004م، أو في المباريات الودية. إذن، لقد استُدعي الصغار الواعدون لرحلة البرتغال، وهم: خواكيرا، وأوسكار لوبيز، وأوليغير، وماركيز، وفيرناندو نافارو، وتشافي، وروس، وسانتا ماريا، وغابري، ولويس غارسيا، ولويس أنريكة، وإيكسبوزيتو، وتياغو، وجوردي، وأوريول ريبيرا، وميسي، الذي كان قد أحرز في اليوم السابق ثلاثة أهداف في أثناء مشاركته الفريق (أ) في غرانولرز (مدينة قريبة من برشلونة).

يدخل ليو بديلاً لنافارو، مرتدياً القميص رقم (14)، على أحرّ من الجمر للكشف عن معدنه. وقد نجح في ذلك مع أنّ مشاركته لم تتعدّ ربع ساعة؛ إذ هيأ لزملائه فرصتين للتسجيل. يُعلّق فرانك ريكارد - بعد المباراة - على ذلك قائلاً: «إنه فتى موهوب جدًّا، ولديه مستقبل واعد».

يبلغ ليو من العمر ستة عشر عامًا وأربعة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا. ويصبح بذلك ثالث أصغر لاعب في تاريخ النادي يشارك الفريق الأول في



مبارياته. وقد سبقه إلى ذلك كل من: بولينو الكانتارا، الذي شارك أول مرة في مباراة أمام نادي كاتاليا في الخامس والعشرين من شهر شباط عام 1912م، وكان يبلغ حينها خمسة عشر عاماً وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً، والنيجيري أرونا بابانغيذا الذي أشركه المدرب السابق للفريق لويس فان خال دقائق معدودات في مباراة أمام نادي إيه جي، أو في الهولندي عام 1998م، وهي مباراة ودية تحضيرية أُقيمت في هولندا، وكان عمره وقتئذٍ خمسة عشر عاماً وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً. لقد كان ذلك حقاً مؤشراً إيجابياً لأداء الفتى الصغير الذي وصل من الأرجنتين قبل سنتين ونصف السنة.

شكّلت تلك الليلة الرائعة في بورتو استثناءً إلى حين؛ إذ تعيّن على ميسي الانتظار حتى شهر تموز من عام 2004م ليعاود اللعب مع الفريق الأول مرة أخرى. كان ذلك في الجولة الآسيوية للفريق التي شملت كوريا الجنوبية، واليابان، والصين.

وكان نادي برشلونة قد شهد تغييرات كثيرة قبل ذلك بمدة وجيزة؛ إذ تمكّن خوان لابورتا من الفوز في انتخابات رئاسة النادي التي جرت يوم الخامس عشر من شهر حزيران عام 2003م. وكان فرانك ريكارد قد وصل لتدريب الفريق الأول، تبعه تقديم أمل النادي الجديد؛ رونالدينيو، الذي رحّب به نحو 30,000 مشجع في نو كامب.

بعد انتهاء موسم 2002م-2003م الكارثي (الخروج من ربع نهائي دوري الأبطال على يد يوفنتوس، وكذا كأس الملك على يد فريق نوفيلدا القادم من الدرجة الثانية، واحتلال المركز السادس في الدوري بفارق اثنتين وعشرين نقطة عن صاحب اللقب ريال مدريد، وإقالة مدربيّين هما لويس فان خال، ورادومير أنتك، ورئيسيّين للنادي هما خوان غاسبارت، تبعه أنريك رينا مدة انتقالية إلى حين إجراء الانتخابات)؛ يأمل المساهمون في النادي أن تتحسن





هيسي

الأمر، وأن تُردم الهوة بينهم وبين غريمهم التقليدي ريال مدريد؛ ما يتطلب من النادي تصويب أوضاعه، وجلب من بإمكانه المساعدة على ذلك.

لم يقتصر التغيير على الفريق الأول فحسب، بل تعداه ليشمل فرق الفئات العمرية. وقد بدأت بوادر هذا التغيير بإقالة مدير الكرة خواكيم ريفه من منصبه، وتعيين جوسيب كولومر خلفاً له، الذي قام - في أثناء ولايته - بتعيين الأرجنتيني أنخل غوييرمو أويوس مدرباً لفريق الشباب (ب)، الذي يضم لاعبين من مواليد عام 1987م.

وكان أويوس لاعب الجناح قد لعب لأندية كوردوبا، وخمنازيا دل بلاتا، وبوكا جونيورز، وتشاكاريتا، وإيفرتون (في تشيلي)، وديپورتيفو تاكيرا (في فنزويلا) وريال كاستيا (في إسبانيا). وحين التقى هذا اللاعب ميسي سرعان ما انسجما مع بعضهما بعضاً، حيث أخذتا يتحدثان عن كرة القدم، وعن شغف ليو بنادي نيولز بالطبع. لقد فهم كل منهما الآخر بسرعة.

يظهر الانطباع الأول للمدرب الجديد على الأراضي اليابانية في بداية شهر آب من عام 2003م، حيث يوشك فريق الشباب (ب) أن يشارك في بطولة تويوتا الدولية للشباب دون سنّ (17) عاماً. يقول أويوس: «طلبت إلى اللاعبين أداء بعض التمرينات الخفيفة لحظة وصولي؛ بغية تليين العضلات. لم تكن تلك تمارين صعبة أو شاقّة. لم أكد أصدق عيني بعدها بخمس دقائق. لقد سبق أن أخبروني عنه بالطبع. لكنني لم أدرك أنّ الأمور بلغت ذلك الحدّ الكبير؛ فقد كان ليو شرساً حقاً».

ترسّخت هذه الفكرة في أثناء المباراة التي خاضها الفريق أمام فريق نادي فينورد في إقليم إيتشه؛ إذ مرّت ربع ساعة على البداية والبارسا متأخر بهدف. ليو يطلب الكرة، يتجاوز أربعة مدافعين وحارس المرمى، ثمّ يضع الكرة





على طبق من ذهب لزميله سونغو ليسجل هذا الأخير هدفًا. لا يُصدّق أويوس عينية؛ فهو من ناحية مشدوه من روح التعاون التي يتحلّى بها الصبي، ونأيه عن الأنانية التي كانت ديدن من هم في سنّه (أو أكبر منه سنًا)؛ وهو من ناحية أخرى مبهور من الأداء الفني المتميّز الذي رآه.

اختير ليو أفضل لاعب في البطولة؛ وهو لقب سيحظى به مرّة أخرى. ولكن، في بطولة جاوميه سيرا التذكارية لكرة القدم التي ستقام في مدينة سيتغيس، وبطولة سلفادور ريفاس ميرو التذكارية الثالثة التي ستقام في سان فايسينت دي مونتالت، فضلًا عن دورة الصداقة التي ستشهداها مدينة سان جورجيو ديلا ريشينيفيلا أو آخر آب، وهي مدينة تابعة لمقاطعة بوردينوني الإيطالية.

تمكّن فريق الشباب (ب) من التغلّب على فريق بارما، وفريق مدينة فريوللي - فياتشينزا - جيوليا المستضيف، وكذا فريق هانزا روستوك، وإنتراخت فرانكفورت، وتريفيزو. وأخيرًا حقّق فوزًا باهرًا على فريق يوفنتوس في المباراة النهائية بنتيجة (4-0).

لقد تمكّن الفريق من تسجيل (35) هدفًا، إلا أنّ ليو يشعر بالذنب ولا يسامح نفسه من جرّاء إضاعته ركلة جزاء. ومع أنّ الهدف الذي أحرزه من ركلة جزاء في المباراة النهائية خفّف من عقدة الذنب التي اعترته، لكن الخطأ الذي ارتكبه ما زال يؤرّقه.

يحاول أويوس تهدئته في البداية، بقوله: إنّ حارس المرمى سيخبر أولاده وأحفاده أنّه صدّ ركلة جزاء سدّها أفضل لاعب كرة قدم في العالم. بعد ذلك، أخضع أويوس ليو لتدريب يومي يتضمّن التركيز على تسديد ركلات الجزاء، موضّحًا أنّه (ليو) قد يسدّد خمس أو ست ركلات في أثناء الموسم، وقد تكون إحداها حاسمة؛ سواء أكان ذلك في مباراة مصيرية، أم دورة مهمة. كلمات





ميسي

سيبتكرها ليولاحقًا عندما يشارك منتخب الأرجنتين فرحة الفوز ببطولة كأس العالم لفئة الشباب دون سنّ العشرين، بفضل ركلتي جزاء يسجلهما في المباراة النهائية.

يُذكر أنّ الشراكة الناجحة بين أويوس وميسي (تعرّضا خلالها إلى خسارة واحدة فقط كانت أمام ريال مدريد في دورة خوزيه لويس رويز كاسادو سان التذكارية) لم تدم طويلاً على الرغم من ذلك كلّه؛ إذ اقتصر على مرحلة الإعداد فقط. فمسؤولو النادي لا يساورهم أدنى شكّ في أنّ مستوى أداء ليو يفوق مستوى أداء أقرانه في الدوري الذي ينشط فيه، فيقررون ترقّيته وترشيحه للعب مع فريق الشباب (أ) بصحبة جيرارد بيكيه.

هناك يبدأ نجم هذا اللاعب الفريد بالصعود؛ ففي موسم واحد فقط، حظي ليو بفرصة الانتقال من فريق الشباب (ب) إلى فريق الشباب (أ)، ثمّ من فريق البارسا المصنّف من فرق الدرجة الثالثة إلى نظيره في الدرجة الثانية. ولا ننسى اللحظات العابرة التي سطع فيها نجمه مع الفريق الأول، وعودته إلى فريق الشباب لمساعدة زملائه السابقين. وهذا وصف مفصّل لأداء ميسي واللحظات التي سطع فيها نجمه في أثناء مشاركته كل فريق من الفرق الثلاثة:

فريق الشباب (أ): وصل ليو في ثالث أيام الدوري. مكث حتى عيد الميلاد، ولعب في هذه الأثناء - بضعة أسابيع- مع فريق البارسا في دوري الدرجة الثالثة، ثمّ عاد في نهاية شهر أيار؛ للمشاركة في كأس الملك. لقد شارك في (11) مباراة من مباريات البطولة، أحرز خلالها (18) هدفاً، كان أحدها هدفاً رائعاً بحقّ. سجّل ميسي الهدف في مرمى ريال بيتيس خلال المباراة النهائية لدورة نيرخا؛ إذ وجد نفسه في منتصف الملعب، ولاحظ أنّ حارس المرمى متقدّم عن مرماه، فسدّد بقوة، لتنتلق الكرة كالقذيفة متخذة شكل القوس، ثمّ تستقر في شبك المرمى، معلنة إحراز هدف، وتحقيق انتصار.



فريق البارسا المصنّف ضمن فرق الدرجة الثالثة: يعاني الفريق أوضاعاً صعبة مع نهاية شهر تشرين الثاني من عام 2003م؛ إذ تمكّن فقط من جمع (9) نقاط من (14) مباراة. ثمّ تتغيّر الحال حين تصله التعزيزات الممثلة في ميسي والفني القادمين من فريق الشباب (أ). يخوض اللاعبان مباراتهما الأولى مع الفريق محقّقين له النصر على فريق يوروبا في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني. وقد أبلى كلاهما بلاءً حسناً، لكنّ اللحظة الفضلى تأتي في الرابع من شهر كانون الثاني عام 2004م، حيث يلعب الفريق أمام فريق نادي غرامينيت في سانتا كولوما. البلوغرانا متأخرون بهدف (2-1).

وفي الدقيقة السابعة والثمانين، يحين الوقت ليسطع نجم ليو. فيسجّل هدفين بلمح البصر؛ أحدهما بضربة رأسية، والآخر بقدمه اليسرى (إضافة إلى هدف التعادل قبل ذلك)، ويؤمن البرغوث النصر لفريقه. لقد تمكّن من إحراز خمسة أهداف في عشر مباريات، وأسهم في إنقاذ الفريق من شبح الهبوط، ليرحل بعدها عاقداً العزم على رفع سقف طموحه وما يصبو إليه؛ فمستواه يؤهّله للعب في دوري الدرجة الثانية أو الأولى، وهو واثق من قدرته على إيجاد موطئ قدم له في مثل هذا الدوري، مع أنّه لا يزال في السادسة عشرة من العمر.

فريق البارسا المصنّف ضمن فرق الدرجة الثانية: خاض ميسي مع هذا الفريق - على أرضه - مباراته الأولى في السادس عشر من شهر آذار، التي جمعته بفريق ماتاريو. وقد اعترف المدرب بييري غراتاكيوس بضرورة إعداد برنامج تدريب خاص بليو؛ لأنّه سيضطر إلى مواجهة لاعبين أكبر منه، وأطول، وأقوى، وأكثر خبرة. وأعرب عن ذهوله من قدرة ليو الفائقة على التأقلم والتكيّف بسرعة مع الفريق الجديد، الذي يضمّ زملاءً مختلفين، وتشكيلات متنوعة، ويقدم مع ذلك أداءً مذهلاً.





ميسي

لعب ليو خمس مباريات، حقّق الفوز في أولها فقط. ومع ذلك، فقد علّق غراتاكيوس على ذلك بقوله: إنّه كان يتأقلم وحسب، واستطاع بعدها الكشف عن قدراته. وهذا ما حدث حقّاً؛ إذ اعتاد - بعدئذٍ - اللعب في دوري الدرجة الثانية، وكان الأفضل في المباراة التي خاضها فريقه أمام فريق جيرونا، وذلك يعيدنا إلى المربع الأول كما في لعبة السلمّ والثعبان؛ فريق الشباب (ب). يقول مدرّبه في فريق الشباب خوان كارلوس بيريث روخو: «لو كان ليو شخصاً آخر لشعر بالانزعاج، لكنّه لم يفعل. كان لا يتردّد في تقديم المساعدة للفريق (ب) كلّما تطلّب الأمر ذلك».

يتكرر الأمر نفسه في المباريات الثلاث الأخيرة من دوري عام 2003م-2004م؛ إذ لا تزال ثلاثة فرق تتصارع على اللقب، هي: البارسا، وإسبانيول، وبريميا دي مار. تحدّد اللقاء المصيري الذي سيجمع فريقه بفريق البارسا في الخامس عشر من شهر نيسان. وفي حال تمكّن البيغاوات (إسبانيول) من الفوز في هذه المباراة، فإنّهم سيصبحون قاب قوسين أو أدنى من اللقب.

وفي واقع الأمر، فإنّ فريق البارسا يمرّ بوقت عصيب لا يحتمل أيّ خطأ إن أراد الحفاظ على فرصه قائمة حتى النهاية. يتفوّق ليو على نفسه، فيقود البارسا للتقدّم (1-2). وحين يحاول الخصم العودة إلى المباراة، وتعديل النتيجة، يردّ ميسي بطريقته الخاصة؛ هدف ثالث ينهي الأمور.

يحتفل الفريق بإحراز اللقب بعدها بأسبوعين. وقد أسهمت الأهداف الستة والثلاثون التي سجّلها في مباريات رسمية، وما مجموعه خمسون هدفاً (أحرز أربعة عشر هدفاً منها في مباريات ودية)، في ذيوع صيته، فضلاً عن فوزه بعقد احترافي جديد. لم تكن المفاوضات التي سبقت توقيع العقد سهلة؛





نظرًا إلى الخلافات التي دارت رحاها بين مسؤولي النادي وخورخي ميسي الذي تولّى الموضوع شخصيًا. وفي نهاية المطاف، تمكّن الطرفان من التوصل إلى اتفاق. وكان مسؤولو النادي على يقين أنّ ليو سيحظى بخيارات أخرى إن قرّر الرحيل، خاصة بعد خسارتهم سيسك فابريغاس لصالح نادي أرسنال خلال الفوضى التي أعقبت إقالة خوان غاسبارت، وهم لا يريدون أن يكرّر التاريخ نفسه مرّة أخرى.





الفصل الرابع عشر

إنتاج محلي

حوار مع كريستينا كوبيرو؛ الصحفية في صحيفة إل موندو



ديبورتيفو (عالم الرياضة)

ماذا يمثّل ليوميسي بالنسبة إلى البارسا؟

«إنّه يمثّل لبرشلونة - والعالم أجمع - نهاية الانتظار للاعب يخلف مارادونا. لاعب يمكنه الانضمام إلى قاعة المشاهير التي تحتضن لاعبين عظماء، أمثال بيليه ومارادونا وكرويف».

هل يُعدّ ميسي مثالا على اللاعبين الذين يمثّلون قيم النادي ومبادئه؟

«بلا شك. أعتقد أنّ برشلونة أكثر من مجرد نادٍ (شعار نادي برشلونة) بالنسبة إليه. انظر إلى طريقة تعاقدهم معه؛ إذ كان يعاني مشكلة في النمو، لكنهم قدّموا له دعماً كبيراً. إنّ نظرتهم إليه تتعدّى نطاق كرة القدم. هناك شيء آخر، فلطالما فضّل برشلونة اللاعبين الموهوبين أصحاب المهارة، وكان ميسي منهم حقاً. أضف إلى ذلك أنّه تدرّج في التنقّل واللعب - بين ظهرائنا - مع مختلف الفئات العمرية لفريق النادي. إنّه واحد منا؛ إنتاج محلي. لقد ترعرع على ثقافة البلاوغرانا. يقدر السكان في برشلونة ذلك الأمر. ولا ننسى أنّ من





ميسي

العادات المتبعة هنا، الحرص على مشاهدة مباريات فريق النادي على اختلاف فئاته العمرية. لذا، فكثير من الناس يعرفون ليو مُدَّ كان يلعب مع الفرق الشابة الفتية، ويدركون حجم الجهد الذي ينبغي أن يبذله اللاعب لبلوغ الفريق الأول. ذلك سبب يزيد من محبة ليو في قلوب جماهير النادي».

متى قابلت ميسي أول مرة؟

«أعرفه مُدَّ كان في سنّ السادسة عشرة. لقد تابعت حياته المهنية بأكملها؛ سواء مع فريق البارسا أو المنتخب الأرجنتيني.

فما زلت أتذكر أول مرّة أُجريت فيها حوارًا معه... كان فتى خجولًا، وقد فوجئت حين قال لي: إنّه لا يحبّ مشاهدة كرة القدم، بل ممارستها. ثمّ أسرّ لي بحادثة أُخرى عندما كان في المجر؛ إذ بكى طوال الليل بعدما تعرّض للطرد في أول ظهور له مع الألبيسيلستي (لقب المنتخب الأرجنتيني الأول)».

كيف تغيّرت حاله على مدى السنوات القليلة الماضية؟

«فيما يخصّ كرة القدم، أعتقد أنّه وصل درجة يستحقها، خاصة بعد هدفه في مرمى فريق خيتافي وإسبانيول. لقد تخلّص من عباءة مارادونا، وأصبحت له شخصيته الخاصة بليو ميسي. وسنحت له كثير من الفرص لإظهار جميع المهارات التي يمتلكها، والتي استمدّها من مارادونا بعد مشاهدته آلاف المرّات. لقد أظهر حقًا أنّه ماهر فيما يفعل، وهذا يكفي. أمّا الآن فيمكنه العمل على تطوير شخصيته وصقلها؛ إذ لم يعد ذلك الصبي الذي يبكي عندما يحزن، أو يضرب الأرض بقدميه (علامة على عدم الرضا)، كما فعل مرّة بعد نهائيّ دور الأبطال في باريس عندما رفض أخذ ميدالية. لقد أصبح ناضجًا الآن؛ ففي حال اعترته حالة من الغضب، فإنّه يُعبّر عن ذلك بالكلام، والبوح عن مكونات نفسه، مثلما فعل عندما أهدى أهدافه إلى رونالدينو. وأصبح وضعه الاجتماعي





أفضل حالاً من قبل. أعتقد أنه يدرك الآن كُنْه ما يمثله، والأجواء الحماسية التي يخلّفها وجوده، وقد ظهر ذلك جلياً بعد بطولة كوبا أمريكا الماضية التي أقيمت في فنزويلا، حين كانت المدرّجات بأكملها تصدح باسمه. أعتقد أنّ الأمر كان صادماً بالنسبة إليه، وأنّه لن يعتاد عليه بسهولة. لكنّ الجميل في هذا الأمر أنّ الشهرة لم تغيّره؛ فهو يتصرف على سجيّته كما كان في السابق، على الرغم من غياب الخصوصية. وأذكر في هذا المقام حادثة تعرّض لها قبل أشهر عدّة، حين ما كان في روزاريو يقود سيارته، ثمّ استوقفه طفل عند إحدى الإشارات الضوئية، طالباً منه صورة له. وقد يُخيّل إلينا أنّ ليو سيُنزل زجاج السيارة، ثمّ يسمح للطفل بالتقاط صورة له بوساطة هاتفه. ولكن الأمور لم تجرِ على هذا النحو؛ إذ أوقف ليو سيارته، ثمّ نزل منها لالتقاط صورة له مع الفتى».

كيف تغيّر سلوكه في غرفة تبديل الملابس؟

«إنّه ليس قائد الفريق، لكنّه كان القائد في كرة القدم، ولا أحد يعارض ذلك. يعرف زملاؤه في الفريق جيداً ما قد يصدر عنه من أفعال أو سلوكيات، والكلّ يعرف المكانة الكبيرة التي يحظى بها».

أصبح خوان لابورتا ذات يوم رئيساً للنادي، وكان يُشار إلى رونالدينو حينها بأيقونة النادي، وهو وصفٌ ينطبق على ميسي الآن، فما الفرق بينهما؟

«لقد كان رونالدينو فتاناً وصاحب خدعة بالكرة. أمّا ليو فإنّه يمثّل روح اللعبة؛ أي السرعة والمهارة».





الفصل الخامس عشر

شريط فيديو لصبي

التاسع والعشرون من حزيران عام ٢٠٠٤م



يروى هوغو توكاللي القصة الآتية: «أحضروا لي شريط فيديو لصبي يلعب لنادي برشلونة. أعجبت كثيرًا بقدراته، لكن ما أخشاه دائمًا أن يكون الشريط مرسلاً من وكيل لأحد اللاعبين. يضاف إلى ذلك أن الصبي كان صغيراً جداً... لذا، قلت لنفسى: لا، سأنتظر بعض الوقت. أذهب إلى فنلندا برفقة منتخب للشباب دون سنّ (17). وبعد عودتي، تعرّف المزيد عن هذا اللاعب. أخبرني الجميع أموراً رائعة عنه.

بعد حين، ذهبت لمقابلة غروندونا (خوليو غروندونا؛ رئيس الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم)، واغتتمت الفرصة لرؤية الصبي في مباراتين وديتين لعب فيهما ضد منتخبى كل من الباراغواي والأوروغواي».

كان ذلك الصبي هو ليو ميسي؛ لاعب غير معروف على الطرف الآخر من المحيط الأطلسي. أرسل الشريط المشهور إلى توكاللي (الذي كان مسؤولاً حينها عن شؤون الشباب في الاتحاد الأرجنتيني) عن طريق كلاوديو فيفاس؛ مساعد مارسيلو بيبيلسا (الملقب بالمجنون)، الذي كان حينها مدرباً للمنتخب الأرجنتيني الأول، ويدرّب الآن فريق نادي أتليتيكو بلباو الإسباني.





هيسي

أصاب فيفاس؛ اللاعب والمدرّب السابق في نادي نيولز، الفضول حيال ابن مدينته، المجدوم السابق مثله تمامًا، الذي كان قد قابله مرارًا في مدرسة مالفيناس لكرة القدم، والذي يحقّق الآن نجاحات باهرة في أوروبا. وصل الفضول لديه حدًّا جعله يقرّر إرسال شريط فيديو يبرز إبداعات ابن بلده، حتى يبيّن المدرّبون في الأمر.

ينجح الأمر، ويتقرّر لاحقًا تنظيم المباراتين الوديعتين المقترحتين كي يروه على أرض الواقع. أرسل الطلب الأول إلى نادي برشلونة في شهر أيار، الذي أخطأ القائمون عليه في تهجئة اسم هذا اللاعب؛ إذ طلبوا إلى النادي الاستغناء عن ليونيل ميكيّ بعض الوقت، حتى يتسنّى له القدوم إلى الأرجنتين. رُفِضَ الطلب بأسلوب مهذّب؛ فليو لا يزال لديه التزامات في بطولة كأس الملك. يبدو أنّ نهاية حزيران موعده مناسب أكثر. لا يطيق الاتحاد الأرجنتيني صبرًا لرؤية هذا اللاعب؛ فليو يعيش في إسبانيا منذ ثلاثة أعوام، ويلعب مع فرق الشباب في البارسا، وهناك احتمال أن يفقدوه (الاتحاد الأرجنتيني) لصالح الغضب الأحمر (لقب المنتخب الإسباني). ذلك احتمال وارد، خاصة إذا عرفنا أنّ مدرّب المنتخب الإسباني دون سنّ (16) عامًا؛ جينيس مينيديز، كان قد عرض على ليو اللعب لصالح إسبانيا حين قابله قبلها بعام في مدينة الباسيتي خلال كأس إسبانيا. كان جواب ليو حينها: «لا، شكرًا»؛ إذ يشعر ليو أنّه أرجنتيني حتى النخاع، مع أنّه يعيش في شبه الجزيرة الأيبيرية. ولكن، من يدرى؟ فقد يغيّر الفتى رأيه بعد شيء من الإلحاح. وعلى أيّ حال، فمن الأفضل قطع الطريق على الاتحاد الإسباني لكرة القدم.

يتذكّر توكاللي ذلك الأمر قائلاً: «لقد وصل يوم الإثنين للتدرّب مع فريق الشباب دون سنّ (20) عامًا. كان فتى خجولًا جدًّا، لم يكن يعرف أحدًا، ولم



يكن أحد يعرفه». كان زملاؤه في الفريق أمثال بابلوزاباليتا، وأوسكار أوستاري، وإيزيكويل غاراي، على عكسه، معروفين في البطولات المحلية.

اتخذ ليوركناً في غرفة الملابس التابعة لمعب نادي أرجنتينو جونيورز، ولم يَنسِ بنت شفة. ثم انقلب حاله عندما حان الوقت للتدرب واللعب؛ فلم يغدُ خجولاً كما ظهر بادئ الأمر. ومع أنّ المدرّب أُعجب به وبقدراته وسرعته، لكنه لم يُعبّر عن ذلك على أرض الواقع.

موعد المباراة المقرّر الذي سيواجه فيها منتخب الباراغواي، هو التاسع والعشرون من شهر حزيران. لم يكن ليو ضمن تشكيلة الفريق الأساسية، ربّما بسبب عمره، أو احتراماً من المدرّب للاعبين الذين يكبرونه سنّاً، أو تجنّباً لأيّ ضغوط قد يتعرّض لها. يقترب منه توكاللي في الشوط الثاني؛ في الدقيقة الخمسين تحديداً، والنتيجة تشير إلى تقدّم منتخب الأرجنتين (0-3).

يضع توكاللي يده على كتف اللاعب الشاب، قائلاً: «أذهب مع الممرّن المتوجّه إلى المعب». يفاجأ البرغوث بذلك ويتحمّس، ثم ينطلق نحو المعب، مرتدياً قميصه الملوّن بالأزرق السماوي والأبيض أول مرّة. وقد نجح ليو في إظهار قدراته منذ البداية؛ بالتلاعب بالخصم، وتسجيل هدف.

يقول توكاللي: «يمكنك ملاحظة الأمر في طريقة لعبه؛ فإذا كان جيداً في التدريبات وحسب، فإنّه يصبح شيئاً مختلفاً في أثناء المباريات». تنتهي المباراة الودية بنتيجة (0-8)، بعد أن ترك ليو انطباعاً رائعاً لدى مدرّبيه، لدرجة أنّ توكاللي تلقى في تلك الليلة مكالمة من صديقه وسلفه في تدريب منتخب الشباب خوزيه بكرمان.

«سألني: أين عثرت على هذا الصبي؟ فقد كان ليو فتى رائعاً بنظره. ثم أضاف قائلاً: ستشركه ضمن تشكيلة الفريق الأساسية أمام منتخب الأوروغواي،





ميسي

أليس كذلك؟ لكنني لم أفعل؛ إذ لم يكن ضمن التشكيلة الأساسية في مباراتنا أمام منتخب الأوروغواي التي أُقيمت في مدينة كولونيا. لكنّه فاجأ الجميع مرّة أُخرى عندما نزل إلى أرض الملعب. في اليوم اللاحق الذي يصادف الرابع من تموز، كتبت مجلة أوليه الرياضية الصادرة في بوينوس آيرس ما نصّه: «ميسي، ذلك الشاب الرائع. أحرز هدفين، وأسهم في أربعة أهداف أُخرى، وكان أبرز اللاعبين المتألقين في أثناء مسيرة النصر الذي حقّقناه على منتخب الأوروغواي بنتيجة (4-1)».

حقّقت تجربة ليو الثنائية نجاحًا باهرًا. فقد نال إعجاب الجميع. والآن، لا يراود توكاللي أيّ شكّ حيال ضمّه إلى الفريق المشارك في تصفيات كأس العالم للشباب دون سنّ العشرين عن قارة أمريكا الجنوبية، المزمع إقامتها في شهر كانون الثاني القادم.

لنسرّد بعض الحقائق والمعلومات الثانوية المتعلقة بهذا الجانب: «كان ليو هو اللاعب الوحيد الذي يلعب خارج الأرجنتين، إذا استثنينا ماورو أندرياس زانوتي الذي يلعب لنادي تيرانا في إيطاليا. وإنّه الأصغر سنًّا؛ إذ كان في السابعة عشرة في الوقت الذي تراوحت فيه أعمار زملائه من (18-20)، فضلًا عن امتلاكهم الخبرة في مختلف مراحل البطولات في الأرجنتين.

في هذه الأثناء، تقرّر إقامة تصفيات دول أمريكا الجنوبية بكولومبيا، في ثلاث من مدنها، هي: أرمينيان، ومانيزاليس، وبيربيرا، الواقعة على طول الجهة الوسطى الجنوبية من جبال الأنديز، فيما يُسمّى «منطقة زراعة القهوة»، بعيدًا عن العاصمة بوغوتا.



تمتاز هذه المدن الثلاثة بارتفاعها الكبير عن سطح البحر - بدءًا بـ (1650) مترًا في أرمينيا، وانتهاءً بـ (2500) متر في مانيزاليس - وهو أمر يجد فيه الأرجنتينيون - تحديدًا - صعوبة في التكيف معه.

كان أول ظهور لميسي في المباراة التي خاضها فريقه أمام منتخب فنزويلا، التي أُقيمت في الثاني عشر من شهر كانون الثاني عام 2005م، في ملعب سنتانيريو دي أرمينيا.

ليو، كما جرت العادة، لم يكن اسمه مدرجًا في التشكيلة الأساسية، لكنّه كان ضمن القائمة، ويجلس على مقاعد البدلاء. وفي الدقيقة الستين يحل مكان إيزيكويل لافيتزي، لاعب الوسط المتقدم في نادي نابولي (انتقل إلى باريس سان جيرمان) المشهور بكثرة الوشم على جسمه. كان منتخب الأرجنتين متقدمًا بهدف، ثمّ أصبحت النتيجة (2-0) بفضل ميسي الذي أحرز هدفًا بعد دخوله بثماني دقائق فقط. انتهت المباراة بفوز صريح للأرجنتين (3-0)، وإسهام لافت من ميسي. وقد تكرّر الأمر نفسه على ملعب بالوغراندي في مانيزاليس. ولكن، أمام منتخب بوليفيا هذه المرّة.

أدخل المدربّ اللاعب الذي يحمل الرقم (18) مكان بارينتوس في بداية الشوط الثاني من المباراة؛ بغية تدعيم الجانب الهجومي. وما حدث بعدها كتبته صحيفة إيبوكا الأرجنتينية: «وبعدها بخمس دقائق، أظهر ميسي للجميع أنّه لاعب من الطراز الأول. فقد تناول الكرة في منتصف الملعب، وتجاوز الجميع ليضعها في الشبكة. لقد كان هدفًا رائعًا، لا بدّ أن ينافس على لقب أجمل هدف في تصفيات أمريكا الجنوبية المؤهلة لكأس العالم للشباب دون سنّ العشرين. وأضاف هدفًا ثالثًا في الدقيقة السابعة والخمسين لتصبح النتيجة (3-0)».





ميسي

بعد هذه المباراة بيومين، سيواجه الفريق منتخب البيرو، حيث يشارك ميسي في التشكيلة الأساسية للمرة الأولى. سيلعب ميسي ضمن التشكيلة الأساسية في ثلاث مباريات فقط. أمّا في بقية المباريات، فإنّه سيلعب في الشوط الثاني. لماذا؟ يقول توكاللي معللاً ذلك: «كان هذا قراراً لم يكن الفتى قد انسجم بعدُ مع المجموعة بصورة كاملة، فقد تعوّد اللعب مع فرق الشباب في البارسا، ولم يكن بعدُ قد وصل درجة التألق التي يفرضها أسلوب اللعب في أمريكا الجنوبية... كان التنافس بين الفرق على أشده، وكان لاعبو هذه الفرق من مواليد عام 1985م، الذين يفوقونه سنّاً؛ إذ تشكّل السنتان فارقاً كبيراً، وتأثيراً فاعلاً في الأداء والنتيجة. لذا، قرّرت الزجّ به في هذا التوقيت؛ لكيلا أرهقه، أو ألقى بكثير من المسؤولية على كاهله».

أتى هذا الخيار أكله في المباراة الأخيرة التي خاضها الفريق مع منتخب البرازيل بمانيزاليس في السادس من شهر شباط. فقد حلّ ميسي مكان نيري كاردوزو في الدقيقة الخامسة والستين. وقبل انتهاء المباراة بعشر دقائق، تلقى ميسي تمريرة من بارينتوس استغلها أحسن استغلال، حيث وضع الكرة بمهارة فائقة في مرمى الخصم، مانحاً فريقه انتصاراً مشرفاً (1-2)، وكان ذلك أول هدف له في شباك الغريم الأزلي للأرجنتينيين.

تأهّلت الأرجنتين لكأس العالم للشباب دون سنّ العشرين في هولندا، بعد احتلالها المركز الثالث في التصنيفات، خلف كلّ من كولومبيا والبرازيل. وقد سجّل ميسي خمسة أهداف احتل بها المركز الثاني في صدارة هدّافي التصنيفات بعد الكولومبي هوغو روداليفا الذي أحرز أحد عشر هدفاً.

يبلغ روداليفا التاسعة عشرة من العمر؛ وهو لاعب لا يقدر التنازلات؛ سواء على أرض الملعب، أو عند استفزاز الخصوم، حيث يعلن دائماً: «أنا أفضل من





ميسي من دون شكّ، لكنّ الفرق الكبير بيننا هو أنّه يلعب لنادي برشلونة، في حين أَلعب أنا لنادي كوينديو».

يعلّق ليو على ذلك بتواضع قائلاً: «ليس لديّ ما أقوله، فأنا أَلعب من أجل الفريق». لكنّ الفيفا أنصفته، واختارته ضمن أفضل أحد عشر لاعباً في قارة أمريكا الجنوبية، وهذا إنجاز مقنع حتى الآن.

يعترف توكاللي بذلك قائلاً: «لقد أحببته، وأحببت قدرته على مضاعفة سرعته إلى حدّ كبير بعد انطلاقه بوقت قصير، فضلاً عن طريقته في تجاوز المنافسين، وقدرته على التحرك بسرعة كبيرة دون فقدان الكرة، وكأنّها ملتصقة بقدمه. لقد استطاع القيام بذلك كله على الرغم من جسمه النحيل، وتمكّن من تسجيل كثير من الأهداف، ناهيك عن امتلاكه قدمًا يسرى جبارة، جعلت من تسديداته قذائف صاروخية قوية جدًّا».

ومع ذلك، كانت مباراة الفريق أمام البرازيل هي الأخيرة لتوكاللي بوصفه مدرباً للمنتخب دون سنّ العشرين؛ فبكرمان يريده الآن مساعداً له في تدريب المنتخب الأرجنتيني الأول، الذي يستعد للمشاركة في بطولة كأس العالم عام 2006م المزمع إقامتها في ألمانيا.

يستلم فرانثيسكو فيرارو الملقّب بـ«باناشو» مسؤولية تدريب منتخب الشباب دون سنّ العشرين الذي سيلعب في هولندا في شهر حزيران. أدخل باناشو بعض التغييرات على الفريق في الأشهر الأربعة التي سبقت الانتقال إلى أوروبا؛ فجلب أغويرو؛ مهاجم مانشستر سيتي الذائع الصيت آنذاك (كان يلعب حينها لنادي إندبنديتي الأرجنتيني)، و«غاجو» (كان يلعب وقتئذٍ ليوكا جونيورز، ثمّ لعب لريال مدريد ولروما الإيطالي، ثمّ أُعير لفالنسيا الإسباني)، واستبعد كلاً من بوزيللي وزانوتي. كما تعيّن عليه جلب بديل لخوزيه سوزا؛ لاعب إستوديانتس دي لابلاتا





ميسي

في اللحظة الأخيرة، بعدما كُسرت يده اليسرى. وفي نهاية المطاف، تعيّن عليه تغيير كثير من اللاعبين، تمامًا كما فعل سلفه من قبل، بسبب اضطرار كثير من اللاعبين إلى مشاركة أنديةهم اللعب في الأرجنتين.

أصبح ميسي لاعبًا أساسيًا في فريق نادي برشلونة، الذي فاز ببطولة الدوري، وأصبحت أنظار الكثيرين تتطّلع إليه، أمله أن يصل إلى قمة عطائه في هولندا. وكانت مسألة النظر إلى منتخب الأرجنتين بوصفه أحد الفرق المرشحة للظفر باللقب أمرًا مؤكدًا. وهو حتمًا سيحاول إضافة لقب خامس في تلك البطولة إلى سجلّ المنتخب الحافل بالبطولات؛ الذي فاز بثلاثة ألقاب من أصل أربعة بقيادة بكرمان (في قطر عام 1995م، وفي ماليزيا عام 1997م، وفي الأرجنتين عام 2001م)، ولا ننسى بطولة عام 1979م في اليابان التي كان بطلها دييغو مارادونا.

جاء يوم السبت الحادي عشر من شهر حزيران؛ موعد مباراة الفريق مع منتخب الولايات المتحدة على ملعب نادي تفنتي بمدينة أنشخيدة. وكانت المفاجأة؛ فميسي لا يلعب ضمن تشكيلة الفريق الأساسية؛ إنّه على مقاعد البدلاء، فخسرت الأرجنتين المباراة بنتيجة (0-1).

وعلى الرغم من تعثّر الأرجنتين في بداية المشوار، إلا أنّ ليويحاول طمأنة الجميع بقوله: «ذهني صافٍ، وأعتقد أنّي جاهز للعب (90 دقيقة). ولكن، عليّ احترام قرارات المدرب. سيتمكّن الفريق من الدخول في أجواء البطولة؛ لأنّه يضمّ لاعبين جيدين. لدينا كلّ ما يلزم للتأهّل».

يبدو أنّ ليو كان حاضر الذهن، وفي أوج تركيزه، وقد أثبت ذلك في مباراة الفريق التي خاضها أمام منتخب مصر، في الرابع عشر من شهر حزيران؛ إذ شارك فيها بوصفه أحد لاعبي التشكيلة الأساسية للفريق هذه المرّة. وبعد





تسجيله الهدف الأول، وإضعافه دفاعات المنتخب المصري، أفسح المجال أمام زاباليتا لتأكيد الانتصار. أمّا مباراة الفريق الثالثة التي جمعته بالمنتخب الألماني فكانت معقّدة بعض الشيء؛ إذ إنّها تُحدّد المتأهّل للدور ثمن النهائي. تقدّمت ألمانيا على الأرجنتين بنقطة، وكان التعادل يكفيها للتأهّل. لكنّ ميسي كان مُصِرّاً على ترك بصماته في هذه المباراة؛ فقد استلم الكرة من منتصف الملعب، وأخذ يراوغ المدافعين، ويمرّر الكرة بإتقان، ونجح أوبرمان في التمويه؛ بترك الكرة تصل إلى نيري كاردوزو الذي سجّل، وأهدى فريقه هدف الفوز بنتيجة (1-0). كانت الطريق إلى المباراة النهائية حُبلى بالعقبات؛ بدايةً، يتعيّن على الفريق مواجهة منتخب كولومبيا، الفائز بتصفيات أمريكا الجنوبية. ثمّ هناك معاناة ميسي من غياب اللاعبين الذين بمقدورهم التميرير له. ومع ذلك، فقد تمكّن من تحقيق التعادل في الدقيقة السابعة والخمسين، بعد أن كان «زارعو القهوة» قد تقدّموا بالنتيجة. وقد استطاع الفريق استعادة عافيته مع دخول كلّ من: غاغو، وبابلوفيتي، وإميليانو أريمنتيروس. ثمّ تمكّن خوليو باروسو من تجنّب الفريق لعب شوطين إضافيين بتسجيله هدفاً في الدقيقة الثالثة والتسعين.

والآن، تنتظرهم إسبانيا في ربع النهائي. وقد كُتِبَ كثير عن هذه المباراة الحاسمة التي كانت أنظار الجميع ترقبها بحماس شديد؛ فالإسبان هم أبطال أوروبا، وكانوا قد وصلوا إلى نهائي بطولة كأس العالم لما دون سنّ العشرين قبلاً، لكنّهم خسروا أمام البرازيل.

وبالحديث عن المواجهات الثنائية، فهناك ترقّب كبير للصدام الذي سيضع ميسي وفابريغاس في المقدمة وجهاً لوجه؛ إنهما شابان في الثامنة عشرة من العمر (صادف اليوم الذي سبق المباراة عيد ميلاد ميسي)، صديقان في برشلونة، ومنافسان على أرض الملعب.





ميسي

يقول الفتى المعجزة كما تسميه جماهير نادي آرسنال: «لقد شعرت بوجود رابط خفي يربطني بميسي منذ اليوم الأول الذي قابلته فيه بالأكاديمية. أمضيت معه ثلاث سنوات رائعة في تسجيل الأهداف، وإمرار الكرة بطريقة واحد- اثنين (أي، خذ وهات). لقد أمضيت أوقاتاً مثيرة بصحبته، كان من الرائع اللعب إلى جانبه».

يردّ ميسي: «سيسك صديقي المقرب، فقد تقابلنا في فريق بارسا للشباب. إنّه لاعب متكامل، ومثير للإعجاب، ويمتلك كثيراً من المهارات الهجومية والدفاعية». ويؤكد ميسي أنّه وفريقه يكتون الاحترام للفريق الإسباني بقيادة سيسك ويورنتي.

كانت المباراة متكافئة؛ إذ تشير النتيجة إلى التعادل (1-1)، إلى أن تأتي الدقيقة السبعون. حينها يسرح الفريق الإسباني، ويسرّع ليو اللعب؛ فيقدم تمريرة على طبق من ذهب لغوستافو أوبرمان، ويسجّل هذا الأخير هدف التقدم، وبعدها بدقيقتين، يرفع الكرة من فوق المدافعين، ويسجّل هدفاً، لتنتهي المباراة بفوز منتخب الأرجنتين (3-1).

يلقّ مدربّ المنتخب الإسباني إنيياكي سينز على الخسارة قائلاً: «لقد استحق المنتخب الأرجنتيني الفوز، لقد لعب أفراده أفضل منّا». ثمّ أضاف قائلاً عن ميسي: «إنّه لاعب موهوب، ويتخذ قرارات صائبة. إنّه ينظر إلى حارس المرمى، ويعرف جيداً ما يجب القيام به».

تجري في مباريات نصف النهائي مواجهه كلاسيكية بين منتخبي الأرجنتين والبرازيل. فاز كلٌّ من المنتخبين باللقب أربع مرّات من قبل، وتحضر الآن ذكريات المواجهات السابقة بينهما، كما في قطر عام 1995م، حين فازت الأرجنتين باللقب بهدف ليوناردو بياجيني وفرانشيسكو غوريرو.





يرتدي لاعبو المنتخب الأرجنتيني شارات سوداء على الذراع؛ حدادًا على وفاة إميليانو موليना، حارس مرمى نادي إندبنديتي والمنتخب الأرجنتيني دون سنّ السابعة عشرة، بعد تعرّضه لحادث سير وبقائه مدّة أسبوعين في غيبوبة.

مرّت ثماني دقائق على بداية المباراة، ثمّ يتقدّم المنتخب الأرجنتيني بفضل تسديدة قوية من ميسي أصابت بطن العارضة، ودخلت المرمى، حيث لم تُجدِ محاولات حارس المرمى ولا قفزته الرائعة شيئًا.

يعدّل ريناتو النتيجة في الشوط الثاني. ولكن، في الدقيقة الأخيرة، يتجاوز ميسي خصومه للمرّة الألف، وترتدّ الكرة من أحد مدافعي البرازيل، فيستلمها زاباليتا مسجلاً هدفًا. تأهّلت الأرجنتين للمباراة النهائية التي ستقام الساعة الثامنة مساءً في اليوم الثاني من شهر تموز على ملعب غالفنوارد بمدينة أوترخت. نيجيريا هي الطرف الثاني في النهائي، حيث تمكنت من تجاوز منتخب المغرب في نصف النهائي. وقبل المباراة بيوم، أهدت قناة تلفزيونية هولندية جائزة القيقاب الذهبي إلى ميسي بوصفه أفضل لاعب في البطولة. وفي ذلك يقول: «أنا سعيد جدًا، وشاكر لكم على الجائزة. إنني في الحقيقة متفاجئ كثيرًا من كلّ شيء حدث لي هنا». وتستمر المفاجأة في النهائي؛ إذ يسيطر ميسي على الكرة في الدقيقة (38) عند الحافة اليسرى من الملعب، ويبدأ مراوغة على طول (45) ياردة، ثمّ يدخل منطقة الجزاء. يدرك ديلي أديلي أنّه عاجز عن أخذ الكرة من ليو، فيقوم بعرقلته، وحينئذٍ، لا يتردّد الحكم النرويجي تيري هوغ بالإعلان عن ركلة جزاء.

ينفّذ ليو ركلة الجزاء بسلاسة ومهارة من دون تردّد، وبقدمه اليسرى، على يمين حارس المرمى فانزيكين الذي يرتمي على الجهة اليسرى، لتصبح النتيجة (1-0). وفي الدقيقة (52) يعدّل اللاعب النيجيري تشينيدو أوغبوكي





هيسي

النتيجة. ثمّ يتعرّض أغويرو للعرقلة من منداي جيمس أمام المرمى في الدقيقة (73). فيتقدّم ليو لتسديد ركلة الجزاء الثانية، ويضعها على يسار المرمى بدقة، محرّزاً هدفاً آخر. تنتهي المباراة بنتيجة (1-2)، وتفوز الأرجنتين ببطولة كأس العالم الخامسة لفئة الشباب دون سنّ العشرين. كان ليو ميسي حقاً هو نجم البطولة.

تكتب صحيفة كلارين في اليوم المقبل: «ماذا يسعنا القول عنه؟ تختزل الصور التي التّقطت عقب مباراة أمس الأمر برمّته؛ إنّه يحمل بيديه كأس أفضل لاعب، وكأس الهدّاف، وحول عنقه ميدالية ذهبية، وعلى كتفيه العلم الموشّى باللونين: الأبيض، والأزرق الفاتح».





الفصل السادس عشر

كرة القدم لعبته من دون منازع

حوار مع فرانثيسكو فيرارو «بانشو»



ترى فيه عبقرية المدرب، وتسمع صوته اللطيف، وهو يُعرّف في عالم كرة القدم باسم بانشو، وله في هذا العالم مسيرة وباع طويل يُحسد عليهما؛ فقد أمضى حياته الكروية متنقلاً ما بين المنتخبات الوطنية للشباب، والأندية في أمريكا الجنوبية وأوروبا على حدّ سواء. لكنّ بعضاً من أفضل الذكريات التي تحفل بها ذاكرته، تتأتى من الأيام التي عاشها في شهر حزيران من عام 2005م، حين قاد المنتخب الأرجنتيني للشباب دون سنّ العشرين للقب الخامس في البطولة.

«صحيح. أنا فخور بذلك الانتصار؛ سواء أكان ذلك بصورة شخصية، أم بوصفي جزءاً من الفريق. أنا فخور بما أنجزه الفتية، وباللاعبين من أمثال ميسي وأغويرو وغازغو، الذين صنعوا لأنفسهم مكانة وشهرة على مستوى العالم».

هل تذكر أول مرّة رأيت فيها ميسي؟

«نعم، كان ذلك خلال تصفيات أمريكا الجنوبية في شهر كانون الثاني من عام 2005م. لقد كنت محظوظاً لقضائي أربعين يوماً مع الفريق. كان خوزيه بكرمان قد





طلب إليّ تدريب فريق الشباب دون سنّ العشرين، وأراد منّي هوغو (مدرّب الفريق توكاللي) أن أكون هناك إلى جانبه في كولومبيا لمتابعة سير الأمور.

كيف كان انطباعك الأول عنه؟

«إنّه فتى لطيف مهذب خجول، كان أصغر أفراد الفريق سنّاً، وحين قدّم من أوروبا لم يستطع التكيف تماماً مع المجموعة، ولم يكن لديه طاقة وقدرة (جسدية) للعب مباراة كاملة. لذا، بعد مناقشة الأمر مع هوغو، كنّا دائماً نشركه في الشوط الثاني، حيث يمكنه صنع الفارق».

لم تشركه أيضاً في المباراة الأولى بهولندا أمام منتخب الولايات المتحدة....

«لقد كان يعاني إصابةً خفيفة. لذا، أبقيته على مقاعد البدلاء، لكنّه لعب ضمن التشكيلة الأساسية - من دون منازع- منذ المباراة الثانية أمام منتخب مصر. فقد تطوّر أدائه (بدنيّاً، ونفسيّاً) بصورة ملحوظة بعد عودته من برشلونة. وكان قد لعب للمرّة الأولى مع الفريق الأول هناك، وقد بدا أكثر قوّة وقدرة على خوض المباريات الفاصلة. لعب في خط الوسط، ولكن ليس كصانع ألعاب؛ فخطورته تكمن في أثناء وجوده بمنتصف ملعب الخصم، وقد تظهر في أيّ لحظة. لقد صنع حضوره في الفريق فرقاً كبيراً».

وكيف كان تعامله مع بقية أفراد الفريق؟

«لقد كان سعيداً، ويصبح أكثر سعادة عندما يدخل الملعب، ويستحوذ على الكرة. كان يشارك أغويرو الغرفة نفسها، ولم يتسبّب في إزعاجه قطّ. على العكس تماماً؛ فقد لاحظ الجميع أنّهما كانا سعيدين ومتوافقين. كانا يراعيان زملاءهما والقائمين على الفريق، ويحترمان الجميع. لقد زينا الفريق بالرزانة،





ولم يحاولا لفت الانتباه؛ إذ كانا متواضعين جداً. وفي واقع الأمر، فقد تميّزا باحترام الآخرين، وحسن التعامل مع الجميع. علمًا بأن أفراد الفريق كافة كانوا أشخاصًا طيبين».

قلت: إن ميسي كان دائمًا يشعر بالسعادة لحظة دخوله الملعب وحيازته الكرة. في رأيك، ما تفسير ذلك؟

«هذا صحيح، أوكد لك أنّ ليو يحبّ اللعب كثيرًا، وكرة القدم هي لعبته (دميته) المفضلة. إنّه يستمتع بها كثيرًا، ويستطيع التحكم فيها بطريقة لا مثيل لها. ما يفعله في أرض الملعب أمر غير مألوف؛ إذ يخيل للرائي أنّ الكرة ملتصقة بقدمه، فتراه يشق طريقه بها مسرعًا نحو الأمام، ملاحظًا كلّ ما يجري حوله. فهو يقرأ اللعبة، ويتوقّع أحداثها ومجرياتها. ذلك أمر صعب، فقط اللاعبون العظماء قادرون على عمل ذلك».

هل تعدُّ مارادونا مثلًا أحد هؤلاء العظماء؟

«يمثّل ديفغو ظاهرة لن تتكرّر. صحيح أنّ الجميع يقارن بين الاثنين (مارادونا وميسي) منذ مدّة، خاصة بعد الهدف الذي سجّله ليوفي مرمى خيتافى. كلّ ما أستطيع قوله: إنّ كلًّا منهما يمتلك موهبة عظيمة. لكنّ ميسي ليس في حاجة إلى أن يقارن بأيّ أحد؛ فهو لاعب فريد عبقرى عظيم قادر على إحداث المفاجأة في أيّ مباراة، وهذا ما جعل الجماهير مغرّمة به».

ماذا كان يعني كأس العالم للشباب دون سنّ العشرين بالنسبة إلى

ميسي؟

«لقد كانت هذه البطولة الشرارة التي فجّرت قدراته ومواهبه ومهاراته بوصفه لاعبًا؛ إذ كانت فرصته لكي يصبح معروفًا في مختلف أنحاء العالم





ميسي

تقريبًا، خاصة أن الكثيرين في الأرجنتين لم يعرفوا عن مهاراته شيئًا قبل بطولة كأس العالم في هولندا. لقد عاد من هناك نجمًا محبوبًا؛ ففوزه بجائزة أفضل لاعب، وإحرازه لقب الهذّاف، وحسمه المباراة النهائية بهدفين، كل ذلك جعل منه نجمًا، ولاعبًا محترفًا طالما انتظرتة أمة بأكملها».

تلك الأمة كانت أيضًا تنتظر أن يشارك فريقه اللعب أمام ألمانيا في بطولة كأس العالم عام 2006م، لكنّه بقي على مقاعد البدلاء. لقد اصطحبت في هذه البطولة الفتية الذين تدرّبوا مع الفريق، وعهدتك تعرف خوزيه بكرمان منذ زمن طويل، فما الذي حدث في تلك المباراة؟

«كنا قد استفدنا فرص التبديل بسبب إصابة باتو (لقب حارس المرمى في ذلك الحين روبرتو أبودنزيري)، عندئذٍ، قرّر بكرمان اللعب بأسلوب مختلف؛ ما يعني الاستعانة بلاعب مختلف، والقيام بخطط (تكتيكات) مختلفة. لكن، ليس لدي أدنى شكّ في أنّ بكرمان هو من أفضل مدربي فرق الشباب. لم يكن هناك أحد غيره قادر على مساعدة فتى في الثامنة عشرة، مثل ميسي، ليظهر أفضل ما لديه».

لندع الجدل جانبًا، ولنتحدث عن أداء ميسي بعد بطولة كأس العالم.

«أعتقد أنّه يطور مهاراته باستمرار، وهو تطور لا يعرف الحدود. لكنّه - في الوقت نفسه- يحافظ على أسلوبه في اللعب، محاولاً عدم لفت الانتباه. لا يحبّ هذا الفتى أن يقومه أحد، فهو لا يفعل شيئاً من دون سبب، ويحبّ أن يلعب بسلام. ويحرص على البقاء قرب أحبائه؛ أبويه وشقيقه وشقيقته، الذين يعملون على حمايته ودعمه، تمامًا كما فعلوا بهولندا في أثناء بطولة كأس العالم».





الفصل السابع عشر

صديق ميسي

حوار مع بابلوزاباليتا



تصف سيليا، والدة ليو، بابلوزاباليتا قائلة: «إنه شخص طيب جدًا». وهي تشعر الآن بفرحة غامرة؛ لأن ابنها يحظى باهتمام قائد منتخب الشباب دون سنّ العشرين (الفائز ببطولة كأس العالم)، الذي أصبح جناحًا في نادي إسبانيول، ويلعب مع نادي مانشستر سيتي.

نشأ في إريسيفيز، وبدأ حياته الكروية مع نادي سان لورينزو الأرجنتيني، قبل أن ينتقل إلى اللعب في أوروبا. ومع أنّه لا يزال في السادسة والعشرين من العمر، لكن الجميع يُعدّونه لاعبًا مخضرمًا -وبكلمات أخرى- شخصًا موثوقًا.

متى قابلت ليو؟

«في منتخب الشباب دون سنّ العشرين عندما فزنا ببطولة كأس العالم في هولندا، التي كانت تجربة مميزة، وجعلتنا نشعر جميعًا بنشوة الانتصار. حينئذٍ، بدأت صداقتي الجميلة معه. أصبحنا كذلك مقرّبين من الكون (أغويرو)، وأوسكار (أوستاري). لقد شكّلنا فريقًا عظيمًا...».





لماذا عددت ذلك الأمر مميّزًا؟

«كانت تسود بين ظهرانينا أجواء رائعة، وتربطنا صداقة متينة، وأردنا جميعًا تحقيق الفوز...».

لكن ليو واجه صعوبة في الاندماج مع المجموعة.

«لا أعتقد ذلك... كان أصل المشكلة يكمن في عدم معرفة الآخرين به. فقد سافر إلى إسبانيا صغيرًا، وسلك هناك طريقًا مختلفًا. وفي المقابل، ينتقل اللاعبون في الأرجنتين إلى اللعب مع الفريق الأول في سن مبكرة؛ وهو أمر يجعلهم يكبرون بسرعة، ويجدون النسق والأسلوب المناسب. ومع أن ليو جاء من برشلونة، لكنّه لم يستغرق زمنًا طويلًا في التكيف مع الوضع الجديد، وكان جاهزًا للعب عندما سافرنا إلى هولندا، وأصبح العالم مهووسًا بطريقة لعبه».

كانت هناك لحظات مهمة أيضًا بعد انتهاء بطولة كأس العالم تلك.

«لقد أقمنا في الغرفة نفسها ببودابست لدى مشاركته المنتخب الأول في اللعب أول مرّة، لم تكن مباراة جيدة لليو. إحدى اللحظات السعيدة التي جمعنا معًا كانت الفوز بالميدالية الذهبية في أولمبياد بكين».

كيف أصبحت علاقتك به الآن وأنت تعيش في مانشستر؟

«نتحدث كثيرًا بالهاتف، وملتقي حينما يتجمّع أفراد المنتخب الوطني. عندما كنت أسكن في برشلونة، كنّا نرتاد مطعمًا أرجنتينيًا. أمّا طبقنا المفضّل فكان شرائح اللحم المتقنة الصنع. كنّا نلتقي في أوقات أخرى، نشرب الممتة، ونتحدث عن أحوال كرة القدم؛ سواء في الدوري الأرجنتيني، أو فيما يخصّ المنتخب الوطني، أو ما يجري في إسبانيا».





ما رأيك في ميسي «الصديق»؟

«إنَّه شاب عادي جدًّا. يحبُّ قضاء وقته في المنزل، ويحبُّ عائلته كثيرًا. أعتقد أنَّ حياته إنسانًا أفضل منها بوصفه لاعب كرة قدم».

وكيف تراه لاعبًا؟

«إنَّه جوهرة؛ إذ حباه الله بقدره مذهلة على التحكم في الكرة. وقد أثار إعجابي بتحركه السريع بالكرة. إنَّ ما يفعله أمر خارق؛ الطريقة التي يتجاوز بها اللاعبين الآخرين، والتصاق الكرة الدائم بقدمه. يمكنه التحليق بفريقه عاليًا مثلما شاهدنا أكثر من مرَّة، ويمكنه حسم نتائج المباريات سريعًا، فضلًا عن تحرُّره من الضغوط بصورة لا تصدِّق. أداء ليو شبيه بأداء مارادونا، مع أنَّ ديفغو حالة فريدة من نوعها، ومن الجنون مقارنة أحدهما بالآخر. بوصفي صديقه، فأنا سعيد جدًّا أنَّه يؤدي على نحو طيب».

ماذا عنيت بقولك: إنَّ حياته إنسانًا أفضل منها بوصفه لاعب كرة قدم؟

«قلت ذلك لأدلِّل على مدى تواضعه؛ فهو لم يتغيَّر مُذ عرفته. لم تنسِه الشهرة نفسه، ولم يؤثِّر فيه المديح والإطراء على نحوٍ سلبي. إنَّه لا يزال صديقًا رائعًا».





الفصل الثامن عشر

مسلسل طويل

الثالث من تشرين الأول عام 2005م



تبدأ الليغا (اسم الدوري الإسباني) مشوارها لموسم 2005م - 2006م في السادس والعشرين من شهر آب. تضم الليغا الخامسة والسبعون بطلاً جديداً، هوروينيو الذي يمثّل جوهرةً في تاج ريال مدريد، ولاعباً ينتظر منه الكثير إلى جانب اللاعبين البرازيليين الآخرين الموجودين، أمثال رونالدينو، ورونالدو.

إنّ ما يميّز الدوري الإسباني حقاً، هو الصراع الأزلي بين ناديي برشلونة وريال مدريد. يلعب حامل اللقب مباراته الأولى خارج الديار أمام فريق نادي ألافيز على أرض ملعب مينديسوروسا. غاب ميسي عن هذه المباراة، وذلك أمر مستغرب، خاصة إذا عرفنا أنّ الشاب الأرجنتيني كان -بلا منازع- نجم مباراة كأس خوان غامبر التي أقيمت قبلها بيومين.

يصدر النادي بياناً رسمياً يوضّح ملاسات هذا الأمر:

«قرّر نادي برشلونة عدم إشراك ليو ميسي في المباراة التي سيخوضها الفريق أمام فريق نادي ألافيز احتراراً؛ من جرّاء مشكلة قانونية عالقة سيُعمل على حلّها قريباً بما يوافق القوانين الاتحادية المتعلقة باللاعبين المنحدرين من دول خارج الاتحاد الأوروبي».





ميسي

ما الذي حدث؟ في الثامن من تموز، عدّل الاتحاد الإسباني لكرة القدم قوانينه العامة المتعلقة باللّاعِبِينَ المَجْنُوسِينَ؛ أي اللّاعِبِينَ الذين ينحدرون من دولٍ خارج الاتحاد الأوروبي، وتتراوح أعمارهم من (17-19) عاماً، الذين تمت ترفيتهم من فرق الشباب في النوادي الإسبانية. يسمح التعديل الجديد للاعبينَ الشبّانَ المعنّيينَ بمشاركة أنديةهم في الدوري؛ حتى لو تجاوز عدد اللّاعِبِينَ الأجنبيّ المسموح بمشاركتهم في التشكيلة الحدّ المقرّر، وهو ثلاثة لاعِبِينَ. يلبّي ميسي جميع المعايير المنصوص عليها في القانون الجديد، ما يعني أنّ بإمكانه اللعب مع أنّ التشكيلة تضم ثلاثة لاعِبِينَ من خارج الاتحاد الأوروبي، هم: رونالدينو، وإيتو، وماركيز. ولكن، يتعيّن أولاً عرض القانون الجديد - الذي انتقدته أندية معيّنة لمحاباتته برشلونة وميسي - على كلّ من: رابطة المحترفين لكرة القدم، والمجلس الأعلى للرياضة للتصديق عليه، ما يعني أنّه «بالنظر إلى الطرف المؤقت، فقد أوصت الدائرة القانونية في نادي برشلونة بعدم السماح له باللعب».

إنّه سيناريو معقّد بعض الشيء، ولا سيّما أنّ ميسي لعب مباراة مع الفريق الأول في دوري أبطال أوروبا لموسم 2004م-2005م أمام فريق شاختر دونيتسك، وشارك في سبع مباريات في الدوري، من دون أن يمتلك رخصة احترافية، أو وثائق خاصة بالاتحاد الأوروبي، فكلّ ما كان يمتلكه هو عقد مع فريق الشباب والفريق الثاني بالنادي. كان أول ظهور له في ديربي كاتالونيا، حيث خاض مع الفريق مباراة جمعته بفريق نادي إسبانيول، وذلك يوم السبت الموافق للسادس عشر من شهر تشرين الأول عام 2004م، في الملعب الأولمبي بمونتخويك؛ إذ دخل بدلاً لديكو، ولمس الكرة بعدها - أول مرّة - بعشر دقائق من تمريرة لبيليتي. لقد كان يقوم بعمل جيد، ولكن لا شيء استثنائي يستحق الذكر. ومع ذلك، فقد كانت ليلة مميّزة بالنسبة إليه من دون شك؛ إذ أخبر





صحيفة لا كايبتال ذات مرّة أنّ هدفه «الوصول إلى الفريق الأول»، مع أنّه كان يقصد حينئذٍ بالفريق الأول فريقه المفضل؛ نيولز.

لعب ليو مباراته الأولى، وتمكّن أيضًا من تسجيل هدفه الأول في الدوري. كان ذلك في الأول من شهر أيار عام 2005م، فقد أشارت اللوحة الإلكترونية في ملعب كامب نو إلى تقدّم البارسا على الباسيتي بهدف يتيم. يقرّر فرانك ريكارد سحب صامويل إيتو من الملعب، ويدخل مكانه ميسي في مكان لم يعتد هذا الأخير على اللعب فيه؛ هو مركز الوسط المتقدم. يستغل اللاعب الصغير - كان يبلغ حينها (17) عامًا، و(10) أشهر - تمريرة من رونالدينو، ويتغلّب على حارس المرمى فالبوينا بتسديدة مركزة. إنّها لحظة نشوة خالصة، وليولا يعرف ماذا يفعل، وينتهي به المطاف مرفوعًا على كتفي زميله روني (رونالدينو)، وهو يصرخ فرحًا. إنّهُ أصغر لاعب في تاريخ النادي يسجّل هدفًا في الدوري (رقم قياسي سيُحطّم في العشرين من شهر تشرين الأول عام 2007م بتسجيل بويان كركيتش هدفًا في مرمى فياريال).

لقد سارت أموره مع الفريق الأول على نحوٍ جيد حتى الآن، ولكن تلك المباراة التي جرت في الأول من أيار ستكون المباراة الرسمية الأخيرة للأرجنتيني في ذلك الموسم. علمًا بأنّ الفريق ضمّن لقبه السابع عشر في المسابقة قبل نهاية الدوري.

يبدأ موسم 2005م-2006م، وميسي لا يلعب، ولا حتى في مباراة بطولة كأس الملك أمام ريال بيتيس؛ فنجدّه على مقاعد البدلاء في مباراة الذهاب، وغائب عن التشكيلة في مباراة العودة. كان هناك خطب ما، حتى قبل صدور الإعلان الرسمي عن النادي، ومجلس الإدارة على دراية بالأمر؛ فميسي مسألة معلّقة. تبدأ الشكاوى تهال على النادي. لماذا لم تُحلّ هذه المشكلة مسبقًا؟





ميسي

لماذا تقاعس النادي عن مسألة تجنيسه على الرغم من وجود قانون يسمح للأرجنتينيين بالجمع بين الجنسيين الأرجنتينيه والإسبانية بعد سنتين من العيش في إسبانيا؟

مع توالي الأخبار التي تشير إلى احتمال عدم تمكُّن ميسي من اللعب في الدوري، بدأت تظهر اقتراحات وحلول بديلة، مثل التنازل عنه لفريق آخر لديه مكان للاعب من خارج الاتحاد الأوروبي. إلا أنَّ هذا الاقتراح رُفِض فوراً.

بعد ذلك، سرَّت إشاعات بأنَّ أندية أوروبية ترغب في استثمار طاقاته، والإفادة من خبراته، ومنها نادي الإنتر. لم يُخَفِ رئيس النادي الإيطالي ماسيمو موراتي يوماً إعجابه بهذا اللاعب، باستثناء العرض المادي المغربي الذي قدَّمه لخورخي ميسي؛ وهو أمر استخدمه هذا الأخير للضغط على إدارة برشلونة لحلَّ المشكلة.

في تلك الأثناء، وفي الحادي والثلاثين من شهر آب (آخر يوم لقيد اللاعبين الجُدد)، يُجَدِّد برشلونة رخصة ميسي بوصفه لاعباً شاباً مجتسماً من لاعبي فريق النادي المصنَّف ضمن فرق دوري الدرجة الثانية. وفي السادس عشر من شهر أيلول، انتشر خبرٌ مفاده أنَّ هذا اللاعب قد وقَّع عقداً احترافياً مع النادي.

تبلغ مدَّة هذا العقد تسع سنوات؛ أي إنَّه ينتهي عام 2014م. وقد صرَّحت مصادر مختلفة بأنَّ أجره سيرتفع ليصبح ثلاثة ملايين يورو في العام، وأنَّ قيمة فسخ العقد تبلغ (150) مليون يورو.

كانت أخبار الاتفاق قد تسرَّبت فعلياً في شهر حزيران؛ إذ ذكر الموقع الإلكتروني الرسمي للنادي ما يلي، في الثلاثين من هذا الشهر، وفي أثناء مشاركة ليو المنتخب الأرجنتيني في بطولة كأس العالم للشباب دون سنِّ العشرين: «بعد أسبوع من عيد ميلاده الثامن عشر، يتلقى ليو ميسي أفضل هداياه؛ فقد توجَّه





سكرتير النادي تيكتسي بيغريستين برفقة والد ميسي إلى مدينة أوتريخت بهولندا للاتفاق على عقد جديد، يضمن بقاءه في النادي حتى عام 2010م».

هناك تأويلات عدّة للتضارب الحاصل على مستوى التواريخ؛ إذ يقول بعضهم: إن ميسي ببساطة قبل العرض، ولا سيّما أنّ القانون يُعده بالغا الآن، في حين ادّعى آخرون أنّ بنود العقد تعرّضت للتعديل في شهر أيلول؛ لأنّ والد ميسي لم يكن راضياً عن بعض الفقرات المتعلقة بالحوافز، وزعموا أنّ مدّة العقد أصبحت تسع سنوات بدلاً من السنوات الخمس المعتادة. ويرى بعض آخر أنّ الاتفاق الذي وُقّع في شهر أيلول كان مبدئياً فقط، وأنّه سيوقّع عقد احتراف في الموسم المقبل يتناغم مع القوانين الجديدة التي سيعمل بها لاحقاً.

يؤكد واقع الأمر أنّ الأخبار المتعلقة بتجديد العقد لا تُجدي نفعاً، وإنّما تضيف حلقة جديدة إلى المسلسل الطويل الذي سيأخذ منحى جديداً في العشرين من شهر أيلول. فقد صوّتت أغلبية ساحقة من أعضاء لجنة المحترفين لكرة القدم ضد القانون الجديد؛ أي إنّ اقتراحات الاتحاد الإسباني لكرة القدم، وجمعية اللاعبين الإسبانية، المتعلقة باللاعبين المجنّسين لن ترى النور. وفي هذه الأثناء، تحدث الأشخاص الذين يشاطرون رئيس نادي برشلونة الرأي عن مؤامرة على النادي حاكتها بعض قوى كرة القدم الإسبانية. وما هو مؤكّد حتى الآن أنّ ميسي لا يستطيع اللعب في الدوري. ولكن، بإمكانه اللعب في دوري أبطال أوروبا من دون أيّ مشكلة.

وافق الاتحاد الأوروبي لكرة القدم على مشاركة ميسي في مسابقاته وبطولاته بعد فحص الأوراق التي أرسلها النادي، وها هو ذا يعترف بالتجنيس الممنوح له. لا شيء غير عادي في الأمر؛ فميسي كان قد لعب كثيراً من المباريات في المنافسات الأوروبية في الموسم المنصرم. حتى إنّ نجمه سطم في أول ظهور أوروبي رسمي له في المباراة التي جمعت البارسا بأقوى منافسيه





هيسي

عن المجموعة (ج)؛ نادي فيردر بريمن الألماني؛ إذ شارك في الشوط الثاني، وحصل على ركلة جزاء نفذها رونالدينو بنجاح، ليقتضي بذلك على آمال الألمان بالعودة إلى المباراة. كانت تلك لحظة مهمة، تدل على أنه سيشارك لاعبي الفريق الأصلاء مباراتهم المقبلة أمام فريق أودينيزي في كامب نو. ولكن، في اليوم المقبل، السادس والعشرين من شهر أيلول، تصل أخبار جديدة تضع حدًا للمشكلات السابقة جميعها؛ فعند الساعة الواحدة ظهرًا، يقف ليونيل أندرياس ميسي كوشيتيني أمام رئيس محكمة الأحوال الشخصية، القاضي فيرناندو البيرتي فيسينو، ويقسم إنه «لا يتخلى عن جنسيته الأرجنتينية، وإنه يقسم بالولاء للملك، وبالطاعة للدستور والقوانين الإسبانية، وإنه يختار الإقامة المدنية الكاتالونية، وإنه يلتزم إدراجه في السجل المدني الإسباني».

خلاصة القول هي إن ليو حصل على الجنسية الإسبانية، فأصبح بذلك مواطنًا في الاتحاد الأوروبي. بعد ذلك، قدّم البارسا الوثائق اللازمة للاتحاد الإسباني، وجاء الرد سريعًا بالموافقة: «بموجب صلاحيات الجهة المخوّلة (الاتحاد)، يحقّ للاعب المذكور أعلاه اللعب لناديه، آخذين جنسيته الإسبانية النافذة في الحساب فيما يخصّ أيّ مصلحة».

في الأول من شهر تشرين الأول؛ أي بعد خمسة أيام من انطلاق الدوري، تمكّن ليو من مشاركة فريقه اللعب في مباراته أمام ريال سرقسطة. وهذه المرّة، وبعد أن زال حمل ثقيل عن كاهله، عاملته جماهير كامب نو العريضة - ذلك السبت- كما لو كان بطلاً قومياً. لا يزال البارسا متأخرًا بهدفين. وعلى الرغم من نزول ليو في الشوط الثاني، لكن لم يحقق أيّ معجزات، خلافاً لما اعتاده فريق المدرب ريكارد، سوى تعديل لكفة النتيجة قبل نهاية المباراة. فالأمور بخواتيمها، ولكن ليس هذه المرّة.





بعد يومين؛ أي يوم الإثنين الموافق الثالث من شهر تشرين الأول، يرسل خصم البارسا؛ المقبل نادي ديبورتيفو لا كورونيا، رسالة إلى رابطة المحترفين لكرة القدم، ونسخة منها إلى لجنة المسابقات في الاتحاد الإسباني لكرة القدم، يلتمس فيها حكمًا بإصدار طلب للتحقيق في عملية التجنيس التي خضع لها لاعب البارسا. وفيما يأتي نصُّ الرسالة: «لقد تمكّن اللاعب المذكور من الحصول على الرخصة الوطنية (أي إنها أُعطيت) بعد انقضاء الوقت المخصّص لذلك، الذي ينتهي في الحادي والثلاثين من شهر آب، ويستمرّ حتى شهر كانون الأول».

يكمّن جوهر الطلب في «إعادة ترسيخ مبادئ المساواة في المنافسة، التي يعتقد أنّها قد تعرّضت للانتهاك، على الرغم من أنّ هذه المسألة التي تنضوي على مخالفة صارخة سنتتهي حال إتمام التحقيق». يذهب المسؤولون في نادي ألافيز، الذين كانوا قد هدّدوا مسبقاً بالتصعيد، إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فيقدّمون التماساً لرابطة المحترفين لكرة القدم لمنع ميسي من اللعب. وجهة نظرهم تقول: إنّ الرخصة التي حصل عليها باطلة وملغاة «في نظر القانون». لماذا؟ لأنّ «برشلونة ما كان بمقدوره أن ينجح في إصدار الرخصة قبل آخر موعد لاستصدار هذه الرخصة؛ أي في الحادي والثلاثين من شهر آب، لأن اللاعب كان لا يزال حينها أجنبيًا»، ويخبرنا خافيير تيباس، الذي لا يعمل مستشارًا قانونيًا لنادي ألافيز فحسب، بل نائبًا لرئيس رابطة المحترفين لكرة القدم أيضًا. يضيف تيباس: «لقد مُنح الآن الجنسية الإسبانية، وتمكّن ناديه من استصدار رخصة له بتاريخ سابق؛ هو الحادي والثلاثون من آب على أمل إشراكه في الفريق، على الرغم من انتهاء الوقت المحدّد لانتقال اللاعبين الجدد».

وبعبارة أخرى؛ فإنّ ليولا يستطيع البقاء واللعب اعتمادًا على تصريح الإقامة - الممنوح له - في دول الاتحاد الأوروبي حتى شهر كانون الثاني. عدا ذلك، يسأل تيباس: «بالعودة إلى العقد الموقع، كيف لميسي أن يلعب مع الفريق الأول برخصة لعب خاصة بفريق الشباب فقط؟».





هيسي

ينفذ صبر خوان لابورتا، فيعلن الآتي: «لدينا أسباب قانونية كافية لإشراكه. لا أدري ماذا يريدون أكثر من ذلك، حاولنا القيام بكل شيء وفقاً للقوانين. والآن، وبعد أن حصل اللاعب على الجنسية الإسبانية، ما زالوا يختلفون المشكلات. لا أدري لِمَ يصرون على محاولة تدمير المستقبل المهني لهذا اللاعب. إنهم يختلفون المشكلات لمنع ميسي من اللعب للبارسا».

يقوم رئيس البلاوغرانا بهجوم معاكس، ضارباً مثلاً من الماضي: «لا أريد أن أفكر في مثل هذا اليوم، حيث يُنادى بالديمقراطية والحريات، الذي نضطر فيه إلى نبش الماضي، كما حصل في قضية دي ستيفانو».

لِنُنْعِشْ ذاكرتنا ببعض التفاصيل الصغيرة: وصل ألفريدو دي ستيفانو، الملقب بالسهم الأشقر، إلى إسبانيا قادماً من الأرجنتين عام 1953م للعب في نادي برشلونة، ولكن تدخل أشخاص ذوي مناصب عليا حوّل المسألة إلى شأن وطني، ما أدى إلى إلغاء التوقيع على العقد؛ حتى إن مجلس المستشارين تدخل في الموضوع، وقرّر أنّه بالنظر إلى أهمية هذا اللاعب، فلا يحقّ منحه إقامة كاتالونية حصرية، واقترح عوضاً عن ذلك رأياً (عادلاً) مفاده أن يلعب دي ستيفانو للبارسا وريال مدريد بالتناوب (الموسم الأول مع البارسا، والثاني مع الريال، وهلمّ جراً). ولحسن طالع الريال، فقد رفض برشلونة ذلك الرأي.

لكنّ الماضي لا يعاود مطاردة البارسا هذه المرّة، ولا يتعدّى الأمر الذي يؤرّق لابورتا مجرد أشباح لن تعاود الظهور مجدّداً. ما هو أكيد أنّ قضية ميسي احتلت العناوين الرئيسية لصفحات الجرائد الرياضية في مختلف أنحاء البلاد، وتسببت في فضيحة بالأرجنتين.

صدر أول قرار عن لجنة المنافسات في الاتحاد الإسباني لكرة القدم في الثامن عشر من شهر تشرين الأول، وقد نصّ على أنّه «بالنظر إلى عملية



التجنيس التي قام بها اللاعب، يحقّ له مواصلة اللعب بوصفه إسبانياً». أثار القرار سخط ناديي ديپورتيفو وألافيز، وتبع ذلك استئناف واعتراض على استئناف، وقرارات ومناقشات حادة. ولكن، في غمرة ذلك كله، فقد واصل ليو اللعب. فباستثناء مباراة الفريق أمام ديپورتيفو- حين قرّر ريكارد إراحته بعد عودته توّاً من مشاركة فريق منتخبه الوطني، وبعدهما هدّد ديپورتيفو بالاعتراض في حال مشاركته - فقد واصل صاحب القميص رقم (19) المشاركة في مباريات الدوري، وبذل أقصى جهده.

استمرّت القضية بين أخذ وردّ حتى العام المقبل، لكنّها لم تُلَقَّ بظلالها على أرض الملعب. سجّل البرغوث ظهوره الأول في ملعب سانتياغو بيرنابيو في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني؛ إنّه الكلاسيكو الأول بالنسبة إليه. بعد ذلك بأقلّ من شهر؛ في الرابع عشر من شهر كانون الأول تحديداً، توجّ ميسي في كامب نو بوصفه أفضل لاعب دون سنّ العشرين، ونال جائزة الفتى الذهبي التي تمنحها مجلة توتو سبورت الصادرة في تورينو لأفضل لاعب من هذه الفئة؛ إذ تفوّق على منافسه واين روني، حيث حصل هذا الأخير على (127) نقطة، في حين حصل ليو على (225) نقطة، وذلك بفضل إنجازاته في كأس العالم للشباب. كان ذلك اعترافاً جديداً بقدراته؛ وهو اعتراف جاء في وقته، فبطولة كأس العالم ستقام في ألمانيا بعد ستة أشهر، وإن تلك النجاحات حوّلت البرغوث إلى شخص مرغوب فيه من الرعاة.

فمن ماكدونالدز إلى بيبسي، ومن شركة ريبسول الإسبانية للنفط والغاز إلى شركة لا سيرينيسما لمنتجات الألبان، ومن شركة ليز للرقائق إلى أحذية ستوركممان، ومن غاربارينو للأجهزة الكهربائية إلى ماستر كارد؛ تهافت عشرات الرعاة للحصول على خدمات ميسي، الذي كان توّاً قد ظهر بصحبة مارادونا. يظهر الاثنان وهما يوقّعان على تلفاز معاً، مع عبارة: «انظر على ماذا يوقّعان، إنّهما الأفضل».





ميسي

يلعب ليو بكل شيء. «كرة قدم: 30 بيزو. كرة مضرب: 12 بيزو. كيلوجرام من البرتقال: 3 بيزو»، كان ذلك إعلان لبطاقة ماستر كارد، يظهر فيه اللاعب الشاب، وهو يلهو بكرة قدم وكرة مضرب وبرتقالة؛ ما يعني – بالنسبة إليه – «أنّ هناك أملاً بعد ديبغولا يقدر بثمن».

ثمّ نراه يلعب مع أطفال يخيمّ الحزن على ملامحهم في إعلان لعلكة بوبالو، ثمّ يرقص بالكرة على ألحان موسيقا التانغو في إعلان لبيبيسي. كلّ ذلك لا يقارن بالحمولات الأخيرة، مثل الإعلان الذي يظهر فيه على شكل المخلّص الذي ينزل من السماء، للترويج لمنتجات شركة إيه ستايل الإيطالية للقبعات والملابس الرياضية، أو تلك الحملة التي يظهر فيها على شكل عجوز (جدة) تحبّ لعب كرة القدم في إعلان صورته نهاية عام 2007م لصالح شركة طيران إير أوروبا.

من غير المنطقي إضاعة الوقت بالوصف؛ إذ يمكن دخول موقع يوتيوب بسهولة لمشاهدة كيف استغل المعلنون صورة الساحر ميسي ومهارته في بيع أيّ شيء، وكلّ شيء.

ومع نهاية عام 2005م، وبداية عام 2006م، أصبح من الواضح أنّ ميسي شخص مرغوب فيه في مختلف أرجاء العالم، وهو أمر أثبتته أيضاً الحرب التي نشبت بين شركة نايكي (عملاق صناعة الملابس الرياضية في أمريكا)، والشركة الألمانية ذات الخطوط الثلاثة؛ أديداس.





الفصل التاسع عشر

أجواء جديدة

حوار مع فيرناندو سولاناس، مدير التسويق الرياضي لشركة



أديداس، فرع شبه الجزيرة الأيبيرية

هل صحيح أن صراع عملاقي الألبسة والأدوات الرياضية؛ نايكي

وأديداس على ميسي وصل إلى المحاكم؟

«نعم، ولكن دعني أخبرك بالقصة من بدايتها. لقد أجريت أول اتصال بخورخي؛ والد ليونيل ووكيل أعماله، عام 2003م. وكان ميسي حينها ملتزماً بعقد مع شركة نايكي، يتضمّن منحه أدوات رياضية فقط لقاء الإفادة من صورته في ترويج منتجات الشركة. وقد أخبرني خورخي بأنهما راضيان عن علاقتهما بالشركة الأمريكية التي كانت قد تعاقدت معه قبل ذلك بستين، حينما كان ميسي في سنّ الرابعة عشرة، ويلعب مع فريق الشباب في نادي برشلونة. لم يخطر على باله - وقتئذٍ - التعامل مع راعٍ جديد. لكنني رغبت في إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة معهما، فقامت في العام المقبل (العام الأخير الذي ينتهي فيه عقد شركة نايكي معهما) بالتحدث إليه مجدّداً، موضّحاً له أنّ بإمكانه تحقيق أرباح مجزية إذا وافق على التفاوض معنا».





دعني أوضّح الأمر؛ في عام 2003م، عندما كان ميسي لا يزال في سن السادسة عشرة، أرادت إحدى الشركات العالمية مثل أديداس «خطفه» من المنافس...

«من واجبنا اكتشاف نجوم المستقبل. لذا، فإننا نتعامل مع الخبراء، كل في مجاله. لقد مارست كرة القدم فيما مضى، وهي رياضة أحبّها جدًّا، وأعتقد أنّ بإمكانني تمييز اللاعب الجيد حينما أراه. ولكن، عندما يكون الأمر متعلّقًا بلاعب تودّ الشركة الاستفادة من مواهبه وقدراته واستثمارها، فأنا لا أتقّ إلاّ بآراء المدرّبين والكشّافين وصيّادي المواهب؛ أي بالأشخاص الذين يعملون مع اللاعبين الشباب. وقبل خمس سنوات، كان كلّ هؤلاء يقولون: إنّ ميسي هو جوهرة فريق الشباب في نادي برشلونة. لقد توقّعوا تفجّر موهبته... لم يكن لديّ أيّ وقت لأضيّعه».

مفهوم، لنكمل القصة إذن...

«حالما انتهى العقد مع نايكي، قرّر خورخي عدم توقيع عقد جديد مع أيّ شركة. لكنّه ظلّ يحصل على المنتجات الرياضية من نايكي؛ لأنّها أحد رعاة نادي برشلونة. وفي الوقت نفسه، فإنّه يودّ التمهّل قبل الموافقة على أيّ صفقة لابنه.

لقد شاهدت ليوي لعب في بطولة كأس العالم للشباب عام 2005م، مستخدمًا أدوات من ماركة نايكي، وهو يلعب الآن مع الفريق الأول في البارسا، وتجري الأمور على ما يرام في هولندا بالنسبة إليه. أعتقد أنّه تلقّى في ذلك الحين عروضًا مثيرة للاهتمام من أندية أوروبية أخرى مثل يوفنتوس».

وماذا حدث بشأن عقد الرعاية؟

«لقد وقّع خورخي خطاب حسن نيات مع شركة نايكي قبل يومين من مغادرته هولندا، إلاّ أنّ الأمور تعقّدت بعد ذلك؛ ما دفع الطرفين إلى إجراء





محادثات على مدار أشهر عدّة. ولكن، من دون التوصل إلى اتفاق... حتى تدخلت شركتنا.

قدّمنا عرضاً مادياً مغرياً للشركة، فضلاً عن منحها حقّ تمثيل منتجاتها في بطولة كأس العالم في ألمانيا. وفي شهر كانون الثاني من عام 2006م، وُقّع عقد يمتد حتى عام 2010م.

يقولون: إن المبلغ السنوي الذي تضمّنه عقدكم، هو أكبر بخمس مرّات ممّا عرضته نايكي... إذن، نحن نتحدث عن أكثر من مليون دولار، أليس كذلك؟

«تبقى الأرقام سرية دائماً؛ فنحن لا نستطيع كشف شروط العقد».

حسناً، دعنا نكمل القصة؛ لأنّ المعركة بين أديداس ونايكي بدأت من هنا. لماذا اعترضت نايكي على ارتداء ميسي بعضاً من المنتجات التي تحمل ماركة بريدا تور الخاصة بأديداس أول مرّة، وذلك في بطولة كأس الملك حينما سجّل هدفاً في مرمى ريال سرقسطة، ثمّ صرّحت بأنّ «ميسي لديه اتفاق معنا، وسنبذل كلّ ما في وسعنا لنجعله يحترم ذلك الاتفاق»؟

«نعم. فقد رفعت نايكي المسألة إلى المحكمة، ثمّ حكم القاضي على ميسي بوجوب ارتداء منتجات شركة نايكي عند اللعب، من باب عدم المساس بالحقوق التي تدعيها الشركة الأمريكية».

ولكن، أنتم من كسب المعركة في نهاية المطاف، أليس كذلك؟

«لا أسمّي ما حصل بالمعركة، لكنّ الإجابة عن سؤالك هي: بلى؛ إذ نفى آخر حكم صادر أيّ التزامات لميسي تجاه نايكي. ومنذ ذلك الحين، بدأنا العمل مع ليو بصورة تدريجية».





ما الذي يمثله ميسي بالنسبة إلى عالم كرة القدم وتسويق المنتجات

الرياضية؟

«يمثل لي شيئاً آخر جيداً؛ جَوْاً جيداً، مارادونا الجديد. إنه يشبه الرسوم المتحرّكة عندما يكون على أرض الملعب. إنه باختصار شخص جذاب جداً».

لا أحد يُنكر حضوره على مستوى كرة القدم. ولكن، ماذا عن شخصيته...

ألم يكن فتى خجولاً متواضعاً؟

«لقد أحبّه الناس لذلك تحديداً؛ فهو شخص عادي، يحبّ قضاء الوقت مع عائلته وأصدقائه، واللعب بلعبته الإلكترونية (البلاي ستيشن)، ولا يكثر الضجة التي يسببها حضوره. بساطته هي نقطة قوته؛ فغالبا ما نلاحظ أنّ نجوم الرياضة يعيشون في عالم خاصّ بهم بعيداً عنّا. إلا أنّ ليو الخجول كان قريباً من المشجعين كافة».

لنتحدث عن حملتكم «لا للمستحيل»، التي كان ميسي أحد المشتركين

الرئيسيين فيها.

«إنّها قصص حقيقية يرويها النجوم المشاركون معنا. الفكرة هي إخبار المستهلك أن لا شيء مستحيل. وفي حالة ليو، فإنّه يقوم بسرد قصة حياته؛ صبي في سنّ الحادية عشرة، بنيته توحى بأنّه في الثامنة، لكنّه لا يدع ذلك يقف عائقاً أمام تحقيق النجاح. يمكن تحقيق المستحيل بالمتابعة والجدل والعزيمة. ليومثال حيّ على ذلك. لا ننسى أنّه عبر المحيط، ثمّ وصل إلى برشلونة عندما كان في سنّ الثالثة عشرة، ثمّ أصبح نجماً كروياً عالمياً بعدما تدرّج من فرق الشباب».





ماذا يمثل ميسي؟

«الأصالة».

في أي الأماكن كان حضوره مؤثراً؟

«لديه حضور لافت في أمريكا الجنوبية وإسبانيا وآسيا، خاصة اليابان».

ولماذا اليابان تحديداً؟

«لأنه صغير البنية. يبدو الأمر سخيماً، لكنّه واقعي؛ إذ يحبّ اليابانيون التشبّه باللاعب الصغير صاحب المهارات الكروية الفذة».

كيف هو الحال في أوروبا؟

«لقد أخذت صورته تنتشر على نحوٍ مطرد. لديه حضور قوي في إنجلترا على سبيل المثال، وذلك بفضل المباريات التي خاضها في دوري الأبطال أمام تشيلسي ومانشستر يونايتد».

ألا تخشى أن يتسبّب تناوله المتزايد والتعرّض لأخباره بوسائل الإعلام في التأثير فيه سلباً، على غرار ما أصاب حالات عدّة فيما مضى؟

«يتعيّن علينا الاهتمام به جيداً، ومعاملته معاملة حسنة».





الفصل العشرون

نجم المباراة

الثاني والعشرون من شباط عام 2006م



الجو بارد جداً في لندن التي ستقام فيها مباراة الذهاب لربع نهائي دوري الأبطال على ملعب ستامفورد بريدج. لقد كانت أرضية الملعب موحلة؛ ما أثار الكثير من الجدل في الصحافة. فالأجواء مشحونة جداً، وإنجليزية بامتياز.

يجمع اللقاء فريقين على طرفي نقيض، هما: تشيلسي بأسلوبه العقلاني الدفاعي الذي يمتاز بالقوة والاندفاع، ويُعدّ أكثر الفرق إقناعاً في أوروبا. وبرشلونة؛ الفريق ذو المواهب المتعدّدة، المبدع، الذي يتميز بلمسة استعراضية.

يقدمّ البارسا نموذجاً جذاباً لكرة القدم، لكنّه يكون أحياناً هشاً سهل الانكسار. يتصدّر كلا الفريقين الدوري، كلّ في بلده، وقد قدّمَا أداءً مبهراً في نهاية عام 2005م.

يبدأ العام المقبل بالوتيرة نفسها، لكنّ تشيلسي يقع في المحذور؛ إذ تتلقّى شباكه ثلاثة أهداف على ميدان نادي مدلزبرو في أثناء بطولة الدوري، ويفاجأ بإقصائه من كأس الاتحاد الإنجليزي على يد كولشيستر المغمور. وفي المقابل، فقد عانى البارسا في الآونة الأخيرة غياب إيتو الذي يشارك منتخب بلاده في





هيسي

بطولة كأس الأمم الإفريقية، فضلاً عن الإصابة التي تعرّض لها تشافي؛ إذ أفضى ذلك كلّهُ إلى إقصائهم من بطولة كأس الملك على يد ريال سرقسطة، وأدّى غياب رونالدينو إلى خسارة الفريق مباراتين في الدوري. تُعدّ الهزيمة أمام فالنسيا أمرًا قاسياً؛ نظراً إلى قرب ترتيب هذا الأخير من البارسا، وذلك قلّص فارق النقاط إلى ست.

لندع الظروف المحيطة جانباً، فنحن بصدد الحديث عن مباراة تُعدّ بالكثير من المفاجآت المثيرة للاهتمام؛ فنجد فيها تنافساً ثنائياً بين صاحب الكرة الذهبية رونالدينو، ووصيفه فرانك لامبارد، وبين أفضل لاعب في إفريقيا إيتو، ووصيفه دروغبا. ولا ننسى المنافسة الثنائية بين المدرّبين؛ إذ لدينا على الطرف الأول جوزيه مورينيو، ذو الشخصية العاطفية الهستيرية، يقابله على الطرف الثاني ريكارد، الهادئ المتزن، إنهما شخصيتان على النقيض تماماً.

هناك أيضاً موضوع الثأر الحاضر دائماً في كرة القدم؛ فالكلّ ما زال يذكر الهزيمة والأهداف الثلاثة التي سجّلها البلوز في غضون التسع عشرة دقيقة في مرمى البلاوغرانا، في الثامن من شهر آذار عام 2005م، خلال مباراة العودة لدور الستة عشر من دوري الأبطال. وكانت مباراة الذهاب قد انتهت بتقدّم طفيف للبارسا بنتيجة (1-2) على ملعبه، لكنّه أصبح يلهث - من دون جدوى- وراء التعادل بعد ارتكاب بعض لاعبيه عدداً من الأخطاء الدفاعية التي برّرها ريكارد لاحقاً بقلّة الخبرة وغياب التركيز.

وعلى الرغم من المجهود الذي بذله رونالدينو، وشلال الفرص الضائعة، فإنّ فريق البارسا ذاك، الذي كان يُعدّ نفسه فريق الأحلام الجديد في النادي، اضطر إلى رؤية منظر مورينيو الذي اندفع إلى أرض الملعب بعد إطلاق صافرة النهاية، وبدأ بتوزيع القبلات في الهواء على أنصاره. وقد رافق ذلك تعرّض





بعض اللاعبين للإهانة، فضلاً عن التدافع والمشاحنات بين اللاعبين ورجال الأمن، وهي أمور تورط فيها الجميع، حتى المدرب الهولندي.

كانت رحلة العودة إلى الديار مريرة، وقد حُلَّت الأخطاء مرارًا وتكرارًا، وأُتِّهم حكم اللقاء بيير لويجي كولينا (من الصحافة الإسبانية) بالتغاضي عن ركلات جزاء، فضلاً عن عدم مشاهدته اعتداء كارفاليو على فالديز الذي أدى إلى تسجيل جون تيري هدفًا، لتصبح النتيجة (2-4) لصالح تشيلسي؛ أي إنه أُتِّهم بمحاباة النادي اللندني.

من المعروف أنّ التاريخ يكون حاضرًا في مناسبات مثل هذه. ويطلق العنان لكثير من العناوين على صفحات الجرائد الرياضية جميعها، ويُوجد ما يشبه مسلسلًا تلفزيونيًا دراميًا يُدعى «الانتقام».

يزداد التوتر بين اللاعبين الذين ينزلون إلى أرضية الملعب الساعة 8:45 مساءً. ثم تُعلن تشكيلة الفريقين؛ يغيب دروغبا عن التشكيلة الأساسية لتشيلسي، ويسدّ مكانه في الهجوم هرنان كريستو، في حين تتأكد مشاركة آسيير ديل أورنو وكلود ماكيليلي في الخط الخلفي. بينما ينضم تياغو موتا إلى آدميلسون في خط وسط البارسا. يجلس أندرياس انيستا على مقاعد البدلاء، مع أنّه لعب ضمن التشكيلة الأساسية في الآونة الأخيرة. بعد قليل، يدخل ليوميسي الملعب، بقميصه الأصفر البرّاق الذي يحمل الرقم (30)، ويبدو حينئذٍ - بالنسبة إلى الكثيرين - مجرد صبي كبير. كيف سيتعامل مع هذا النوع من التوتر الذي يُعدّ شديد الوقوع حتى على بعض اللاعبين المخضرمين؟ يبدو أنّه لا يشعر بالضغط أو الانفعال. هل ذلك ناتج من نقص في الانضباط لدى هذا اللاعب الشاب؟ أو أنّه - ببساطة - لا يخشى تلك الأجواء؟





تأتي الإجابة في الدقيقة الثالثة، عندما يُسدّد الأرجنتيني تسديدته الأولى على مرمى بيتر تشيك، ويتصدّى لها هذا الأخير بسهولة. لا شك في أنّ ليوليس خائفًا. وهو يُثبِت ذلك باستمرار في الدقائق التي تلي حين يجري في كلّ موضع متاح مثل فأر صغير. إنّه يوجد في كلّ مكان، يحاول اختطاف الكرة، ويُمرّر بدقة، ويعمل مع زملائه جيدًا، ويحقق أول فرصة حقيقية، ويزرع بذور الخوف في دفاعات تشيلسي. ثمّ نراه يُشكّل كابوسًا لديل أورنو، الذي يقوم بدوره بعرقلة ليوفي الدقيقة الحادية والثلاثين، تاركًا علامة على الجورب الأيمن لهذا الأخير. لكنّ البرغوث لا يُحذّر أو يعترض. يستمر اللعب. ولكن، بعد ست دقائق، يؤدي تدخّل عنيف من المدافع الباسكي إلى تلقيه بطاقة حمراء، تاركًا تشيلسي تُكمل المباراة بعشرة لاعبين. ما الذي يحدث؟ سيطر ميسي على الكرة في منتصف ملعب الخصم، ويحافظ عليها على الرغم من التدخّل القوي والصراع (كثفًا لكثف) مع روبن، وينجح هذا الأخير في انتزاع الكرة، لكنّ اللاعب الصغير لا يستسلم. فيلحق روبن إلى حدود الملعب، ويحاول التغلّب عليه من الجهات كلّها. وفي نهاية المطاف، يُفجّر قدرًا غير متوقّع من الطاقة، ويحصل على الكرة قرب الراية الركنية. روبن أمامه الآن، لكنّ ليونينج في إمرار الكرة من بين قدميه، وعندها يصدمه القطار.

يشرح اللاعب الأرجنتيني لاحقًا ما حدث بقوله: «لقد شاهدت المدافع متجهًا نحوي بسرعة وإصرار، فحاولت أن أففز مبتعدًا عنه، لكنني لم أنجح». يسقط صاحب القميص الأصفر على الأرض بصحبة ديل أورنو، فيتخلّق بقية اللاعبين حولهما متسببين في جلبة. وفي هذه الأثناء، يدخل روبن وغوديونسن في جدال مع الحكم المساعد. يحدث احتكاك بين ديكو، ورونالدينو بديل أورنو. ثمّ يوشك بويول أن يدخل في عراك بالأيدي مع روبن. يحاول موتا وأدميلسون تهدئة الأجواء. يتجادل جون تيري مع الحكم النرويجي تيري هوغ، بينما يهمس





روني بشيء في أذن هذا الأخير. ثم تأتي البطاقة الحمراء، فيحتج ديل أورنو، ويصفق موتا، ويعترض ماكليلي.

تُستأنف المباراة من جديد، في حين يحاول مورينيو إعادة ترتيب أوراقه؛ فيسحب جو كول، ويُقحم الظهير الأيمن جيريمي، ويُغيّر موقع فيريرا، بحيث يتمكن من مراقبة ميسي. ولكن، لا شيء يتغيّر؛ فلا العنف ولا الضرب الذي تعرّض له اللاعب الشاب أثر في عزمته وحماسه، فيستمرّ في السيطرة على اللقاء؛ لا يهدأ، ولا يلقي بالألحاح لآعبي البلوز، ويستمرّ في أدائه الملحمي المنفرد. ثمّ نراه يُقوّي دعائم الجهة اليمنى من الملعب، صانعاً فرصاً خطيرة لزميليه ديكو ورونالدينو، لكنهما يفشلان في استغلالها.

يعاني ليو عزلة شديدة، ويفشل في إحداث تأثير ملموس دون دعم من رفاقه. في غضون ذلك، نرى تشيلسي (المنقوص العدد) يلتزم بالخطّة التي رسمها مدرّبه بحذافيرها: «أريد التعادل السلبي وحسب». لديهم الآن عذر مناسب للتمترس والتموضع في منطقتهم الخلفية وتحسين الفرصة للهجوم. تشيلسي يسيطر على المباراة، ولا ينتظر كثيراً قبل أن يُترجم تلك السيطرة لمصلحته. يتقدّم الفريق الإنجليزي في الدقيقة الثامنة والخمسين بعد الدعم الذي حصل عليه بدخول دروغبا في الشوط الثاني. موتا يحوّل الكرة خطأً في مرماه عند محاولته إبعاد الضربة الحرّة التي نفذها لامبارد. على البارسا قلب الطاولة الآن. ومرةً أخرى يظهر ميسي بأدلاً أقصى جهده، ومُحمّساً بقية أفراد الفريق، ومُتجاهلاً صافرات الاستهجان التي تطلقها الجماهير كلّما لمس الكرة. يتجاوز الدفاع بسرعة، ويهيئ تمريرات رائعة، لكن لا أحد في الاستقبال. يركن تسديدة خفيفة من على حافة منطقة الجزاء، لكنّها تلمس القائم الأيسر للحارس وتخرج. يقف مصعوقاً، ثمّ يرتسم على مُحيّاه تعبير مليء بالسخرية،





ميسي

كأنه يسأل نفسه: ماذا عليّ أن أفعل أكثر من ذلك؟ إنه الأكثر عزيمة، وأخيرًا يستمد الفريق بعضًا منها، فيساندونه.

يقلب تيري الموازين لمصلحة البارسا في الدقيقة السبعين حين يُحوّل الركلة الحرّة التي نُفّذها رونالدينو في شباك بيتر تشيك، ويعادل النتيجة. بعدها يبدأ البارسا بلعب كرة قدم حقيقية، وصنع فرص. يظهر ميسي من جديد، يُمرّر تمريرة ذهبية للارسون الذي دخل محلّ موتا. بعدها بثلاث دقائق، يرتمي تيري على الأرجنتينيين داخل منطقة الجزاء؛ لمنعه من السيطرة على الكرة. هل هنالك ركلة جزاء؟ الحكم لا يُعلن عن شيء. وفي الدقيقة التاسعة والسبعين، يُحوّل إيتو برأسه تمريرة من ماركيز إلى داخل الشباك. لقد نجحوا.

كانت تلك أول هزيمة يتعرّض لها فريق جوزيه مورينيو على أرضه من أصل (49) مباراة (38 فوزًا، و11 تعادلًا). لكنّه لا يتقبّل ذلك على نحوٍ جيد؛ فيلقي باللوم على الحكم وليو، قائلاً: «هل أنا ممتعض من طرد ديل أورنو؟ هل شاهدتم المباراة؟ أنا أخالف أصحاب القرار الرأي، اكتب ذلك إن شئت... لكن، ماذا عسانا نفعل؟ نطالبهم بالتراجع عن البطاقة الحمراء التي تلقّاها ديل أورنو؟ أو إيقاف ميسي بتهمة التمثيل؟ لم يُغيّر شيئاً من النتيجة... فلنكن صريحين، لقد قام ميسي بالتمثيل. كاتالونيا بلاد تعج بالثقافة، وأنتم تعرفون ذلك. وقد تردّدت على المسارح كثيرًا، ولمست مستوى الأداء المتميّز لديهم في التمثيل. لقد تعلّم ميسي من الأفضل...».

وفي المقابل، قال إيتو: «من الواضح أنّ كلّ من يدّعي أنّ ميسي كان يُمثّل لم يشاهد ما حدث فعلاً». ويصّر ريكارد على ذلك قائلاً: «لقد كانوا يضربونه من كلّ حذب وصبوب». أمّا ميسي فقال ببساطة: «أعاني جرّحًا على مستوى الركبة، وآخر في الفخذ، وآخر في قدمي. وأعاني كدمات في مختلف أنحاء جسمي، لكنني لا أشعر بالألم؛ لأننا فزنا. لقد كانت حقًا مباراة خارقة».



يتفق الآخرون على احترام المجهود الذي بذله، بدءاً بزملائه الذين يعانقونه وهو يهيم بمغادرة الملعب، وانتهاءً بأنصار النادي الذين جاؤوا إلى لندن، وأخذوا يرددون اسمه. ثم تنهال عليه الأوصاف في اليوم المقبل كالمنطق؛ فتارة يتحدث أنصاره عن «التفاني»، وتارة عن «العبقري»، وأخرى عن «اللاعب الماهر»، و«كنز البارسا»، و«ولادة نجم عظيم»، و«الأفضل»، و«الأشجع»، و«الأفضل في المباراة». يقارن أداء ميسي - بالنظر إلى سنّه وهدوء أعصابه - بأداء بيليه في بطولة كأس العالم عام 1958م التي أقيمت في السويد، وبأداء مارادونا في بطولة كأس العالم للشباب عام 1979م، وبأداء كرويف في المباراة التي خاضها فريقه أمام فريق بنفيكا عام 1969م، وبجورج بست. لقد كان يتلقّى المديح من كل مكان، وكأنّه اجتاز امتحان الرجولة بسهولة وتفوّق، وهو أمر استمتع به الفريق بالمعية.

أقيمت مباراة الإياب بكامب نو في السابع من شهر آذار. وفيها تمكّن ميسي من انتزاع الكرة من روبن في الدقيقة الثالثة والعشرين، لينطلق بعدها، لكنّه يضع يده على ركبته اليسرى فجأة، ثمّ يقع على الأرض. قال لاحقاً: «كنت قد أحسست بألم بعد الاصطدام بويليام غالاس، لكنني قرّرت إكمال الهجوم. وبعد ثوانٍ معدودة أدركت أنني لا أستطيع ذلك».

لم يتعرّض ليو، وقتئذٍ، لأيّ خشونة في التعامل أو ضرب من الخصم، لكنّه كان ملقى على أرضية الملعب. إنّه متجهّم من شدّة الألم، يداه تثبتان شعره من الخلف، وتغطيان وجهه؛ كي لا يرى أحد نظرة الخوف التي اعترته. يُطبق الصمت على الجمهور. ثمّ يناظر زملائه بعضهم بعضاً بحزن. وفي نهاية المطاف، يغادر أرض الملعب منفِعلاً، ويحضنه ريكارد في موقف يزخر بالمشاعر الجياشة. إنّها لحظة مؤثرة في لاعب ينال تصفيق تسعين ألف مشجع في كامب نو؛ لا نظير شفقة، بل لأنّه مهندس الانتصار الذي تحقّق في ستامفورد بريدج.





ميسي

هناك تمزُّق بمقدار أربعة سنتيمترات في الجزء العلوي من عضلة العرقوب اليسرى. يقول أطباء النادي: إنَّ عملية الشفاء ستستغرق مدَّة تتراوح من أربعة إلى ستة أسابيع. لكنَّ الحظَّ يجانب ميسي؛ فعندما حان وقت عودته إلى الملاعب، ظهرت مشكلات جديدة في الموضع نفسه، وهو لا يزال يحسُّ بالألم. كان من المفترض أن يلعب أمام فياريال، لكنَّه لم يتمكن من ذلك، وكذا أمام ميلان في نصف نهائي دوري الأبطال، لكنَّه لن يكون موجودًا آنذاك. وقد طال الأمر ليصل إلى تسعة وسبعين يومًا من دون لعب، وهو الآن يشاهد نهائي دوري الأبطال من على المدرجات.

كان هنالك حديث عن إمكانية لعبه مدَّة قصيرة في تلك المناسبة المهمة التي جمعت البارسا بنادي آرسنال على ملعب فرنسا بباريس، ربَّما لبضع دقائق في آخر المباراة. ولكن، على الرغم من أنَّه كان قد تعافى من إصابته بصورة كبيرة، إلاَّ أنَّ ريكارد لا يخاطر بالزج به. يفوز زملاؤه في المباراة، ويرفعون الكأس للمرة الثانية في تاريخ النادي. يشعر ليو بالحزن والوحدة، ولا ينزل للحصول على ميداليته.





الفصل الحادي والعشرين

جمال أخاذ

حوار مع سانتياغو سيغورولا، الصحفي في صحيفة ماركا



«جوهرة كرة القدم يتجسد في جسم لاعب صغير، فتى في سن الثامنة عشرة، ليس مشهوراً كفايةً، لدرجة أنه قد يمرّ بجانبك في الشارع من دون أن تلحظه. اسمه ليو ميسي، ولدينا الحقّ كلّ في الاعتقاد أننا في حضرة لاعب استثنائي؛ وهو اللاعب الأكثر تألقاً منذ سنوات.»

كانت تلك السطور الأولى من المقالة التي كتبتها في اليوم اللاحق لمباراة تشيلسي وبرشلونة. لماذا أعجبت بميسي إلى تلك الدرجة؟

«لأنّ أدائه كان مميّزًا، وحوى مختلف المهارات والأساليب الفنية التي تسحر المشاهد، وتجعله يتفكّر في الأعجوبة المسماة كرة القدم. ولأنّها لم تبدُ كمباراة يخوضها فتى في سنّ الثامنة عشرة، فهو لم يذق طعم العظمة وأوج الشهرة بعدُ. في تلك المباراة، ظهر ميسي قبل أن يظهر البارسا؛ فقد كان مفاجئًا، ماهرًا، سريعًا، عبقرياً، فضلاً عن إظهاره قدرًا كبيرًا من الشجاعة. لقد كان نجم المباراة الذي صنع الفارق، وحقّق الفوز فيها. لقد بهر الجماهير، وكان أدائه من أفضل ما رأيته طوال حياتي.»





وهل رأيت كثيرًا من اللاعبين هناك؟

«رأيت مارادونا حين كان في أوج عطائه، ورأيت راؤول في أول ظهور له... لكن، لا أحد من اللاعبين الذين سبق لي رؤيتهم في الملعب كان يمثل تلك القوة والشجاعة».

ما الصفة التي لفتت انتباهك أكثر؟

«السرعة ولا شك. فالكل يرغب أن يكون سريعًا في كرة القدم الحديثة، لكنّ السرعة تؤدي إلى الاصطدام. يبهمني ميسي في كيفية قدرته على اتخاذ كثير من القرارات بسرعة كبيرة دون أن يخطئ... نعم، قد لا يملك مخيلة مثل التي كانت لدى رونالدينو، أو اللاعبين البرازيليين العظماء، وقد لا يملك بصيرة مارادونا وأسلوبه في اللعب، لكن لديه جمال فائق للصوت».

هل هناك أيّ صفات أخرى؟

«إنّه اللاعب الوحيد القادر على حسم المباراة بصرف النظر عن مكان وجوده في الملعب. وقد أثبت ذلك في المباراة التي جمعت فريقه بفريق سرقسطة؛ فقد كان في منتصف الملعب، وظهره صوب المرمى، لكنّه تمكّن من التسجيل في نهاية المطاف. إنّه أفضل مَنْ رأيتُ إذا تحدثنا عن الالتفاف، حتى إنّه أفضل من مارادونا. يستطيع المراوغة، ويلعب الكرة بأسلوب واحد - اثنين، ويمكنه التهديف بسهولة... إنّه نتاج أكاديمية عالمية جديدة ترعى اللاعبين الشباب. إنّه يمثل نموذجًا مثيرًا للاهتمام؛ فجذوره الأرجنتينية حاضرة باستمرار. ولكن، في الوقت نفسه، فهو ينتمي إلى ثقافة وأسلوب لعب خاصين بمدرسة برشلونة بامتياز. إنّه مثال حيّ على الأداء الرائع الذي حقّقه نادي برشلونة في أكاديمية الشباب منذ قضية بوسمان».





كيف تغيّر ميسي عقب المباراة؟

«إنّه لم يتغيّر، ولكنّه أصبح أكثر أهمية. فميسي الآن أحد قادة كرة القدم في نادي برشلونة، وإنه يقود منتخبه الوطني أيضاً».

ماذا تتوقع أن تحمل السنوات القادمة له؟

«ما يقلقني هو إمكانية أن يخسر ميسي سرعته. فماذا سيحدث عندما يتقدّم به الزمن. وما مدى تأثير ذلك في تماسكه وسرعته؟ لا أعرف... هل سينتهي به المطاف مثل رونالدو الذي أصبح يظهر بصورة أقل في المباريات، ولا يستطيع الركض أكثر من عشرين متراً؟ من الصعب التكهّن بما سيحدث، ويتأثير ذلك في الجوانب المادية والمناحي التجارية. لطالما أثّرت الشعبية في اللاعبين. إنّها تفرض عليهم أن يكونوا الأفضل في العالم في كلّ لحظة. وذلك أمر مستحيل؛ فاللاعب العظيم هو مَنْ يعرف حدوده».

إذن، فالخطر الحقيقي - في نهاية المطاف - يكمن في الإعلانات والغرور؟

«لا أعتقد أنّ اللاعبين جاهزون للتعامل مع الضغط الهائل الذي تصنعه الصحافة، والنقاد، والنجاح، والمجد والشهرة، والسفر، ومطالب الرعاية التجارية. قد تكون تلك عوامل ملهية، وقد تجعلك تركز إلى روتين يومي في اللعب. لذا، يتعيّن على لاعبي كرة القدم معرفة أنّ الأمر يشبه الاصطدام بشاحنة، حقاً، إنّهُ أمر صعب. أصعب من بعض ركلات آسيير ديل أورنو على ملعب ستامفورد بريدج».





الفصل الثاني والعشرون

صعب جداً

حوار مع أسير ديل أورنو



مدافع، وُلِد في التاسع عشر من شهر كانون الثاني عام 1981م، في منطقة باراكالدو التابعة لمقاطعة فيسكايا الباسكية. وفيما يأتي بطاقته (وصفه) التعريفية:

الطول: 1,81 متر. - **الوزن:** 72 كيلوجراماً.

الظهور الأول: التاسع من شهر أيلول عام 2000م، في مباراة ديورتيفو أمام أتليتيكو بلباو (0-2).

السجل الرياضي:

• 1999م-2005م: نادي أتليتيكو بلباو.

• 2005م-2006م: تشيلسي.

• 2006م-2007م: فالنسيا.

• 2007م-2008م: أتليتيكو بلباو.

• 2008م-2010م: فالنسيا.





• 2010م: ريال بلد الوليد.

• 2010م-2011م: ليفانتي.

• عشر مباريات دولية مع المنتخب الإسباني.

الألقاب:

الدوري الإنجليزي، موسم (2005م-2006م).

الدرع الخيرية الإنجليزية، عام 2005م.

تلك هي سيرته الذاتية، لكنّ الظهير الأيسر السابق لنادي تشيلسي لديه المزيد ليقوله.

ما الذي حصل في مباراة ثمن النهائي من دوري الأبطال لموسم

(2005م - 2006م) بين تشيلسي وبرشلونة على ملعب ستامفورد بريدج؟

«لقد كانت مباراة خاصة بالنظر إلى ما حصل في الموسم السابق؛ إذ كانت الأجواء مشحونة، وكان باستطاعة الجميع الشعور بذلك. كنّا واثقين جدًّا من أنفسنا؛ فمورينيوقد هيّأنا لتلك المواجهة بكل تفاصيلها، في محاولة للتصدي لأيّ من مناورات البارسا. كان لدينا لاعبون أمثال ماكيليلي ولامبارد وإيسيان في منتصف الملعب، يعملون على تأمين الحماية لخط الدفاع، لكنّ ميسي تمكّن من اختراقه مرارًا. وقد واجهته مرّتين أو ثلاث مرّات، وحاولت إيقافه بكلّ ما أوتيت من مهارة وخبرة.»

هل فاجأك ميسي؟ فلربّما لم تكن تتوقّع أن تواجه صبيًّا بمثل تلك

المهارة؟

«هنالك دائمًا لاعب يسبّب متاعب على غير المتوقّع في كلّ مباراة.»





ارتكبت خطأ في حقّه في الدقيقة الحادية والثلاثين، نلت على إثره بطاقة صفراء. هل كان ذلك بسبب شيء ارتكبه ضدك؟

«لا، لقد كان مجرد حادث عابر في أثناء المباراة. بصراحة، لا أذكر التفاصيل».

هل يمكن تصنيف ميسي من المهاجمين الذين يتعمدون استفزاز المدافعين؟

«لا، إنّه لا يقوم بذلك. فهو لا يقول شيئاً على الإطلاق. تحدث الكثير من محاولات الاستفزاز بين المهاجمين والمدافعين، لكنّه لا يتبع ذلك الأسلوب أبداً».

لنتنقل إلى الحديث عن الدقيقة السادسة والثلاثين من الشوط الأول.

«كان ميسي قد مرّر الكرة من بين قدمي روبن بجانب الراية الركنية. وقد حاولت التصدي له، لكنّه نجح في تجاؤزي. رأيتّه بعدها يتلوّى على الأرض، فقام الحكم بطردي. كان ميسي دقيقاً وذكياً؛ ما جعل الأمر يبدو كأنّه تدخل خشن جداً، لكنّه في الواقع كان لا شيء».

إذن، كان جوزيه مورينيو محقاً عندما صرّح بعد المباراة بأنّ ليو مثل على نحوٍ متقن؟

«لقد بالغ ليو من دون شك».

دعنا من حديث الماضي، ولنتحدث عن صفات ميسي من وجهة نظرك بوصفه ظهيراً أيسر.

«إنّ ما يميّز ميسي هو قدرته على التقدّم بالكرة إلى الأمام بصورة فائقة سريعة، كأنّها ملتصقة بقدمه. وتمنحه سرعته القدرة على تغيير الاتجاه، ومفاجأة اللاعب الموكل بمراقبته في تلك اللحظة تحديداً».





كيف يمكن إيقاف ميسي؟

«الأمر معقد؛ صعب، صعب جداً. ويعتمد ذلك على الموقف الذي تواجهه، والوحي الذي ينزل عليه... إذ من الصعب إيقافه عندما يراوغ من خط الجانب باتجاه منتصف الملعب. فهو يمتلك السرعة والمهارة، اللتين تُشكّلان مأزقاً كبيراً لأيّ مدافع».

هل من نصيحة لزملائك معشر المدافعين؟ «لا أعرف... كل ما أستطيع قوله هو إنه يتعين على المدافعين عدم ترك مسافات بين بعضهم بعضاً، وأن يكونوا عدائين سريعين، وينتبهوا إلى تمرّكهم».





الفصل الثالث والعشرون

ولا دقيقة واحدة

الثلاثون من حزيران عام 2006م



يوجد عدد من اللاعبين الآخرين الذين سطع نجمهم في أعالي السماء، وعلى رأسهم رونالدينيو؛ إذ يعتقد المراقبون والجمهور أنه سيكون الأفضل. ويتوقع الكثيرون أن يُتَوَجَّح بلقب أفضل لاعب في بطولة كأس العالم، إلى جانب فوزه بلقب الهدّاف؛ فغالبية المدربين واللاعبين، والصحف وقنوات التلفزة، تُرشِّح البرازيل لخطف اللقب، ناهيك عن أسباب أخرى. يُعدّ الرهان على لاعب البارسا صاحب القميص رقم (10) منطقيًا ومضمونًا؛ فقد أنهى تَوًّا موسمًا رائعًا، تُوِّجَّح خلاله بجائزة الكرة الذهبية لأفضل لاعب في العالم، عدالقب الدوري الإسباني، ودوري أبطال أوروبا مع ناديه. كلُّ ما تبقى عليه فعله ليُتَوَجَّح ملكًا لكرة القدم، هو الفوز بكأس العالم للمرّة الثانية في مسيرته.

يوجد أيضًا لاعبون آخرون يُنتظر منهم الكثير، أمثال زميل ليوفي الفريق؛ رونالدو الذي يتوقع أن ينتفض مرّة أخرى؛ وديفيد بيكام اللاعب الألمعي في عالم كرة القدم؛ وزيدان الذي يخوض آخر تحدٍّ له في مسيرته الكروية. ويوجد لاعبون منافسون لهم. ولكن، بدرجة أقل، مثل: فيغو، وبالاك، وتوريس، وفان نيستروي، وديل بييرو.





ميسي

وفيما يخص المنتخب الأرجنتيني، فالاسم الذي يتردد على كل لسان هو خوان رومان ريكلمي؛ البالغ من العمر الثامنة والعشرين، والمولود في بوينوس آيرس، وهو لاعب وسط مهاجم في نادي فياريال، ولم يسبق له الفوز بكأس العالم من قبل، ولكن ذلك لم يمنع خوزيه بكرمان من وضع كامل ثقته به.

بني منتخب الإلبيسيلستي حول ريكلمي، كما اعتمد أداء المنتخب على ما يبذله من مجهود في المباراة. إنّه من نوعية اللاعبين الهادئين، وتتمثل مهمته في قيادة الفريق. لذا، يتعيّن عليه أن يكون صلباً، وأن يُبدع في اللعب، فضلاً عن التحرك بين خطوط الفريق؛ لتزويد المهاجمين بالتمريرات الحاسمة.

أمّا ميسي فهو ينتمي حالياً إلى فئة نجوم الصف الثاني، أو بالأصح إلى اللاعبين الشبان الواعدين. وقد نُصّب كما رادونا الجديد، وينبغي أن يكون كأس العالم فرصته السانحة لمفاجأة العالم أجمع وهو لا يزال في سنّ الثامنة عشرة، وذلك بعدما اشتهر عالمياً عقب مباراة ستامفورد بريديج.

اختره المشجعون إلى جانب البرتغالي كريستيانو رونالدو والإكوادوري لويس فالنسيا، من ضمن ستة لاعبين مرشحين لجائزة أفضل لاعب صاعد في كأس العالم (رُشِح الثلاثة الآخرون من الفيفا، وهم: سيسك فابريغاس، والسويسري ترانكولو بارنيتا، والألماني لوكاس بودولسكي). وقد مُنح هذا اللقب أول مرّة في الأول من شهر كانون الثاني عام 1985م. وكان يتعيّن على أيّ لاعب يوّد المنافسة، الظهور على الملاعب الألمانية، وإثبات قدراته في مجال: الأسلوب، والشخصية، واللعب النظيف، والشغف بكرة القدم.

يريد الأرجنتينيون رؤية ميسي في التشكيلة الأساسية، وهم يعلّقون آمالهم كلّها عليه؛ إذ يريدون تأكيداً للقصص الرائعة القادمة من أوروبا عن خليفة مارادونا، ويريدونه متجسّداً في قميص المنتخب الوطني. فهم يحلمون منذ



أيام الفتى الذهبي (لقب مارادونا) بقدوم لاعب متميِّز؛ لاعب ساحر مبدع، يحبُّونه ويمجِّدونه بالطريقة نفسها التي أحبُّوا بها ديفغو ومجِّدوه، وما زالوا. وكان هذا الأخير قد طالب منذ أشهر بمنح ميسي القميص رقم (10)، وهو قميص كان قد سُحِب من الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم؛ تكريماً لمارادونا.

صحيح أن ليو ترعرع بعيداً عن بلده، لكنّه عاد في الأشهر الأخيرة، بعد تعافيه من الإصابة التي لحقت به في مباراة فريقه أمام تشيلسي؛ إذ أُتيح له الوقت للظهور، والقيام بمقابلات، وتصوير إعلانات تتعلّق ببطولة كأس العالم. وقد راهنت شركات أرجنتينية وعالمية عليه؛ للاستفادة من هذا الحدث العالمي. وكانت أديداس إحدى تلك الشركات، حيث قامت بإصاق صور كبيرة تحمل صورته على مبانٍ عملاقة، بدءاً بروما، ومروراً ببرلين، وانتهاءً ببوينوس آيرس.

حظي ليو بشهرة واسعة - عشية انطلاق البطولة - فاقت ما حظي به جميع زملائه في الفريق؛ من ناحية ترويجية على الأقل. لا شكّ في أنّه حصل على تغطية إعلامية أكثر ممّا ناله أيّ عضو من أعضاء الإلبيسيلستي الآخرين. ولكن، من شأن ذلك الترويج إيجاد الفيرة، وهو أمر يُعدّ عائقاً آخر أمام تقبُّل اللاعب الصغير بوصفه أحد أعضاء فريق بكرمان.

ناصر أعضاء الفريق العداء لميسي أخيراً؛ من جرّاء نجاحه في بطولة كأس العالم للشباب. ففي مباراته الأولى مع المنتخب الوطني الأول، التي أُقيمت في بودابست على الملعب المُسمّى فيرينك بوشكاش تكريماً للاعب المجري الشهير، يوم السابع عشر من شهر آب عام 2005م، وكانت مباراة ودية أمام المنتخب المجري؛ يدخل ليو بديلاً لماكسي لوبيز في الدقيقة الخامسة والستين، إلّا أنّه لم يمكث على أرض الملعب سوى أربعين ثانية فقط؛ فعند





ميسي

لمسته الثانية للكرة، قام بمراوغة فانزاك، لكنّ هذا الأخير مسكه من قميصه الجديد ذي الرقم (18)، فرفع ميسي ذراعه محاولاً التملّص من خصمه. عندئذٍ، حدث التصادم، وأصاب ذراعه وجه المدافع. ولم يتردّد الحكم الألماني ماركوس ميرك في إشهار البطاقة الحمراء له بداعي ضربه الخصم بمرفقه.

لاعبو المنتخب الأرجنتيني لا يصدّقون أعينهم، فزميلهم الصغير يطرد في أول ظهور دولي له. لم يتخيّل ليو حدوث ذلك، وسيُمضي ما تبقى من زمن المباراة، وهو في حالة بكاء شديد. يعتقد مدربه وزملاؤه في الفريق أنّ الحكم قد بالغ في قراره، لكنّ كلمات المواساة تلك لم تُجدِ نفعاً معه.

بعد الظهور الأول المرير، سيخوض ليو مباريات جديدة من شأنها مساعدته على نسيان مسألة الطرد، والانسجام أكثر مع الفريق. لكنّ ذلك ليس أمراً سهلاً. فالأمر جلي وواضح؛ إذ تغلّب على ميسي صفة الخجل، وهو لا يتحدث إلى زملائه، أو إلى الطاقم الفني إلا نادراً.

توجد مواقف كثيرة تُثبِت ذلك الأمر. فعلى سبيل المثال، حين دعا المدرب أعضاء الفريق إلى حفل شواء أرجنتيني تقليدي، في أثناء وجودهم بمعسكر مدريد؛ بغية زيادة الترابط والألفة بينهم، لم ينبس ليو ببنت شفة، ولا حتى لطلب بعض اللحم. لقد كان صمته بادياً للعيان، وباعثاً على القلق. حتى إنّ ميسي لا يخرج عن صمته للقيام بالواجبات والمهام الرسمية المتوقّعة منه.

حادثة أخرى تؤكّد هذا الأمر؛ فقد كان من المتعارف عليه في عيد الميلاد، أن يحضر اللاعبون لزيارة مدربهم بعد قضاء بعض الوقت مع عائلاتهم، لكنّ ميسي لم يحضر. يضاف إلى ذلك أنّ الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم يجد دائماً صعوبة في معرفة مكان وجوده.



وعلاوة على ذلك، لا يلتزم هذا الفتى بالتسلسل الإداري للفريق، ولا بالأعراف التي تُعدّ أساسية في كرة القدم الأرجنتينية. إنّه ليس متمرّداً، ولا مشيراً للمشكلات، ولا يقصد شيئاً من تصرفاته، إنّه كذلك وحسب. فعلى سبيل المثال، في التدريبات التي سبقت ظهوره الأول مع المنتخب، صادف غابرييل هاينزه وجهاً لوجه. وقد تكرّر هذا الأمر أكثر من مرّة، لكنّ ميسي تجاهله. فبيدأ هاينزه، المدافع الحالي لنادي أوليمبيك مرسييا، بالغليان، ويوشك أن ينتقم لكبريائه المجروح. عندئذٍ، يضطر بكرمان إلى التّدخل لحماية الفتى الصغير، وكبرياء أحد لاعبيه. تلك حادثة ستكرّر مع لاعبين آخرين في مقر إقامة الفريق بمدينة نوريمبيرغ الألمانية. أقلّ ما يمكن أن يقال عن أسلوب لاعب برشلونة الشاب: إنّه خالٍ من الاحترام. ولكن، بصرف النظر عن مسألة الطرائق المتعارفة والضاربة في القدم، فعلينا التنويه بأنّ ميسي لا يزال صغيراً جداً. فبمقارنة بسيطة، حتى مارادونا لم يُختَر ضمن تشكيلة المنتخب الوطني المشارك في بطولة كأس العالم لعام 1978م، بقيادة كارلوس بيلاردو (ورد خطأ اسم سيزار بيلاردو، وربّما اختلط الأمر على الكاتب، فظنّه المدرّب سيزار مينوتي الفائز بكأس العالم عام 1986م رفقة المنتخب الأرجنتيني) عندما كان في سنّ الثامنة عشرة، على الرغم من أنّه كان نجمًا صاعداً. ميسي الآن في ألمانيا. ولكن، ينبغي للمرء لتذكّر أنّ المنتخب الأول المشارك في بطولة كأس العالم، لم يضم في صفوفه لاعباً في الثامنة عشرة منذ ثلاثينيات القرن الماضي.

هنالك درس كان يتعيّن على اللاعبين الذين جلسوا طواعية على دكّة البدلاء أن يتعلّموه؛ هو ضرورة حماية المواهب الصاعدة بأيّ ثمن، وعدم إلقاء ثقل الهزيمة على كاهلهم. فقد يُشكّل ذلك خطراً عليهم، خاصة أنّ التاريخ - في مثل هذه الحالة - لا يرحم أحداً.





ميسي

فعلت الإصابة التي تعرّض لها ميسي في السابع من شهر آذار الشيء نفسه؛ فعلى الرغم من تحسّن حالة ميسي ظاهريًا، ولعبه كثيرًا من المباريات الودية قبل بطولة كأس العالم، إلا أنّ بعض المطلعين رأوا أنّه لا يزال يعاني مشكلات عضلية. أمّا بالنسبة إلى حالته النفسية فميسي سعيد بخوض تجربته الأولى ببطولة كأس العالم. لذا، نجده يؤكّد في تصريحاته التي تسبق البطولة ما يقوله الجميع: البرازيليون، بقيادة زميله رونالدينيو، هم المرشحون لنيل اللقب، «لكن لدينا فريق جيد نحن أيضًا. يضم المنتخب الوطني لاعبين رائعين جدًا. طبيعيًا سنتعامل مع الأمر خطوة خطوة، وستكون لكلّ مباراة أهميتها. سنواجه خصوصًا أقوى، وستكون المباريات كلّها معقّدة. لكنني أؤمن بأنّ الأرجنتين قادرة على الفوز ببطولة كأس العالم».

أوقعت القرعة منتخب الإلبسيليستي في المجموعة الثالثة، التي سُمّيت بمجموعة الموت منذ بدء هذه العملية، وهي تضم ساحل العاج، وصربيا ومنتينيغرو، وهولندا. لن يكون المشوار سهلاً، خاصة أنّ الكارثة التي وقعت في بطولة كأس العالم السابقة، في كوريا الجنوبية واليابان، ما زالت حاضرة في الأذهان.

تقام المباراة الأولى أمام ساحل العاج في العاشر من شهر حزيران، الساعة التاسعة مساءً في مدينة هامبورغ. يُذكر أنّ ميسي أُصيب بكدمة خلال حصة تدريبية قبل ذلك بخمسة أيام، ما جعل مشاركته في المباراة أمرًا صعبًا. لذا، قرّر المدربّ إراحته والإفادة منه في المباريات القادمة، فهو - بعيدًا عن كلّ شيء - غير مقتنع أنّه مستعدّ للعب بما نسبته 100%. حتى إنّ المدربّ قال: «لا نعدّ بأمر قد يجعلكم تتوقعون أيّ شيء. لقد لمسنا تطوّرًا مع كلّ حصة تدريبية. حالته تتحسّن شيئًا فشيئًا. نحن ممتنون للجهد الذي بذله كي يتمكن من الحضور معنا إلى هنا».



لايزال ميسي حبيس الدكة، وهو يشاهد كريسيو يسجّل هدفه الدولي رقم (30)، بعد أن مارس هوايته في استغلال الفرص. ثمّ نراه يراقب مجريات الأمور باهتمام، خاصة حينما ينزل الإلهام على ريكلمي؛ إذ يرسل هذا الأخير تمريرة دقيقة على الرغم من أنّه يلتفت ناحية المدرّجات. ويرى (الأرنب) سافيولا، غير المراقب يحوّل التمريرة بلمسة واحدة إلى هدف خدع الحارس تيزبيه. يواصل ميسي مراقبة الأفيال (لقب منتخب ساحل العاج) وهم يحاولون العودة إلى المباراة، ويصنعون الفرصة تلو الأخرى. ولكن، من دون أن يتمكّنوا من التسجيل، إلّا أنّهم نجحوا في ذلك قبل نهاية المباراة بقليل؛ بهدف من دروغبا كالعادة، ونجحوا في اختراق الدفاع الأرجنتيني الذي يقوده المتميّز أيا، لتنتهي المباراة بفوز الأرجنتين (1-2).

لقد كان أداء الإلبيسيستي مبشّراً، حتى من دون ليو. يعلّق بكرمان على المباراة قائلاً: «كرة القدم بالنسبة إليّ لا تتغيّر. أتوقّع أموراً معيّنة من فريقي، وأنا هنا لا أتحدث عن رغبات بحتة، بل أحلّل مجريات الأحداث فحسب. لقد قدّمنا أداءً جيداً تميّز بالتركيز على الجانب الدفاعي، قياساً على أنّ تلك كانت مباراتنا الأولى، وتمكّننا من إيقاف اللاعبين الخطيرين في منتخب ساحل العاج. صحيح أنّنا لم نقدّم أداءً متميّزاً، ولكن حقيقة أنّنا لم نفقد أعصابنا كانت أمراً جيداً جداً».

نقرأ من كلام المدرب هذا أنّه راضٍ عن نتائج الفريق حتى هذه اللحظة، ويبدو ذلك جلياً حينما زجّ بالتشكيلة ذاتها - باستثناء إقحام لوتشو غونزاليس مكان إستييان كامبياسو- في المباراة الثانية أمام منتخب صربيا ومنتينغرو، مع أنّ هذه الأخيرة خسرت مباراتها الأولى أمام هولندا، وأنّ المدرب كان يعدّها المنافس الأصعب في المجموعة.





ميسي

أقيمت المباراة في السادس عشر من شهر حزيران في مدينة غيلسين كيرشن، وميسي على الدكة مرة أخرى. يجلس كارلوس تيفيز إلى جانبه، وينتظر خمسًا وستين دقيقة، يشاهد في أثنائها فريقه وهو يسجل ثلاثة أهداف، ثم يسأل نفسه: كم هدفًا كان سيُسجل لو قُدِّر له أن يلعب؟

ينهض بعدها على قدميه، مرتديًا القميص الأصفر العاكس، ثم يقوم بعمليات الإحماء على الخط. الإحماء علامة مبشّرة، إلا أنه يعود إلى مقاعد الدكة، ملتزمًا بتعليمات المدرب وإيماءاته، وأخيرًا يسمح له هوغو توكاللي، مساعد المدرب، بارتداء القميص الأزرق رقم (19). تسنح أول مشاركة له في بطولة كأس العالم في الدقيقة الرابعة والسبعين؛ إذ يدخل مكان ماكسي رودريغيز، وينضم إلى التشكيلة رفيقه الشاب الآخر كارلوس تيفيز.

يقوم مارادونا الجالس على مقاعد المدرجات برفع يديه في الهواء، يصرخ ويشجع ميسي برفقة الآلاف من أنصار المنتخب الأرجنتيني، مرددين: «هيا... هيا... ميسي... ميسي...». ثم يرفع أحدهم لوحة تظهر عليها صورة البرغوث وإلى جانبه كأس العالم. وقد كتب تحتها عبارة «هذا هو حلمي». في حين يلوح آخرون بلافتة كتب عليها: «إنه أرجنتيني، إنه المنقذ». وتلوح فتاة صغيرة بلافتة مخاطبة بكرمان: «خوزيه، أشرك ميسي، (أرجوك)»، وهو رجاؤهم تحقق أخيرًا.

كان أداء الإلبيسيلستي جيدًا حتى تلك اللحظة، أداءً كفيل بإسكات المنتقدين، لكن الأمور تتغير حين يدخل البرغوث؛ إذ يرغم صاحب الرقم (19) فريقه المستكين على الاستفاقة، ويجعل أفراده يتحركون من جديد، ويسرعون من أدائهم شيئًا فشيئًا. وما أن يمرروا له الكرة، حتى ينطلق كالسهم، وكل ما يريده هو وضعها في مرمى الخصم. يذهل الجميع من طريقة تجاوزه للاعبين.



يكسب الفريق ركلة حرّة، فيندفع ميسي بسرعة متّجهاً إلى شمال منطقة الجزاء. وبعد أن يصل إلى خط النهاية، يرفع رأسه، ثمّ يرسل الكرة إلى القائم البعيد بمحاذاة خط المرمى في زاوية مثالية بالنسبة إلى كريستو، الذي يتوقّع بدوره ردّة فعل الدفاع الصربي، فيمدّ قدمه ليضع الكرة في المرمى، رافعاً غلّة فريقه إلى أربعة أهداف. وفي الدقيقة السابعة والثمانين، يمرّر تيفيز الكرة إلى كريستو، الذي يعيدها بدوره إلى تيفيز، فيقوم هذا الأخير - كان قد سجّل الهدف الخامس - بإمرار الكرة إلى ميسي بمنتهى اللأنانية. وحينئذٍ، ينطلق ليو من الجهة اليمنى، ثمّ يتخلّص من أحد المدافعين، ليضع الكرة بين القائم ويد حارس المرمى. يقف ميسي للإشارة إلى اللاعب الذي أهده تمريرة الهدف، فيأتي كريستو مسرعاً ويحضنه، في الوقت الذي جُنّ فيه جنون الجمهور.

يا لها من بداية رائعة في بطولة كأس العالم بالنسبة إليه! لكنّه يقلل بعد ذلك من الأمر بقوله: «لم أكن أفكّر في ظهوري الأول. كنت أفكّر في الفوز بمباراة راودتني رغبة شديدة في المشاركة فيها. أصدقكم القول: إنني لم أفكّر بعد في أنني قد شاركت في هذه البطولة، وإنني حققت اليوم حلمًا».

ماذا الآن؟ على بكرمان اتخاذ قرار، وحلّ معضلة؛ فقد كتب بييب غوارديولا في صحيفة إل بايس: «تريد البلاد من المدرب أن يشرك ميسي من البداية، لأن ينتظر حتى الدقيقة الرابعة والسبعين. وإنّ الصحافة، التي تلاحظ جيداً صاحب الأداء الأفضل من اللاعبين، تريده أيضاً. إنّه لاعب ترغب البلدان كلّها والصحافة جمعاء في أن يلعب ضمن منتخباتها الوطنية. إنّه فقط (بكرمان) يعرف ماذا سيفعل بهذا العبقرى. لا يوجد شكّ في أنّ ميسي سيؤدّي في مباراة كاملة بالطريقة نفسها التي أدى بها خلال ربع ساعة. كان الوضع أمس كالأمّ التي تخبّي الحلويات جيداً في مكان بعيد عن ابنها، لكنّها تعطيه منها حين يشرع في البكاء. تلك حيلة مضمونة النجاح، حتى ولو ربع ساعة».





ميسي

كان القرار سهلاً في نهاية المطاف، وأصبح الوضع أخف وطأة؛ فالمباراة الأخيرة في المجموعة الثالثة أمام منتخب هولندا أصبحت أقل أهمية؛ إذ نجح الفريقان في التأهل إلى دور الستة عشر، وما عليهما الآن سوى تحديد المتصدّر. يمكن لبركان الآن اصطياد عصفورين بحجر واحد؛ إشراك ميسي وتيفيز في التشكيلة الأساسية، وإراحة كريستيانو رونالدو وسافيولا وتجنّب حصولهما على بطاقات صفراء، ما قد يعني غيابهما عن الدور القادم. المهم أنّ الجميع راضٍ بذلك، خاصة مَنْ يريد رؤية العبقري الصغير القادم من روزاريو يلعب مجدّداً.

إنّهُ اليوم الحادي والعشرون من شهر حزيران، ومدرّجات ملعب فالديستاديون بفرانكفورت تحفل بالجماهير المحتشدة، التي تترقّب ظهور ميسي، خاصة يوهان كرويف، وميشيل بلاتيني، وفرانس بكنباور، ولا ننسى طبعاً ديفو مارادونا الذي يرتدي قميص الإلبيسيلستي ولا شكّ. وبعبارة أخرى، فإنّ صفاة الصفاة من اللاعبين الذين شاركوا في بطولات سابقة لكأس العالم، هم في انتظار ليو.

كان ليو آخر مَنْ نزل من حافلة الفريق، وهو يضع سمّاعتي جهاز الآيبود في أذنيه، وآخر مَنْ بدّل ثيابه، بعد أن ألقى نظرة على الملعب، وتحدث إلى زميليه في برشلونة فان برونكهوست وفان بوميل اللذين سيشاركانه اللعب مع المنتخب البرتغالي، وآخر مَنْ بدأ عملية الإحماء.

حان وقت دخول الملعب، وما زال ميسي ينتظر في الصف بمنتهى الاحترام. يرتدي في قدميه زوج أحذية من صنع أديداس، مصمّم خصيصاً ليتناسب مع هالة الظهور في مثل هذه البطولة. كُتِب على الحذاء اسم ليو، ورُسمت الشمس التي تُميّز العلم الأرجنتيني، وعبارة «يد الرب» (قال مارادونا بعد تسجيله هدفاً بيده في مرمى منتخب إنجلترا في كأس العالم عام 1986م: إنّ يد الرب هي مَنْ سجّلته)، والتاريخ 22 حزيران 1986م.





كان اليوم اللاحق للمباراة يصادف الذكرى العشرين لتسجيل مارادونا هدفين في مرمى منتخب إنجلترا في بطولة كأس العالم عام 1986م؛ أحدهما باليد، والآخر بالقدم.

كانت أنظار الجماهير مصوّبة نحو الملعب، في انتظار العجائب التي سيصنعها ميسي هذه المرّة؛ فإذا استطاع أن يعيث بدفاع الخصوم دمارًا في غضون ربع ساعة فقط، فمنّ يدرى ما الذي سيفعله في (90) دقيقة. وحتى في حال لم يُقدّم أفضل ما عنده تلك الليلة، إلا أنّ بإمكان الجميع الشعور بعظم التأثير الذي يُحدثه وجوده.

لعب ميسي جهة الجناح الأيمن في الشوط الأول، وتولّى تيم دي كليبر مراقبته. وقد تمكّن من لمس الكرة إحدى عشرة مرّة، وفقدتها مرّة واحدة، ومرّرها سبع مرّات على نحوٍ صحيح. أمّا في الشوط الثاني فقد أخذ يتحوّل إلى الجناح الأيسر، ليصبح تحت رقابة كيف يالينس. ولكنه لم ينجح في لمس الكرة سوى ثلاث مرّات فقط خلال ثلاث وعشرين دقيقة، تمكّن في إحداها فقط من اللعب كما يجب؛ ما دفع بكرمان إلى سحبه من الملعب في الدقيقة التاسعة والستين، ليحلّ خوليو كروز مكانه. كانت الإنجازات متواضعة في تلك المباراة: تسديدة عادية بالقدم اليسرى، وتمريرة جيدة أو اثنتان، إحداها بالعمق لكامبياسو الذي سددها، لكنّ فان دير سار تصدّى لها بصعوبة، وتمريرة رائعة لماكسي رودريغز، ومناورة (واحد- اثنان) جميلة مع ريكيلمي، سددها الأخير، لكنّها حادت عن المرمى بقليل.

كانت تلك المباراة أكثر المباريات ترقّبًا في الجولة الأولى من بطولة كأس العالم؛ صدام بين فريقين قويين سجّلهما حافل بالكثير من الإنجازات (أبرزها نهائي كأس العالم عام 1978م)، لكنّه كان مخيبًا للأمال. وقد صرّح بعض





حيسي

الصحفيين - بمكر ودهاء - بأن الأداء العادي الذي قدّمه صاحب الرقم (19) سيكون أفضل مبرر للمدرب كي يعيده إلى مقاعد البدلاء، وهذا ما حدث فعلاً.

في الرابع والعشرين من شهر حزيران، الذي يصادف عيد ميلاده التاسع عشر، يجلس ميسي على أحد مقاعد البدلاء مشاهداً مدة (84) دقيقة. ومنتخب الأرجنتين لا يؤدي جيداً هذه المرّة؛ فمنتخب المكسيك الذي يدرّبه الأرجنتيني ريكاردو لا فالوييه يضغط بكلّ قوته. ثمّ يدخل ميسي مكان سافيولا، وكانت النتيجة تشير إلى التعادل بهدف لكلّ فريق. وبينما كانت المباراة تتجه نحو الشوطين الإضافيين، غير فتى البارسا من إيقاع فريقه، فمنحه العمق المطلوب، وسار بالكرة بين اللاعبين، ليبنى هجمة أحرز منها ماكسي رودريغز هدفاً رائعاً. وبذا، وصلت الأرجنتين إلى ربع النهائي بعد مخاض طويل، خلافاً للتوقعات.

بعد ذلك، واجهت الأرجنتين فريق البلد المستضيف ألمانيا في برلين، في الثلاثين من شهر حزيران. وقد لعب منتخب الأرجنتين (120) دقيقة من دون أن يشارك ميسي منتخب بلاده في اللعب، ولو دقيقة واحدة.

لقد كان ذلك أمراً غامضاً، وكانت مباراة مثيرة للجدل انتهت بخسارة الأرجنتين بفارق الضربات الترجيحية 2-4 (انتهى الوقت الأصلي والإضافي بالتعادل 1-1).

لنعد بشريط المباراة الحاسمة هذه إلى الوراء قليلاً؛ لنعرّف الحال التي آل إليها هذا اللاعب (حيس دكة البدلاء)، الذي كان يُفترض أن يلعب دوراً محورياً في الفوز ببطولة كأس العالم.

قام بكرمان بسحب سافيولا من التشكيلة الأساسية، ووضع تيفيز مكانه، ولعب لوتشو غونزاليس ضمن هذه التشكيلة؛ إنهما لاعبان يؤديان جيداً مع





الفريق من دون شك. وقد اضطر بكرمان إلى إجراء أول تبديل في الدقيقة الحادية والسبعين، فسحب باتو أبودنزيري الذي أصيب بعد احتكاك باللاعبين الألمان العمالة، وأدخل مكانه ليو فرانكو. ثم يأتي الدور بعدها على ريكلمي؛ فقد «كان متعباً» كما يصف المدرب لاحقاً. فيدخل كامبياسو بدلاً منه.

حاول المدرب إيجاد توازن في الفريق، أو بالأحرى، سدّ المنافذ، والمحافظة على النتيجة. فمنتخب الأرجنتين متقدّم بهدف سجّله أياً لا بالرأس، إلا أنّ الفريق أخذ يتراجع إلى مناطقه الخلفية بفعل الضغط الألماني، ويشتكي من الاحتكاكات الخشنة التي يتعرّض لها من اللاعبين الألمان.

أجرى المدرب التبديل الأخير في الدقيقة التاسعة والسبعين، حيث أدخل كروز مكان كريسيو، ليسجّل كلوزه بعدها بقليل هدف التعادل برأسه. أصبح الوضع حرجاً جدّاً، ولا مناص من السرعة والمهارة والإبداع لتغيير النتيجة؛ إنّها قدرات لا يمتلكها كروز، ولن يستطيع تيفيز الذي لعب المباراة كاملة القيام بها من جرّاء التعب. كانوا في حاجة ماسة إلى ميسي. وكان هنالك إجماع شعبي على أنّ مشاركة ميسي فريقه في تلك المباراة كانت ستحسم النتيجة قبل التوجّه إلى ركلات الجزاء الترجيحية. لقد كان قادراً على قلب الموازين لو أُتيحت له فرصة المشاركة.

ولكن، لماذا أحجم بكرمان عن الاستعانة به؟ لماذا فضّل كروز عليه؟ يشرح المدرب هذا الأمر في المؤتمر الصحفي عقب المباراة، عقب الدموع، والمشاجرة بين أوليفر بيرهوف وفرينغز من جهة، وكروز من جهة أخرى، وقبل أن يعلن استقالته من تدريب المنتخب؛ إذ يقول: «كنا في تلك اللحظة في حاجة إلى مهاجم يجيد اللعب في منطقة الجزاء، وميسي لا يحظى بهذه الصفة. لطالما اعتبرناه (ميسي) خياراً جيداً، أنا على ثقة بأنّه لم يكن





ليخيب ظننا». وهو أمر يؤكد تعليق ساقه المدرب ذاته؛ إذ قال: «قد يكون لدى الأرجنتين خيارات أخرى، لكننا لم نتمكن من استنهاضها». واليوم، يؤكد هوجو توكاللي هذا الطرح بقوله: «كان علينا مواجهة أسلوب لعب الألمان في الكرات الهوائية؛ ما تطلب إشراك كروز. كنا متقدمين بهدف في مباراة نتحكم فيها جيدًا، ونسيطر عليها سيطرة كاملة، إلا أن الإصابة المؤسفة التي تعرض لها أبودنزيري أفستت خططنا كلها».

على الرغم من ذلك كله، فلا أحد يصدّق هذه المبررات، فتخرج النظريات واحدة تلو الأخرى، في محاولة لشرح ما جرى، وهذه أبرزها:

1- عدم القدرة على استشراف مجريات الأمور: كان فهم بكرمان للأوضاع خاطئًا بكل بساطة؛ فقد أخطأ في قراءة معطيات المباراة، واتخذ قرارًا متسرّعًا، وأجرى التغيير في غير محله.

2- الجهل بحقائق الأمور وكُنْهها: فالمدرب وحده هو الذي يعرف الحقيقة، وسيدون الموضوع في تاريخ كرة القدم الأرجنتينية بوصفه أحد الأسرار المهمة التي يحفل بها ذلك التاريخ، مثل: تعرّض راتين للطرْد في بطولة كأس العالم عام 1966م، في أثناء المباراة التي خاضها الفريق أمام إنجلترا البلد المضيف (ادّعى الحكم الألماني أنّ هذا اللاعب تعدّى لفظيًا على الخصم، مع أنّه (أي الحكم) لا يجيد الإسبانية). وقضية تعاطي مارادونا للمنشطات في بطولة كأس العالم عام 1994م. والبطاقة الحمراء التي وجّهت إلى أورتيجا في بطولة كأس العالم عام 1998م.

3- الاستماع إلى إرهابات بعض اللاعبين والعمل بها: فقد خضع بكرمان لرأي بعض لاعبي الفريق الكبار، الذين كانوا منزعجين من الهالة الإعلامية التي حظي بها ميسي وحده. وباختصار، فقد كان ميسي يقول دائمًا: إنّه يريد





اللعب، وذلك أمر لم يعجب كبار اللاعبين أمثال ريكلمي، والقائد روبرتو فاييان أبالا، اللذين أفصحا عمّا يدور في خلد هما، وطلبا إلى المدرّب عقد مؤتمر صحفي. لقد تمكّنا حقاً من إفتاع المدرّب بعدم إشراك ميسي في التشكيلة الأساسية.

4- العادات والقيم: لم يكن بإمكان بكرمان التغاضي عن العادات والقيم التي توجب إشراك كبار اللاعبين الذين أمضوا سنوات عدّة من البذل والعطاء. لن يعرف أحد أيّ التأويلات تلك هي الصحيحة مهما حصل. لذا، عمد خوزيه بكرمان إلى التزام الصمت، وعدم التطرّق إلى الموضوع، ليجري بعد ذلك بعام مقابلة مع مجلة ماركا الرياضية. وحين تسأل هذه الأخيرة:

1- ما الذي حدث مع ميسي؟ ألم يكن هنالك شيء من النزاع بسببه؟ يجب قائلاً: «إنني فخور به، فأنا من ضمّه إلى فريق الشباب دون سنّ العشرين، في الوقت الذي لم يكن يعرفه أحد. مشكلتنا نحن الأرجنتينيين هي أننا نؤمن بأنّ قليلاً من ميسي كفيلاً بإثارة حماسنا. وقد كان الجميع يتوقّع أن يفعل ميسي في كأس العالم ذلك ما فعله مارادونا من قبل. ولكن، كانت تلك خطواته الأولى مع المنتخب الأرجنتيني الذي يُعدّ من المنتخبات العظيمة. أتمنى أن يقطف ثمار تلك التجربة مستقبلاً».

2- ماذا عن ليو ميسي؟ «لقد ظلّ صامتاً - هو الآخر - حيال هذا الموضوع. وكان أحد القلائل الذين امتنعوا عن الظهور تلك الليلة في برلين أمام الكاميرات أو الميكروفونات. لم يكن ذلك بسبب خيبة الأمل من مغادرة البطولة فحسب، بل لغضبه الشديد ممّا ذكرته بعض التقارير الصحفية عن تصرفه في أثناء تنفيذ الضربات الترجيحية».





هيسي

3- أقرّ ليو بذلك في مقابلة مع صحيفة موندو دييورتيفو، أعقبت المباراة بخمسة أيام؛ إذ قال: «قالوا أشياء من قبيل: إنني لم أكن مهتمًا بالفوز أو الخسارة؛ وهو أمر عارٍ عن الصحة تمامًا. لو أنّ أحدًا كان في غرف تغيير الملابس لعرف ما كنت أشعر به في تلك اللحظات».

4- لم يتطرق ليو في هذه المقابلة إلى قضية عدم إشراك بكرمان له كثيرًا في أثناء المباريات: «كان ذلك قراره... وقد سيّر الأمور على ذلك النحو؛ لأنها كانت تنجح كلّ مرّة. وكان لاعبون، مثل سافيولا وكريسبو، يؤدون على أكمل وجه. هكذا كانت تجري الأمور».

فعلى هذا النحو سارت الأمور، وحن الوقت لطّي هذه الصفحة.





الفصل الرابع والعشرون

تفرقة إيجابية

حوار مع خورخي فالدانو



عند سؤاله عن الصفة التي يودُّ أن يعرفه الناس بها، يجيب: «لاعب كرة قدم سابق». ذلك، مع أنَّه كان المدير العام لفريق كرة القدم في نادي ريال مدريد.

وعلاوة على فوزه بلقب كأس العالم برفقة المنتخب الأرجنتيني، فقد تقلد الكثير من المناصب والوظائف في حياته؛ فعمل مدرِّبًا، ومديرًا رياضيًّا، وكاتبًا، ومعلِّقًا. تُعدُّ الكلمات من أقوى أسلحته ولا شكَّ، والتشبيهات من أدواته التي لا يستغني عنها، ويُعدُّ التحليل متعة.

لنتحدث عن ميسي؛ لاعب كرة القدم الذي بدأ حياته مع نادي نيولز، مثلك أنت. لتبدأ من بطولة كأس العالم لعام 2006م. فقد علَّق شعبُ بأكمله آماله كلِّها على ليو، لكنَّ هذا الأخير لم يشترك في المباراة الحاسمة ولو لحظة. لماذا؟

«بكرمان رجل يميِّز الموهبة حين يراها، ولم يحدث يومًا أن أبعدها عن الأنظار. بإمكاننا محاولة التخيل أنَّ خطابًا ما قد حدث ولم ندر به، ربَّما كان





ميسي

أمراً بدنياً. ربّما لم يكن (ميسي) في أفضل حالاته. ومع ذلك، فقد كنت أحد الأشخاص الذين أيقنوا أنّ الانهيار الذي تعرّض له المنتخب من دون ميسي كان أمراً مؤسفاً. حدثت الكثير من المشكلات في المباراة الأخيرة؛ فأبودنزيري أُصيب، وريكلمي أنْهك، والأرجنتين كانت متقدّمة بهدف، وكانّ الظروف كلّها كانت تسير خلافاً لما يريده ميسي. وقد بدا للجميع أنّ الوضع تحت السيطرة؛ إذ كانت المحاولات الألمانية كلّها تذهب أدراج الرياح، لكنّ الواقع يقول: إنّهُ كان بالإمكان الإفادة من ميسي، واستغلال اندفاع المنافس لإحراز التعادل، وتسجيل هدف ثانٍ. لكنّ ذلك كلّهُ لا يعدو مجرد تكهّنات. أمّا أنا فأعتقد أنّ قرارات بكرمان أفضل من قراراتي؛ لأنّهُ كان يواجه الظروف المحيطة على أرض الواقع».

لأنّنا نتحدث عن ذلك، فقد كان هناك كلام كثير عن ميسي في فترة الشباب والنضج؛ عن العادات السائدة في كرة القدم الأرجنتينية، وعمّا جرى في حجرات الملابس...

«لعب مارادونا أول بطولة لكأس العالم في مسيرته الكروية عندما كان في سنّ الحادية والعشرين، وكانت تلك تجربة مريرة بالنسبة إليه؛ إذ لم يكن بعدُ قد نضج بما فيه الكفاية، وذلك خلافاً لما كان عليه حال ميسي؛ فنحن نعتقد أنّه لو تمكّن من اللعب لكان قلب المباراة رأساً على عقب...».

لأنّنا تطرّقنا إلى هذا الموضوع، فلنتحدث عن ميسي ومارادونا.

«طريقة لعب مارادونا مختلفة قليلاً؛ فقد كان قادراً على التسجيل، لكنّهُ كان يقوم أيضاً بعمل إستراتيجي. ميسي أكثر تألقاً من ذلك؛ فهو دائماً يحاول الوصول إلى المرمى اعتماداً على سرعته البدنية والذهنية، وقدرته الجسدية التي يمتلكها. وفي الوقت الذي كان فيه ديبغو يبطئ من سرعته أحياناً، كان





ميسي يجري دائماً بأقصى سرعة. تلك خطيئة تصيب اللاعبين الشباب. فقد كان مينووتي يقول دائماً: عليك أن تكون مثل جو بلوغز؛ المتعدّد المواهب. لا يمكن لميسي أن يتصرّف على سجيّته دائماً؛ فإذا كنت مندفعاً وهجومياً على الدوام، فإنّ الخصم سيكون حريصاً دائماً، وسيكون من الصعب مفاجأته».

ما أوجه التشابه بينهما؟

«ما يفعله ليو يشبه ما كان مارادونا قادراً على فعله فيما مضى؛ فهو فرد يمكنه تحمّل عبء ثقيل من دون مساعدة فريقه. إنّه لا يشبه زيدان أو بلاتيني، فهذان كانا في حاجة إلى فريق من حولهما؛ ليتمكّنا من تفجير عبقريتهما. أمّا كلّ ما يحتاج إليه ميسي من زملائه فهو إمرار الكرة إليه، ليتكفّل بعدها بعمل كلّ شيء وحده». - ما أبرز الاختلافات بينهما؟

«يوجد اختلاف واضح بينهما من ناحية الجسد؛ فقد قدّم مارادونا إلى نابولي بعد زيادة وزنه بنحو ثمانية كيلوجرامات، لكنّ تأثيره الفاعل لم يتغيّر. أمّا بالنسبة إلى ميسي فطريقته في اللعب تتطلّب منه أن يكون هجومياً ورأس حربة. لذا، فمن الضروري أن يحافظ على لياقته. انظر إلى الإصابات التي يعانيها بين الفينة والأخرى؛ وكأنّ عضلاته توقفه كلّما وصل مجهودها إلى الحدّ الأعلى».

ما رأيك في ميسي حالياً؟

«لقد أصبح ناضجاً. وهو يمتاز بقدرة فطرية على التعامل مع المنافسة. ونجده يُظهر انطباعاً بالسعادة كلّما كانت الكرة بين قدميه، لا يحكمه محيطه، ولا التوقعات التي يولّدها. تلك علامة على عظم اللاعب؛ ألاّ يصاب بالرهبة عندما يستعرض أمام الآخرين. لقد قدّم لنا أداءً مذهلاً، على الرغم من وجوده على مفترق طرق فيما يخصّ حياته المهنية؛ أي حيث يمكنك قياس





حيسي

حدود شخصيته. إننا نتعامل مع شخص قادر على لعب كرة قدم باهرة وجذابة، شخص يمكنه أن يُشكّل خطورة حتى لو كان مراقبًا من ثلاثة لاعبين. وظهره نحو المرمى، ومحاصرًا في زاوية الملعب».

ماذا يُخفي له المستقبل؟

«أودّ لو كان مستقبلي مثل مستقبله... لديه القدرة ليصبح أول اللاعبين العظماء في القرن الحادي والعشرين. لقد ترك لاعبون، مثل بيليه ومارادونا وكرويف ودي ستيفانو، بصماتهم على القرن العشرين، أمّا هو فبإمكانه السيطرة على هذا القرن الحالي، برفقة كريستيانو رونالدو. إنّه في وضع مثالي يسمح له بتحقيق ذلك. وقد حباه الله بمواهب عدّة، ويتعيّن عليه الآن أن يستغلها. ومن نقاط القوة التي تميّزه من غيره؛ قدرته على النظر إلى نفسه من بعيد بحسّ معيّن، فضلًا عن عدم إثارته أيّ جلبة خارج الملعب (لا يحدث ذلك إلاّ عندما تكون الكرة بين قدميه). إليك فرقًا آخر بينه وبين مارادونا؛ فقد كان ديفغوثائي النشاط: لاعب كرة من جهة، وشخصًا متمرّدًا ومحرّضًا من جهة أخرى. كان دومًا كبركان على وشك الثوران».





الفصل الخامس والعشرون

الشیطان

العاشر من آذار عام 2007م



إنّ كابوس الدون فايو هذه المرّة - من برشلونة - يتعلّق بفتى في سنّ التاسعة عشرة يُدعى ليوميسي. برغوث أرجنتيني يفسد احتفاله (فايو). لم يسبق لكاييلو الفوز على أرض البارسا (لا مع يوفنتوس، أو روما، أو ريال مدريد)، وكان على وشك تحقيق ذلك، عكس التوقّعات كلّها. لكنّ الرجل الصغير انبرى وعدّل النتيجة مرّة واثنين وثلاثاً، وحين بدأ أنّ المباراة ستدين لهم (ريال مدريد)، أخرج أفضل ما في جعبته في الدقيقة الأخيرة؛ وأخذ يحاور بسرعة متجهّاً صوب منتصف منطقة الجزاء، ليضع الكرة في المرمى، وتنتهي المباراة بنتيجة (3-3). يشعر كاييلو وفريقه بشعور الطفل الذي أخذت منه مصاصته وهو يهم في أكلها.

كان ديربي إسبانيا - من دون أدنى شكّ - غريباً، مثيراً، متقلّباً، مليئاً بالأهداف. بدأت المراسم بنزول قائدي الفريقين؛ بويول وراؤول إلى أرض الملعب، وهما يتضرّعان بالدعاء. دعاء يحتاج إليه كلا الفريقين؛ إذ يتعيّن على البارسا محو مرارة الخروج من دوري أبطال أوروبا، من ذاكرة (98) ألف مشاهد تغص بهم مدرّجات ملعب كامب نو، في حين يخوض ريال مدريد مباراة مصيرية؛ مباراة الفرصة الأخيرة لمواصلة المنافسة على اللقب.





هيسي

تشير التوقعات المعتادة إلى أن البلاوغرانا سيستحوذون على الكرة، وأنهم المرشّحون لتحقيق الفوز، وأنهم سينتشرون في الملعب بأسلوب (3-4-3) الجريء، وبذلك تصبح الرقابة على لاعبي الريال أقلّ من المعتاد. يصعب التكهّن بنتيجة مباراة مثل هذه؛ فريال مدريد يؤدي على نحوٍ مغاير أمام الغريم التقليدي بصرف النظر عن مستواه في البطولة. وبعد خمس دقائق فقط، وعلى عكس التوقعات، يتقدّم الريال بهدف.

يمرّر اللاعب الأشقر غوتي الكرة لهيغواين على الجهة اليسرى. يمرّر الأرجنتيني الشاب كرة لا تفوح منها رائحة الخطورة، لكنّ تورام هو مَنْ يحوّلها إلى كرة خطيرة، حيث يحاول إبعادها ويخطئ، لتصل إلى قدمي نستلروي، فيُسدّد هذا الهولندي من خارج منطقة الجزاء.

محاولات اعتراض فاشلة للكرة من بويول وفالديز، فتستقرّ الكرة في المرمى (0-1). وحينئذٍ، تظهر على مٌحيا ريكارد ملامح الانفعال والتوتر. ثمّ يظهر ليوميسي بعد ذلك بخمس دقائق، ويتلقّى تمريرة في العمق من تشافي، فينفرد بكاسياس وجهاً لوجه. لاعبو الريال مصدومون. إنّه هدف التعادل.

يرزح المدافعون في كلا الفريقين تحت ضغط شديد. ومن الملاحظ أنّ التوتر والغيظ قد فعلا فعلهما بأوليغير لاعب البرسا؛ فينتهي به المطاف مطروداً في الدقيقة الخامسة والأربعين، بعد تلقيه الإنذار الثاني من خطأ ارتكبه في حقّ غاغو. وكان قد تلقى الإنذار الأول في الدقيقة الثانية عشرة حين أمسك بغوتي داخل منطقة الجزاء. ضربة جزاء، وبطاقة صفراء، وفان نستلروي لا يُضيع الفرصة. أمّا فايو كاييلو فلا يُصدّق ما يرى. وكان الرئيس قد شدّد عليه ألا يخسر المباراة. أمّا أن يتقدّم في النتيجة فذلك أمر يمنحه فرصةً لتنفّس الصعداء.



لا يطول الأمر كثيراً؛ إذ يُثبِت ميسي مرّةً أُخرى أنّه مثل الكابوس، فيُسدّد كرة مرتدة من كاسياس. إنّها كرة ليست بالسهلة، لكنّه يتمكّن من التسجيل. يجب التنويه هنا بأنّ الفضل في إحراز هذا الهدف يُعزى إلى رونالدينو، الذي استيقظ أخيراً من سباته. يواظب ميسي على تنفيذ ما هو ماهر في عمله، فيغربل لاعبين أو ثلاثة، ثمّ يلعب الكرة بطريقة (واحد-اثنين) مع إيتو، ثمّ يُسدّد على كاسياس الذي يتمكّن من التصدي للكرة في المرّة الأولى، لكنّه يعجز عن ذلك أمام تسديدة ميسي المفاجئة. أربعة أهداف في سبع وعشرين دقيقة؛ هذا هو أسلوب العرض الذي يحبّ الجمهور الإسباني مشاهدته. يبدأ البارسا بالتحكّم في المباراة بعد التمكن من العودة بالنتيجة.

دفاع الريال في حيرة، اللاعب الذي طرد كان من برشلونة لكن عندها يأتي الطرد، فيمضي «برشلونة» الشوط الثاني بعشرة لاعبين. وفي هذه الأثناء، يقوم ريكارد بسحب إيتو من الملعب، ويدفع بسلفينهو بدلاً منه. يستمر البلاوغرانا في سيطرتهم واستحوادهم على الكرة، لكنّ الريال ما زالوا قادرين على تهديد البرسا؛ ما يجعل الأفضلية معرّضة للضياع في أيّ لحظة. وفي غمرة الأحداث وتسارعها، يُنفذ غوتي ركلة حرّة، فيقفز سيرخيوراموس وبويول لملاقاة الكرة. وينجح مدافع الريال بلمسها بمؤخّرة رقبتة، فتضرب الكرة العارضة، لتتهادى داخل المرمى. ولكن، هل انتصر الريال؟ لا؛ إذ يظهر ميسي مرّةً أُخرى لينقذ البرسا، ويبقي على فارق النقاط الذي يفصلهم عن الريال. وبذا، يعود كاييللو إلى المشكلة المعهودة نفسها.

لوكا كيولي، صحيفة كوريري ديلا سيرا، الحادي عشر من شهر آذار عام 2007.

يبدو أنّ كاييللوني ما يمكن لميسي أن يفعله. والغريب أنّه سأل عن ذلك الشيطان (كما أسماه) بعد إحدى مباريات بطولة كأس خوان غامبر، في





ميسي

الرابع والعشرين من شهر آب عام 2005م، حين أصاب ليودفاع يوفنتوس (كان كاييلو حينها مدرّب نادي يوفنتوس) بالجنون، وتسبّب في حصولهم على ثلاث بطاقات صفراء، ثمّ صنع هدفًا، وظلّ يُشكّل خطورة طوال التسعين دقيقة. لكنّ يوفنتوس نجح - في نهاية المطاف - في خطف الكأس بعد فوزه بفارق الركلات الترجيحية (5-6). ولكن ذلك لم يحلّ دون اختيار ميسي بوصفه أفضل لاعب في المباراة، وعَدّه المفاجأة السارة التي حملها اللقاء. وقد مازح فاييو كاييلو الذي عرف وقتها عِظَمَ الموهبة التي يمتلكها هذا اللاعب الشاب، فرانك ريكارد قائلاً: «حسنًا، إذا لم يكن لديكم مكان له في التشكيلة الأساسية، فأعطونا إيّاه، سنوفّع معه في الحال».

ربّما اعتقد فاييو كاييلو أنّ الأمور كلّها ستكون على ما يرام بالنسبة إليه، في ليلة العاشر من شهر آذار عام 2007م، مثلما كان عليه الحال في الثاني والعشرين من شهر تشرين الأول عام 2006م على ملعب البرنابيو. فقد حقّق البلانكوس انتصارًا عظيمًا (2-0)؛ ومديره في قَمّة السعادة بسبب هذه النتيجة، وميسي قدّم كلّ ما لديه على مدار سبعين دقيقة على الأقلّ؛ تمريرات دقيقة بالقدم اليسرى، وصناعة فرص أهدرها زملاؤه، واختراقات لمنطقة الجزاء. لقد تمكّن من فعل ذلك كلّ على الرغم من كثرة التدخلات الخشنة التي قام بها إيميرسون ضده؛ تدخلات أدت إلى إصابته بالتواء في الكاحل الأيمن، وتحديدًا في الرباط الجانبي الخارجي، يغيب على إثرها أسبوعًا عن الملاعب. لكنّه لم يتمكّن من التسجيل في تلك المباراة.

تقلّب الطاولة هذه المرّة. فهل يحمل ميسي على ألدون فاييو الذي كان وقتئذٍ مدرّبًا للمنتخب الإنجليزي (مدرّب المنتخب الروسي الآن)؟ قطعًا لا. هل القضية أنّه محظوظ عندما يلعب ضد كاييلو؟ ذلك ليس صحيحًا أيضًا. الأمر برمته مختلف. يقول ميسي: «اللاعب أمام ريال مدريد تحديدًا من شأنه تحفيز





أيّ لاعب». تلك حقيقة كان قد أثبتّها أول مرّة وطُتّ فيها قدماء ملعب البرنابيو في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني عام 2005م.

حُفرت تلك المباراة في أذهان كلّ مَنْ شاهدّها؛ بسبب الأداء المذهل الذي قدّمه رونالدينو (سجّل هدفين خارقين، فضلاً عن أشياء كثيرة أُخرى فعلها)، ووقوف اثنين من مشجعي الريال لتحية لاعب البارسا صاحب الرقم (10). تلك كانت لقطة (مشهد) المباراة المميّزة ولا شكّ. لقد كانت أمراً لا ينسى. ظهرت اللقطة على محطات التلفزة جميعها. وهو أمر حفز المحرّرين والصحفيين إلى البحث عن المشجعين اللذين كان أحدهما ذا شارب أسود والآخر مُلتحياً، وكانا يصفقان واقفين على أقدامهما. ودّ رجال الإعلام معرفة السبب الذي جعلهما يؤديان تلك التحية لرونالدينو. فماذا كان جوابهما؟ كيف لا يصفقان للاعب النجم، وللسحر الذي نثره في الملعب، حتى لو كان ذلك بحركة بسيطة تتم عن روح رياضية؟! ولكن، كما بهر رونالدينو كلّ مَنْ على المدرّجات بأدائه، كذلك فعل ليو.

لنطالع أبرز لقطات تلك المباراة:

- الدقيقة الثالثة: سيرخيو راموس يشعر بأنّ الطريقة الوحيدة لإيقاف البرغوث هي عرفلته، ويقوم بذلك فعلاً، على حافة منطقة الجزاء في مواجهة المرمى.
- الدقيقة الخامسة عشرة: ليو يُعدّ كرة لإيتو بعد حركة رائعة، ولا يتوانى هذا الأخير عن وضع الكرة في الشباك. الدقيقة السادسة والعشرون: ميسي يسرّع من إيقاعه بصورة رائعة تاركاً روبرتو كارلوس عاجزاً.
- الدقيقة الثلاثون: ميسي يخترق خطّ الدفاع، لكنّ إيكير كاسياس كان له بالمرصاد. بإمكان البارسا تسجيل هدف ثانٍ. يراوغ رونالدينو في الدقيقة الأربعين، ثمّ يرسل الكرة عرضية لميسي، لكنّ رأسية هذا الأخير تحيد عن





هيسي

المرمى. يحاول ميسي مرّة أُخرى في الدقيقة السابعة والأربعين، لكنّ كرته ابتعدت عن خشبات المرمى بعد ارتطامها بأحد المدافعين. وفي الدقيقة الخامسة والخمسين يتمكّن كاسياس من صدّ تسديدة ميسي الثالثة. ثمّ يخرج ميسي في الدقيقة التاسعة والستين تاركًا مكانه لإنيستا. لقد أثبتت الدقائق التي قضاها في اللعب، والمهارات التي استعرضها، أنّه الكلاسيكو الأول، كلّ ما كان ينقصه، ليكتمل أداءه الذي تميّز بالسرعة والحركة والتمريرات القاتلة؛ هو التسجيل. لكنّ أفضل مشهد يعلّق في الذاكرة بخصوص تلك المباراة؛ هو الكمّ الهائل من الشجاعة التي أظهرها في أول مباراة له أمام الغريم التقليدي، وعدم خشيته من أيّ شخص أو أيّ شيء، حتى إنّهُ لم يُظهر ولو القليل من الرهبة كما وصفها مواطنه خورخي فالدانو، وتمكّن من إثبات ذلك في مختلف أرجاء الملعب. وأخذ بزمام المبادرة، وتحمّل المسؤولية على الرغم من وجود نجوم في الفريق على غرار الملهم رونالدينو، وإيتو الذي كان في أوج عطائه.

تلك مشاعر سيُعبّر عنها الكثيرون؛ تأكيدًا، ومخالفًا، ثمّ تأكيدًا من جديد، وهكذا دواليك. من المؤسف أنّه (ليو) سيغيب عن لقاء الإياب نتيجة الإصابة التي تعرّض لها في مباراة تشيلسي. إنّها الإصابة نفسها (ولكن في الساق الأخرى) التي سيعانيها في الخامس عشر من شهر كانون الأول عام 2007م، في مباراة الفريق أمام فالنسيا على ملعب مستايا؛ أي قبل خمسة أيام من الكلاسيكو. ألم حادّ في الساق اليسرى، الرأس مطأطئ، ليو يعضّ على قميصه وهو يهيمّ بمغادرة الملعب. وداعًا للكلاسيكو.

يتعيّن على البارسا اللعب أمام ريال مدريد من دون اللاعب الذي صنع الفارق منذ بداية الموسم. وتؤكد الصور فوق الصوتية الأمر؛ تمزّق في العضلة الثنائية الرؤوس بالفخذ اليسرى، ما يعني غيابًا عن الملاعب يمتد ما بين أربعة إلى خمسة أسابيع (سيلعب مجددًا بعدها بستة وثلاثين يومًا؛ أي في العشرين



من كانون الثاني تحديداً، وذلك ضد رايسنغ سانتاندير). وسيعاني الإصابة مرّة أخرى في الرابع من شهر آذار عام 2008م، في ربع نهائي دوري الأبطال، في المباراة التي سيخوضها فريقه أمام فريق نادي سيلتيك على أرض هذا الأخير. تمزّق آخر بالفخذ اليسرى؛ تبعه غياب مدته خمسة أسابيع أخرى.

قد يتبادر إلى الذهن سؤال مهم، هو: لماذا يعاني ميسي تلك التمزّقات والكسور كلّها، لدرجة أنّ الجميع بدؤوا يُسمّونه النجم الخزفي؟

الأم عضلية متراكمة، وإصابة قديمة لم تُشَفَ كما يجب، ونقص في الإحماء، وضغط نفسي، وتوزيع غير متوازن للجهد على العضلات، ونمط مغلوط يغلّف الحياة المهنية، واصطدام مباشر، واختلاف مزعوم في طول الساقين... تلك كانت بعضاً من أسباب تعرّضه للإصابات. أضف إلى ذلك أنّ التعقيد الذي تميّز به البنية المأبضية (العضلات المفصلية) يجعل من الصعب معرفة سبب الإصابة بدقة، ما يبطئ من عملية تعافي اللاعب منها. أمّا في حالة ميسي فيعزي بعضهم الأمر إلى وضعه الجسدي، وبنيته العضلية والعظمية، وإلى مشكلات في النمو ناجمة عن الهرمونات. ولكن، في أيّ حال من الأحوال، يصعب تحديد السبب بدقة، حتى بالنسبة إلى الأطباء في نادي برشلونة، الذين هاجمته الصحافة أكثر من مرّة لعدم دقتهم في تحديد المدّة اللازمة للتعافي من الإصابات. يشرح خورخي ميسي ذلك بقوله: «لقد قالوا لي: إنّ كتلته العضلية تتكوّن من ألياف انفجارية، كتلك التي يمتلكها العدّاؤون. وذلك هو سبب السرعة التي يميّز بها، لكنّ إمكانية التعرّض لكسر واردة جداً. ليوعي جيداً أنّ عليه الانتباه لنفسه في الأوقات كلّها».

لنغلق موضوع الإصابات، ولنكمل قصة كلاسيكو العاشر من آذار عام 2007م. علمًا بأنّ تلك القصة تتضمّن حديثاً عن إصابة هي الأخرى. ليو غائب عن الملاعب منذ تسعة أسابيع، ولكن هذه المرّة ليس بسبب مشكلة عضلية،





ميسي

وإنما بسبب حادث في أثناء إحدى المباريات. ففي الثاني عشر من شهر تشرين الثاني عام 2006م، خاض الفريق مباراة أمام فريق ريال سرقسطة، وفيها داس مدافع الفريق الخصم، إلبيرتوزاباتار على قدم ليو؛ ما أدى إلى كسر في العظمة الخامسة من مشط القدم اليسرى. خضع ليو لعملية جراحية، تخللها وضع مسمار لتثبيت العظم، وزراعة جلد للمساعدة على تسريع الشفاء.

كان قد أدى جيداً في المباريات التي سبقت هذه المباراة، «لكنني (الكلام هنا له) لم أُسجّل بعد. يتعيّن عليّ إنجاز تلك المهمة». لقد تمكّن من تسجيل (هاتريك) هو الأول له على المستوى المتقدم (تمكّن قبلاً من تسجيل حتى أكثر من ثلاثة أهداف في المباراة الواحدة. ولكن، كان ذلك في أقلّ المباريات شأنًا)، وعلى الرغم من أنّه (الهاتريك) لا يجلب النصر للفريق، إلاّ أنّه يكفي - على الأقلّ - لحماية البارسا من موقف حرج؛ فكما يقول ليو: «لأنّ الخسارة من الريال مريرة دائماً». ليس ذلك فحسب؛ إذ يتيح له هدف سجّله عرض رسالة كتبها تحت قميصه، مفادها «شُدّ من عزيمتك يا عمّاه»، رسالة وجّهها لعرّابه الذي كان قد فقد والده آنذاك. إنّها طريقته في إظهار دعم لا متناهٍ في أوقات صعبة.

كان هناك إهداء آخر في تلك الليلة الساحرة، وقد جاء على صورة قُبَل طبعها على شعار النادي. فبعد الهدف الثالث، يركض ميسي مكرّراً الحركة نفسها؛ لأنّه، كما يقول: «أدين بالكثير للبارسا على ما فعلوه من أجلي عندما أُتيحت لهم الفرصة، وأدين أيضاً للمشجعين على الحبّ الذي غمروني به، خاصة في أثناء الأشهر الصعبة الماضية». لقد غيّرت هذه الأهداف الثلاثة مسار موسم حافل بالمفاجآت غير السارة.

سيلعب ليو باستمرار، بدءاً بالعاشر من شهر آذار، وسيحرص على عدم ضياع أيّ فرصة متاحة، ولن يكتفي بتسجيل الأهداف فحسب، بل سيصنع تحفًا فنية أيضًا.





الفصل السادس والعشرون

هدف مذهل

حوار مع جانلوكا زامبروتا



قضايا معًا موسميّن، تميّز كلّ منهما بالأداء الهزيل والكأبة للبارسا، وللمدافع الأزوري (الأزرق- الفريق الوطني الإيطالي) الذي انضم إلى هذا الفريق بعد فوزه ببطولة كأس العالم في ألمانيا برفقة المنتخب الإيطالي؛ إذ سنحت الفرصة للاعب نادي ميلان الحالي بالتعرّف إلى ميسي عن قرب وتقييمه؛ سواء في غرفة تبديل الملابس، أو على أرضية الملعب.

ما رأيك في ليو ميسي؟

«أعتقد أنّه من أفضل المواهب التي ظهرت في العشر أو العشرين سنة الماضية. لا شكّ في أنّه من أفضل لاعبي العالم حاليًا، خاصة أنّه ما زال في الرابعة والعشرين، ولديه الكثير من الوقت لتعزيز قدراته ومهاراته».

هل تذكر مباراة البارسا والريال التي أقيمت في العاشر من شهر آذار

عام 2007م؟

«لم أكن موجودًا على أرضية الملعب. ولكن، كان لأداء ميسي تأثير كبير فيّ، وأعتقد أنّ هذا التأثير قد طال الجميع. كان قد أتحننا بالكثير من المهارات





ميسي

والأساليب المثيرة في مباراة البرنابيو عام 2005م، لكنّه تفوّق على نفسه في ذلك الكلاسيكو تحديداً. وكان أكثر ما فوجئنا به، هو تمكُّن فتى في التاسعة عشرة من حمل عبء فريق كالبارسا على كاهله وحده (أمر نادر جداً)، وقدرته على إدراك التعادل مرّة بعد أُخرى. وقد فعل ذلك كلّهُ في مباراة اشتدّ فيها التنافس، وحفّلت بالقوة البدنية والشدّ العصبي، صحيح أنّ مباريات الكلاسيكو كلّها كذلك، لكنّ الواقع أنّ كلاسيكو عام 2007م كان أكثر صعوبة من غيره. ما الذي يمكنني قوله؟ يميّز هذا الفتى بقدرات استثنائية، والأهم من ذلك، نضح وإحساس بالمسؤولية قلّ نظيرهما لدى اللاعبين الشباب».

ماذا عن هدفه في مرمى خيتافي؟

«كنت شاهداً على ذلك، لقد كان مذهلاً. سألت نفسي حينها: كيف تمكّن من فعل ذلك؟ وهو السؤال نفسه الذي خطر على بال زملائنا في الفريق، وكذا المدرب، والجمهور الحاضر في كامب نو. لقد كان هدفاً خرافياً، لا يسجّله إلاّ نجم. إنّه أجمل هدف شاهدته في حياتي. وهو يشبه الهدف الذي سجّله مارادونا عام 1986م. ولكن، من رؤيتي له على أرض الواقع، فإنّني أعدّ هدف ميسي أفضل».

ما السرّ في شخصية ميسي وتميُّزها، بوصفك زميلاً له في الفريق؟

«لا فرق بالنسبة إليه بين كامب نو والملعب الموجود في بلده. إنهما متشابهان. لكنّه لا يشعر بالضغط، أو هذا ما يبدو عليه على الأقلّ. المهم بالنسبة إليه هو وجود كرة. إنّه مثل جميع اللاعبين العظماء والاستثنائيين الذين قابلتهم؛ إذ عندما يلحون الكرة، يعودون أطفالاً من جديد، ويشعرون بالحماس بفضل دميّتهم المفضّلة. وهم يرفضون التخلي عنها، ولا يتوقفون عن اللعب أبداً. حاول أن تأخذ الكرة من ميسي مثلاً. لن تتمكّن من ذلك».





لماذا؟

«لأنّ لديه قدرة خارقة على التحكّم في الكرة؛ حتى يخيل للرائي أنّها ملتصقة بقدمه دائماً، إنّهُ سريع جداً، يتحرّك جيّداً في المساحات الضيقة بالكرة أو من دونها، تماماً مثل مارادونا. ثمّ تجده يدور بالكرة من حولك كأنّه يسخر منك. لا تعرف إلى أين سيتجه؛ يمّنة، أو يسرة، أو أنّه سيمرّر الكرة من بين قدميك. لقد سبق للفرق المقابلة تخصيص ثلاثة لاعبين لمراقبته، لكنّه كان - مع ذلك - يتمكّن من إحداث فرق في المباراة. إنّهُ من صنف اللاعبين القادرين على حسم المباراة إن كان في مستواه. لقد أثبت ذلك مرات عدّة. ولكن، لأكون صادقاً، فلم أكن أتوقّع منه مثل هذا الثبات، والأداء المتميّز في المباراة تلو الأخرى. لقد كنّا محظوظين لمشاركته إيّانا اللعّب في الفريق نفسه».

هل يفضّل اللعّب بصورة فردية؟

«إنّ التقدّم بالكرة إلى الأمام والمراوغة، هما أبرز ما يميّز طريقة لعبه. فهو دائماً يودّ الحصول على الكرة؛ لأنّ تلك هي طريقته في اكتساب المتعة، وإمتاع الآخرين. يمكن تشبيهه هذا الأمر بمشاركة أصدقائك في اللعّب. وفي حال كنت لاعباً ماهراً، فإنّك سترغب دائماً في الحصول على الكرة؛ لكي تكون الأفضل، وتدهش الجميع. لا، إنّهُ ليس فردياً. لقد كبر، ويعرف الآن معنى اللعّب لمصلحة الفريق».

كيف تبدو سلوكاته وتصرفاته في أثناء التدريب، وفي غرفة تغيير

الملابس؟

«إنّهُ فتى متواضع، وعلى استعداد لبذل أقصى جهده في أداء المهام المنوطة به، وهو دائم الشعور بأنّه لم يصل بعدُ إلى ما يرضي طموحه. إنّهُ يتحلّى بروح المرح والدعابة، فنراه يطلق النكات، ويمازح مَنْ حوله. إنّهُ من





هيسي

اللاعبين الذين يُضفون أجواء مريحة على غرفة تغيير الملابس، إنَّه صديق بحقّ. صحيح أنّنا لسنا متقاربين، فالفارق بيننا عشر سنوات، لكننا كثيراً ما نتجاذب أطراف الحديث. مجمل القول: إنَّه فتى ناضج، يعرف ما يريد من الحياة، وذو شخصية فذة».





الفصل السابع والعشرون

ميسي ومارادونا

الثامن عشر من نيسان عام 2007م



«برشلونة يستعيد سيطرته على أرض الملعب.

تشافي...

ميسي يراوغ بارديس.

إنه يستحوذ على الكرة، لقد تجاوز ناتشو أيضاً.

يدخل منطقة الجزاء... يراوغ مرة أخرى.

يبدو أن تسديده لن تصيب المرمى...

ميسي يسجل.

يا له من هدف!

لقد تجاوز أربعة من لاعبي خيتافي، فضلاً عن الحارس.

يا لها من تسديدة بالقدم اليمنى لم نعتد على مثلها من ميسي!

انظروا إلى هذا الهدف.





هيسي

نلعب في الدقيقة الثامنة والعشرين، لقد تجاوزنا منتصف الشوط الأول.
قد يكون هذا هدف الموسم من دون شك...

رائع. الجميع مبتسم، والمشاعر تختلج لرؤية التحكّم، والسرعة، والقدرة،
والمراوغة، والتسجيل. لقد أثار مشاعري حقاً...

لا أريد أن أجتrec المقارنات، لكنّه يذكرني بالهدف الذي سجّله دييغو
أرماندو مارادونا في مرمى إنجلترا في بطولة كأس العالم عام 1986م. إنهما
هدفان مختلفان. وهما أيضاً لاعبان مختلفان. لا أقصد القول: إنّ ميسي هو
مارادونا، لكنّه ذكرني بذلك الهدف».

كان ذلك تعليق مذيع قناة ديجيتال + على مباراة برشلونة وخيتافي، التي
جرت في الثامن عشر من شهر نيسان عام 2007م.

وفيما يأتي تعليق فيكتور هوغو موراليس من إذاعة راديو أرجنتيننا على
مباراة الأرجنتين وإنجلترا التي جرت في الثاني والعشرين من شهر حزيران
عام 1986م، على ملعب أزيكا في مكسيكو سيتي.

«لقد جاء دور دييغو.

الكرة مع مارادونا.

هناك لاعبان يراقبانه، لكنّه ما زال يحتفظ بالكرة، يتجه عبقرى كرة
القدم العالمية إلى اليمين، يتخلّص من الثالث، لم يبقَ أمامه إلا بورشاغا
(زميل مارادونا في الفريق، لكنّ المذيع يتهمّ على الدفاع الإنجليزي).

مارادونا يفعل كلّ شيء.

عبقرى! عبقرى! عبقرى! هيّا، هيّا، هيّا.





ووووووو

هدفففف! هدففففف!

رائع!

يعيش!

يا له من هدف!

دييغو! مارادونا!

معدرة، لقد غلبتني المشاعر...

لقد سجّل مارادونا هدفاً لن ينسى، إنه أفضل هدف على الإطلاق... يا أيتها «الطائرة الورقية الفضائية»... من أيّ كوكب جئت؟ لقد صنعتِ العجائب باللاعبينَ الإنجليزي وتركتهم طريحي الملعب، وجعلتِ البلد تصدح بصوت واحد بحبّ الأرجنتين...

الأرجنتين 2، إنجلترا 0.

دييغو! دييغو! دييغو أرماندو مارادونا...

أحمدك ربي على كرة القدم، وعلى هبة السماء؛ مارادونا، وعلى هذه الدموع...

على هذه النتيجة؛ الأرجنتين 2، إنجلترا 0.

قميصان مختلفان، ومباراتان مختلفتان؛ إحداهما في نصف نهائي كأس إسبانيا، والأخرى في ربع نهائي كأس العالم ضد خصم قوي كالمنتخب الإنجليزي، في أول مواجهة بين المنتخبين منذ حرب فوكلاند التي دارت رحاها عام 1982م.





ميسي

تلقي القضايا التي لا تتعلق بكرة القدم ظلالتها على هذه المباراة بصورة ملموسة، وقد تترك أثراً سلبياً في قلوب المشجعين على أقل تقدير، على الرغم من أنّ الجميع يُنكر ذلك.

البطلان مختلفان أيضاً؛ فالطائرة الورقية الفضائية؛ مارادونا ذو الخمسة والعشرين ربيعاً، هو معشوق الجماهير في الأرجنتين، وأحد ألمع نجوم الكرة على مستوى العالم. لم يكن ميسي قد وُلِدَ بعدُ حين سجّل الفتى الذهبي ذلك الهدف. إنّه لا يزال في التاسعة عشرة الآن، ولم يمضِ سوى عامين تقريباً على مشاركته الفريق الأول للبارسا، والمنتخب الأرجنتيني.

حماسة معلقّي الإذاعات لا تضاهي؛ دموع، ومشاعر أسطورية، وبلاغة أمريكية جنوبية، مقابل التحفُّظ الذي يمتاز به المعلق الإسباني، في هذه المناسبة على الأقلّ، ومع ذلك، فالهدفان متشابهان، جدّاً، وكأنّ أحدهما صورة طبق الأصل عن الأخرى. إذن، فالانطباع الأول صحيح.

وفي اليوم اللاحق، شهد العالم أنّ التاريخ يعيد نفسه. لقد حيرَ الهدف كلّ مَنْ شاهده عبر مقاطع الفيديو (اليوتيوب). وقد عُرض آلاف المرات، وبجانب هدف مارادونا أيضاً. وفتِح الباب على مصراعيه لنقاش إلكتروني؛ بغية معرفة أيّ الهدفين أفضل. يدلي الجميع بأرائهم، بدءاً بالخبراء وانتهاءً بالمتحمّسين، في حين تعكف وسائل الإعلام على المقارنة بين لقطات خاصة بالهدفين من مختلف الجهات، وتُغديق المديح على أداء ليو.

تُسمَع العناوين والتعليقات والابتكارات اللغوية وتُقرأ، على اختلاف أشكالها وحجومها، بدءاً بـ «ميسيدونا»، وانتهاءً بـ «قدم الرب»، أو حتى «ميسي يفاجئ العالم». لا مجال أمام أحد للإنكار؛ فالأدلة واضحة، حتى بالنسبة إلى الصحف الرياضية المتعاطفة مع ريال مدريد، التي تتحفُّظ عادة على تخصيص صدر





صفحاتها لنجاح يحققه الغريم التقليدي برشلونة. لكنها هذه المرّة لا تتردّد
حيال هذا الأمر.

تطالعنا صحيفة ماركا على صفحتها الأولى بالعنوان الرئيس الآتي:
«ميسي يكرّر هدف مارادونا بعد عشرين عامًا، وعشرة أشهر، وستة وعشرين
يومًا». في حين نجد في الصفحات الداخلية اقتباسًا من تعليق فيكتور هوغو
موراليس: «من أيّ كوكب جئت؟» ولم يغب عن بال أحد أنّ تلك اللحظة يندر أن
تتكرّر في عالم كرة القدم.

لنأخذ على سبيل المثال الجمهور الذي كان حاضرًا حينها في كامب نو،
وبلغ تعداده (53,599) مشجعًا، كلهم واقفون، في يد كلّ منهم شيء يمكن
التلويح به؛ سواء صفحة من جريدة، أو جدول المباراة، أو مندبل، أو وشاح،
الجميع يلوّح بلا استثناء. أمّا مَنْ لم يتمكّن من إيجاد شيء لونه مناسب ()
لا علاقة باللون الذي يرتديه اللاعب بالأمر (الأبيض في هذه الحالة)،
فيشارك في التقليد المتعارف بالتصفيق حتى تؤلمه يداه. إنّهُ تكريم على أعلى
المستويات.

مثال آخر يتمثّل في اللاعبين المنتشرين على أرضية الملعب؛ إيتو، وديكو،
وغوديونسن. فجميعهم يضعون أيديهم على وجوههم، وكأنّ تعبيرات المفاجأة
التي بدت على مَحَيّا كلّ منهم تقول: «يا إلهي، ما الذي فعله توّ!»؛ ولا ينتهي
الأمر عند هذا الحدّ؛ إذ يغدق الزملاء والخصوم - على حدّ سواء - المديح في
أثناء المقابلات التي تعقب المباراة:

• ديكو: «كان أجمل هدف شاهدته في حياتي».

• خوركيرا: «لقد غطى علينا جميعًا».





هيسي

- باريديس: «أتمنى ألا أشاهد نفسي على التلفاز بعد ثلاثين عامًا بسببه».
- غويثا: «لا توجد كلمات تضي ذلك الهدف حقّه. لقد غشيتني الرهبة على الرغم من وجودي على مقاعد البدلاء».

لا يوافق بيرند شوستر، مدربّ خيتافي في ذلك الوقت، على الأمر، لكنّ الجميع يعرف طريقة تفكير ذلك الألماني؛ إذ قال: «كان على لاعبيّ إيقافه بالقوة، ولو تطلب الأمر ارتكاب مخالفة، أو تلقّي بطاقة صفراء. لا غصاصة في ذلك».

بدأ النقاش، وسرعان ما وصلت أصداؤه في يوم واحد إلى مختلف أرجاء العالم. وعلى الرغم من أنّ كرة القدم تحمل في ثناياها كثيرًا من اللمسات الجمالية والإبداعية، لكنّ هناك مَنْ يُصِرُّ على تحليلها بالأرقام والإحصاءات.

فلنلقِ نظرة على الأرقام إذن:

- استغرق هدف ليو (12) ثانية، في حين استغرق هدف مارادونا (8, 10) ثوانٍ.
- قطع ليو مسافة (60) مترًا مقابل (62) مترًا لمارادونا.
- لمس ليو الكرة (13) مرّة مقابل (12) لمارادونا.
- راوغ ليو خمسة من اللاعبين، في حين نجح مارادونا في التخلّص من ستة لاعبيّن.

دُمجت صور الحديّين معًا للمقارنة بينهما مباشرة. ثمّ أخذ الناس يبحثون عن أوجه تشابه بينهما كما لو كان الأمر لعبة أطفال. وفي السياق نفسه، قامت صحيفة لانسداون الصادرة في بوينوس آيرس بالأمر على أكمل وجه، مُظهرة عشر نقاط تشابه بين اللعبيّين من البداية حتى لحظة الاحتفال (كلا اللاعبين يتجه في احتفاليته صوب الراية الركنية الموجودة على يمين الملعب).



من جانبها، أطلقت المواقع الإلكترونية ومحطات التلفزة والصحف كثيرًا من الاستبانات والاستفتاءات. الأسئلة هي عينها تقريبًا: أيّ الهدفين أكثر روعة: هدف البرغوث أم هدف ديفغو؟ أيهما تفضّل؟ في رأيك، أيهما الأفضل؟

جذب الاستفتاء الذي قامت به صحيفة ماركا (55,000) مشارِك. فضّل ما نسبته (62, 60%) منهم هدف ميسي، في حين كانت النسبة المتبقية (38, 39%) من نصيب هدف مارادونا. النتيجة هي ذاتها في الاستفتاء الذي أجرته إذاعة كادينا سبورت، لكنّ الفارق هنا أقلّ: إذ تفوّق ميسي بما نسبته (52%) من الأصوات مقابل (48%) لمارادونا. في حين أظهر الاستفتاء الذي أجرته صحيفة مونديو ديپورتيفو تفوّقًا واضحًا لمصلحة مهاجم البارسا (أكثر من 75%). وفي المقابل، منح (3, 74) من المصوتين على الاستفتاء، الذي أجرته صحيفة أولي الأرجنتينية عن طريق موقعها الإلكتروني، أصواتهم لمارادونا. لقد كان هذا أمرًا متوقّعًا؛ لأنّ ذلك الهدف ما زال محفوظًا في ذاكرة الأمة جمعاء. إذ لا يوجد بيت في الأرجنتين لم يشاهد ذلك الهدف بواسطة أجهزة الفيديو، أو الأقراص المضغوطة (دي في دي)، ولو مرّة واحدة على الأقلّ. حتى إنّ لديهم في الأرجنتين دفاتر قلّابة (تقلّب فيها الصفحات بسرعة لعرض صور متحركة)؛ لتصوير هدف القرن كما يُسمّونه. إنّهُ أشبه بفيلم بين اليدين؛ إذ تقلّب الصفحات، ويصبح الأمر كأنّك تشاهد فيلمًا متحرّكًا (تشتمل الأيقونات الأرجنتينية أيضًا على هدف «يد الرب»، والحيل التي كان يؤدّيها مارادونا بالكرة في مسقط رأسه بفيلا فيوريتو (كان لا يزال صغيرًا)، وهدف ماكسي رودريغيز في المكسيك. أمّا بالنسبة إلى ليو ميسي ولحظات المجد خاصته فلم تصبح بعدُ جزءًا من تلك المجموعة المختارة).

من الضروري التنويه بأنّ مارادونا - بالنسبة إلى الأرجنتينيين - ليس مجرد لاعب كرة قدم، بل هو بطل شعبي، وأسطورة حيّة، ومذهب، فضلًا عن





ميسي

كونه رمزاً تاريخياً وطنياً، شأنه شأن خوزيه سان مارتن (الجنرال الذي حارب في أثناء وجوده بإسبانيا؛ كي تحصل الأرجنتين على الاستقلال)، وكارلوس غارديل (مغني التانغو الشهير)، وإيفيتا، وخورخي لويس بورغيس (الكاتب المعروف)، أو أرنستو غيفارا الملقب بثييه.

من الطبيعي أن يشعر الأرجنتينيون بتحفظ حيال استبداله، كما لو كان مجرد ملصق للاعب.

تُظهر هذه الاستفتاءات - بلا شك - مدى الشغف الذي تشعر به الجماهير على طرفي المحيط. ثم يظهر سؤال آخر في خضم النقاش عن أفضل الهدفين، يتعلّق ببنية ميسي، أو بكلمات أخرى استخدمتها صحيفة لانسيتون: «هل كان ميسي يحاول تقليد مارادونا؟ هل ذلك ما كان، أم أنّها مجرد مصادفة غير معقولة؟».

رجل الساعة نفسه هو مَنْ سيبدّد الشكوك كلّها، فيصرّح ميسي قائلاً: «ربّما كانت مشابهة، كنت قد شاهدتها (اللقطّة الخاصة بهدف مارادونا) بالتلفاز مرّة واحدة فقط، لكنني لم أتخيّل أن تكون مشابهة لهذا الحدّ. لقد أخبروني بذلك فيما بعد، لكنني لم أكن أفكر في أيّ شيء لحظتها، كلّ ما خطر على بالي هو السعادة التي أحدثها تسجيل هدف».

يوجد هناك المزيد؛ فعندما سُئل ليو عن شعوره حيال الإنجاز الذي قام به، وصف ذلك الأمر على النحو الآتي: «رأيت ثغرة، وأردت استغلالها، كالعادة، أردت التقدّم إلى الأمام والتسجيل. اقترب منّي اثنان من المدافعين، وسدّا عليّ المنافذ. لذا، أردت أن ألعب الكرة بطريقة (واحد-اثنين) مع أحد زملائي. ولكن، عندما لمحت الثغرة عبرت. من حسن حظي أنّني نجحت».

يذكّرنا هذا الشرح البسيط، والإشارة إلى مجريات الأحداث كأنّها شيء عادي (وهي كذلك، فالتسجيل هو ما يهدف إليه اللاعب)، بما حدث مع



مارادونا عام 1986م، أو على الأقلّ باللحظات التي وصفها خورخي فالدانو، حين قال: «يصر دييغو على أنه حاول إمرار الكرة لي مرارًا، لكنّه كان في كلّ مرّة يواجه عقبات تحول دون ذلك»، على الرغم من اقتناعه - في الواقع - بأنّ دييغو «لم يكن بنيّته إفلات الكرة».

منح فالدانو فرصة لمارادونا كي يمرّر الكرة. وفي حالة ميسي، كان هناك إيتو. إنّ أوجه التشابه بين الهدفين لا تنتهي، بما في ذلك مسألة العرقلة التي اقترحها شوستر، وأيّده فيها أحد المدافعين في فريق خيتافي.

لنستمع إلى رأي أنريكه (هيكتر) الملقّب بإل نيغرو، وهو أحد اللاعبين الذين حضروا المباراة الشهيرة التي جرت على ملعب إزتيكا: «يقولون: إنّ اللاعبين الإنجليز لم يحاولوا إعاقة مارادونا. لكنّ الحقيقة أنّهم لم يتمكّنوا من ذلك...! فبمجرّد وصولهم إلى أيّ مكان، كان - بكلّ سهولة - ينجح في تخطيهم». ينطبق ذلك أيضًا على حالة ميسي. فلنتابع معًا سير أحداث القصة.

في أثناء بطولة كأس العالم في المكسيك، ادّعى هيكتر أنريكه (مازحًا) أنّ تمريرته إلى مارادونا هي التي صنعت الفارق، وساعدته (مارادونا) على التسجيل. يفعل تشافي الشيء نفسه هنا. ويعلّق ميسي على ذلك بقوله: «لقد قال لي: إنّ الجميع يتحدثون عن الهدف العظيم الذي سجّلته، من دون الإشارة إلى زميلي، مع أنّه هو من مرّر لي الكرة». لا يوجد هناك وجه مقارنة بين ما حدث بعد المباراة في كلّ حالة؛ فالمناسبتان كانتا مختلفتين تمامًا إلى جانب أسباب أخرى. ربّما لا يوجد أيّ تشابه بين ما قاله هذان البطلان. قال ليو بعد المباراة: «لم يكن شيئًا ذا أهمية»، ثمّ توجّه بعدئذٍ - بكلّ هدوء - لتناول طعام العشاء برفقة والده وصديقه بابلو زاباليتا. ولكن، لسوء حظه، يدفعه الاهتمام الإعلامي إلى الانتقال إلى مطعم آخر؛ فهناك الكثير من الناس في انتظاره عند مطعمه المعتاد. قال ميسي في مؤتمر صحفي مكثّف عُقد في اليوم اللاحق





هيسي

في كامب نو، بشعره المبلل نتيجة الاستحمام: إنه نام بهدوء، وإنه لم يتوقف عند الموضوع للتفكير في الهدف، وما يحمل من معانٍ.

لقد كان حذرًا وقادرًا على التعامل بحنكة مع إلحاح الصحفيين، مضيفًا أنّ الهدف لم يغيّر من الأمر شيئًا: «لا أشعر بأيّ ضغوط، سأستمر في اللعب وقضاء وقت ممتع كما كنت أفعل دائمًا». ولكن، هناك شيء لم يغب عن باله؛ إنه الإهداء الذي صرّح به حينها، ويكرّره الآن: «أهدي هذا الهدف إلى ديبغو، متمنيًا له الشفاء العاجل والخروج من هناك بأسرع وقت ممكن؛ لأنّ ذلك ما يريده الأرجنتينيون كافة، فضلًا عن عشاق كرة القدم في كلّ مكان».

ديبغو أرماندو مارادونا في المستشفى. لقد أُدخل هناك على وجه السرعة في ليلة الأول من نيسان؛ إذ تسبّب تعاطيه الكحول في انتكاس نتج منه التهاب حادّ في الكبد. كان على وشك الموت كما صرّح طبيبه الخاص ألفريدو كاهيه. وقد وصلت الأمور إلى حدّ إعلان وفاته في الأرجنتين. ولحسن الطالع أنها كانت مجرد إشاعات، حيث أُخرج في بداية أيار من عيادة آفرل للأمراض العصبية النفسية التي كان قد دخلها طواعية، في محاولة للتخلّص من إدمانه الكحول.

كان أول ما فعله بعد ذلك، هو الظهور في البرنامج التلفزيوني (show match) لسرد جانب من قصته، والنيل من كلّ مَنْ حاول دقنه قبل الأوان. ولم ينسَ في أثناء هذه المقابلة التي أجراها مع صديقه مارسيلو تينيللي، أن يُعرِّج على هدف ميسي. لنسمع ما قاله: «لقد بالغ كلّ مَنْ قام بتلك المقارنة، بالغ بصورة كبيرة. بدايةً، هدفي أجمل من هدف ميسي، خاصة أنني سجّلته في ظلّ وجود أحد عشر لاعبًا دوليًا من المنتخب الإنجليزي، الذي يُعدّ أحد أقوى المنتخبات عالميًا، وفي أثناء بطولة كأس العالم. أمّا ليو فقد سجّل هدفه في خيتافي، ضمن بطولة كأس الملك بإسبانيا. لا يوجد وجه شبه مطلقًا». يستعيد





مارادونا سمعة هدفه، وبتهم من انشغل بعمل المقارنات بالمبالغة. ثم يصبح أكثر حدة في مقابلة أجرتها معه - بعد ذلك بأشهر - صحيفة إل غرافيكو الأسبوعية التي تصدر في بوينوس آيريس، والتي سألته: ما الشعور الذي راودك حين رأيت هدف ميسي في مرمى خيتافي أول مرة؟ يجيب بانزعاج: «إنه لا يشبه هدفي على الإطلاق». لكن الصحيفة تصر على موقفها المعارض: «نعم، كانت الظروف مختلفة، ولكن الحركات متشابهة يا دييغو...». «لا، لا، دعوا عنكم هذا الأمر، إنهما مختلفان تمامًا. لقد سجّلت الملايين من تلك الأهداف في أثناء التدريب، لكنّها لم تصوّر. إذا كنّا سنتحدث بجدية عن الأمر، فسترغمونني على قول أشياء لا أريد البوح بها...». لا ينتهي النقاش عند ذلك الحد مع الأسف.

ففي التاسع من شهر حزيران، خاض فريق برشلونة مباراة أمام فريق إسبانيول. وفيما يأتي التعليق الذي رافق المباراة على إحدى القنوات الأرجنتينية، بعد انقضاء الدقيقة الثانية والأربعين من الشوط الأول:

«لقد حان دور ميسي.

ميسي يواجه الخصم.

ميسي ينقل الكرة إلى إيتو داخل منطقة الجزاء.

إيتو ظهره للمرمى، وهو محاط بأربعة مدافعين.

إيتو يتجه بالكرة إلى الخط الجانبي.

زامبروتا...

ميسي لا يستطيع اللحاق بها...

بيده، بيده، مثل دييغو.





سأصرخ بأعلى الصوت على أيّ حال:

هدفففففففففففففف!

إنّه ديفغو! أعتقد أنّكم توافقونني الرأي. إنّهُ ديفغو بالنسبة إليّ. إنّهُ الشخص عينه.... لقد تَمَمَّص روحه. نعم، أنا لا أومن بذلك. ولكن... لقد تَمَمَّص روحه. لا يمكن أن يكون الأمر مصادفة كلّ مرّة. قولوا لي: كيف لحادثتين أن تتكرّرا بمثل هذا الشكل، بمثل هذا الشكل المتطابق، ومن شخصين مختلفين... ميسي، أو بالأحرى مارادونا بملابس ميسي، ينزل إلى الملعب، وهو يرتدي قميص برشلونة، ثمّ يعدّل النتيجة بيده اليسرى».

لأولئك الذين ما زالوا في شكّ من أمرهم، ها هو ذا تعليق مايكل روبنسون من قناة ديجيتال +: «لقد سجّل هدفين على الطريقة المارادونية في موسم واحد. هدفان سُجِّلا في مرمى منتخب إنجلترا، وهنا في مرمى فريق خيتافي وإسبانيول. لقد كرّر كليهما».

يد الرب تضرب من جديد، بكلّ ما في الأمر من أوجه شبه ونقاشات. في الثاني والعشرين من شهر حزيران عام 1986م، توقّع مارادونا خروج بيتر شيلتون، الذي يفوق طوله طول مارادونا بخمسة عشر سنتيمتراً، عن مرماه. كما تغلّب ميسي على حارس المرمى كارلوس كاميني بالقفز، مع أنّ هذا الأخير أطول منه بتسعة عشر سنتيمتراً. وعلى الرغم من احتجاج اللاعبين الإنجليز، فقد أقرّ الحكم التونسي علي بن ناصر بصحة الهدف عند إشارة الحكم المساعد إلى منتصف الملعب. وعلى الرغم من التقنيات المتوافرة عام 2007م، فقد أحبط الحكم رودريغز سانتياغو لاعبي إسبانيول باحتساب الهدف. يتردّد مارادونا في الإقرار بما يعرفه الجميع: «إنّ يد الرب لم تكن سوى يد ديفغو! وهي اليد نفسها التي سرقت من الإنجليز».





وفي المقابل، لا يأسف ميسي بعد المباراة على شيء باستثناء أنّ الهدف - كما يقول- «لم يجلب لنا الكثير؛ نقطة التعادل فقط». وليس البطولة. وقد احتفل «بطريقة عادية لا تخلو من الفرح عند تحقيق التعادل». من المؤكّد أن لا سبب للشعور بالخجل لفعل شيء ماكر مثل ذلك.

دييغو وليونيل، ميسي ومارادونا، الأستاذ والتلميذ. وفي هذا السياق، ألفّ أرييل زارتي الملقّب بالنمر، وهو فتّان يبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا من إنترني ريوس، وعضو من فرقة تضم أربعة موسيقيين أرجنتينيين؛ أغنية سمّاها (El Pie de Oro llego)، وتعني «وصلت القدم الذهبية». أمّا كلماتها فمستوحاة من لقب مارادونا (El Pipe de Oro)؛ أي الفتى الذهبي.

تقول كلمات هذه الأغنية:

في الرابع والعشرين من حزيران عام 87

بعد عام من فوز الأرجنتين بالبطولة

وُلِدَ نجم، حلم جديد

وُلِدَت القدم الذهبية في روزاريو

لاعب عظيم وصغير، يراوغ على نحوٍ ساحر

لعب في صفوف أشبال نيولز أولد بويز، عندما كان في السابعة من العمر

تخلّوا عنه هنا حين عانى المشكلات

وكان عليه أن يهاجر، ويذهب إلى إسبانيا

جعل من برشلونة بيته الثاني





ونجح بفضل التضحيات والحبّ

شارك أول مرّة مع البارسا عام 2004

وحقّق حلمه مع منتخب دون سنّ العشرين

(وصلت القدم الذهبية)

(لازمة)

هيا يا ليونيل

العالم كلّه في انتظار أن يراك تجري من جديد

نريد رؤية السحر الذي تنثره قدماك

(إعادة)

لديه قلب كبير كالأسد

ينشر الأمل عندما يدخل الملعب

يريد المشجعون أن يهتفوا حين يسجّل

في مباراة يرتدي فيها الأزرق السماوي والأبيض

نهتف لك من كلّ زاوية

المنتخب الوطني يحدوه الأمل

نريد رؤيتك مع الأرجنتين متوجّجين بالبطولة!

(لازمة)

يشتعل الحماس عبر العالم

نريد رؤيتك مع الأرجنتين متوجّجين بالبطولة!



لدى ميسي الآن كاتب أغاني خاص به، كما كان حال: مارادونا، الذي كان له ال بورتو رودريغو. لقد تحدث الكثيرون، وكتبوا عن أوجه الشبه بين الاثنين، فضلاً عن الأغاني طبعاً، حتى قبل الهدف الذي سجّل في شهر نيسان من عام 2007م. لطالما كان ميسي يقارن بمارادونا بصورة أو بأخرى. كان مدرّبوه في نيولز هم أول من عمد إلى تلك المقارنة، بدءاً بأنريكة دومينغيز، مروراً بأرنستو فيكيو، وانتهاءً - طبعاً - بأدريان كوريا. يصر فيكيو على المقارنة قائلاً: «لقد شاهدته يؤدي حركات مذهلة بالكرة لم يتمكّن مارادونا من أدائها حينما كان في ذلك العمر». يشير غويرمو أويوس، مدرّب ليو في فريق الشباب (ب)، إلى هذا الجانب نفسه، قائلاً: «ميسي هو الأكثر شبهاً بمارادونا من بين كلّ اللاعبين الذين رأيتهم في حياتي، خاصة من حيث الدافعية والتصميم. لقد قلب ليو وحده نتائج عشرات المباريات! إنّه مثل ديبغو؛ يتعرّض للهجوم مرّة تلو الأخرى، لكنّه يواصل، كأنّه ينبعث من الأرض. الطريقة الوحيدة لإيقافه هي قتله. لا يجد صعوبة في تدبّر أمره. يتحكّم في الكرة بباطن قدمه، وكلّ ما عليه التكلّف به عندئذٍ، هو السرعة. لديه حقاً إحساس جيد بالكرة، وهو أمر يفعله على نحوٍ مختلف عن أيّ لاعب آخر».

ومنذ ذلك الحين، أخذ الكثيرون يتحدثون عن هذا الأمر، عند تطرّفهم إلى كلّ مرحلة من مراحل حياة لاعب البارسا رقم (19) المهنية. فعلى سبيل المثال، يقول اللاعب السابق صاحب الرقم (10) في نادي ريفر بلايت؛ نوربيرتو أونسو: «لديه صفات تذكّرني بمارادونا، مثل: طريقته في الانطلاق إلى الأمام كالقذيفة، وسرعته في اللعب أيضاً. ويملك ديبغو تلك النظرة التي من شأنها تغيير شكل المباراة، أمّا ميسي فلا».

لا يساور مدرّب نادي آرسنال آرسين فنغر أيّ شكّ في «أنّ ميسي مثل مارادونا. ولكن، مع محرّك نقّات مُنّبّت إلى قدميه». ولا يساور الشكّ لاعبين



ميسي

حاليين وسابقين؛ إذ يقول إيتو: «ميسي هو دييغو مارادونا المستقبل». في حين يقول ديكو: «إنه يذكّرني بمارادونا كثيرًا. أحيانًا أسمع الناس يقولون: إنّ عليه الحذر من تأثير الشهرة؛ لكي يتجنّب ما حصل لمارادونا. لكنّ الحال مختلف مع ليو؛ فهو يعيش في بيئة صحية، يتمتع فيها بالحب والحماية». يقول فرانتز بكنباور من جانبه: «عندما نشاهده يجري بالكرة فإنّه يمنحنا سببًا منطقيًا للتفكير في مارادونا حينما كان في أفضل حالاته». بعضهم لا ينكر أوجه التشابه، لكنهم يرسلون بكلمات التحذير إلى ميسي. ومن هؤلاء هكتور أنريكة الملقب ال نيفرو، الفائز ببطولة كأس العالم عام 86 رفقة المنتخب الأرجنتيني؛ إذ يقول: «بين ميسي ومارادونا، هناك أمران مشتركان، هما: أسلوب الجري، والسرعة. فقد امتلك دييغو طريقة خاصة بالجري تمثّلت في خطوات صغيرة كفيلة بسحق المنافس، وكذا الحال بالنسبة إلى ليو الذي كان يصعب أخذ الكرة منه. لكنّ الأهم من ذلك، هو أنّه لا يُسدّد كيفما اتفق، بل ينظر إلى القائم البعيد ويراوغ من اليمين إلى اليسار مثل دييغو. لا تكمن المشكلة في مقارنته بمارادونا، بل في اعتقاده الجازم أنّه مارادونا أصلًا». ذلك شيء يلقّ غابرييل باتيستوتا أيضًا؛ إذ يقول المهاجم السابق لنادي فيورنتينا، والهدف التاريخي للمنتخب الأرجنتيني: «يتعيّن على ليو عدم تقليد مارادونا، ينبغي له الاستقلال بشخصيته، وبذل قصارى جهده. وفي حال لم يفعل ذلك، فإنّه سيكون مارادونا الثاني، حتى إن نجح في الوصول إلى مستوى هذا الأخير».

الأصوات المعارضة قليلة، أحدها يصدر من بيليه، على الرغم من أنّ الوضع هنا طبيعي بالنظر إلى العلاقة المتوترة التي تربطه بمارادونا. (الملك) مقتنع أنّ «ميسي مختلف. كان مارادونا ينطلق من الخلف. في حين كان ميسي أسرع منه بقليل. لكنّ دييغو كان متكاملًا بصورة أكبر».



مصدر أحد الأصوات المعارضة الأخرى، هو سيزار لويس مينوتي الملقَّب بال فلاكو، الذي انتقى التشكيلة المشاركة في بطولة كأس العالم عام 1978م؛ إذ يقول: «إنَّه ليس مارادونا الجديد. كلِّما ظهر صبي يحسم نتائج المباريات، ويتمتع بمهارات وقدرات فنية جيدة؛ سواء في الأرجنتين، أو في أيِّ مكان من العالم، قام العالم أجمع بتنصيبه مارادونا الجديد. ميسي لاعب ماهر جدًّا، أشول، قوي، أرجنتيني يلعب لبرشلونة. لكنَّه ليس مارادونا، إنَّه ميسي». أمَّا الكاتب والصحفي وعالم النفس والتر فارغاس فيتناول الموضوع بحسم، ويصر في كتابه (football delivery) على أنَّ «ميسي لم يكن مارادونا، ولن يكون كذلك في يوم من الأيام. ليو- في رأيي- لن يصل إلى تلك المرتبة أبدًا، وأعتقد أنَّ مجرد الاقتراب منها هو أمر صعب حقًّا».

هناك الكثير من الآراء المتباينة. ولكن، هناك المزيد؛ فاللجنة الأولمبية الأرجنتينية تُعدُّ دراسة يشرف عليها ميغيل توديري، وهي تتضمَّن مقارنة بين اللاعبين بأسلوب علمي. أمَّا النتيجة فأمر بدهية. فقد أظهرت الدراسة أنَّ ميسي ومارادونا يتمتعان بصفات جسدية متشابهة، من حيث: وجود مركز جاذبية الجسم في جزئه السفلي، والكتلة العضلية، والطول، والوزن، وتطور الأداء، فضلًا عن أنَّ كليهما أشول بالطبع.

من الأفضل النأي بالعلم جانبًا في مثل هذه الحالات، والتجوُّل في بوينوس آيرس قرب ملعب البوكا لا بونبونيرا، للتحدث إلى المشجعين؛ كبارًا وصغارًا. علمًا بأنَّ رودريغو، الذي يرتدي قميص البوكا الأزرق والأصفر، لا يودُّ الاستماع أو التحدث في المسألة. لقد سبق له رؤية مارادونا يلعب. لذا، فإنَّه يرفض سماع أيِّ مقارنة. وفي المقابل، أخذ يعدُّ نقاط الضعف لدى ميسي، بدءًا بعدم إتقان الضربات الحرَّة، وانتهاءً بطريقة تعامله مع المباراة، ومجدُّ نقاط القوة لدى مارادونا، سائلًا محاوره عمَّا إذا كان قد شاهد الأهداف الأولى التي سجَّلها صاحب الرقم (10)،





ميسي

في أثناء لعبه مع نادي أرجنتينوس جونيورز. لننتقل إلى لويس الذي تعرف من النظرة الأولى أنه من مشجعي بوكا؛ بتعليقه صورة لمارادونا في متجره، مكتوباً عليها: «أبناؤك وأحضانك سيسألون عنه». ولكن، في أثناء تجولنا في الشوارع، يفاجتنا بعض الأطفال بلعب الكرة. يرتدي اثنان منهما قميص البارسا الذي كُتب عليه اسم ميسي. يقول جوليان البالغ من العمر عشر سنوات، والأكثر شجاعة في الحديث: «أنا من مشجعي بوكا، لكنني أحب ميسي، أحب طريقة لعبه».

قد يكون للإعجاب والمفاضلة هنا علاقة بالعمر. يشرح هوريشيو ديل برادو، المعلق في راديو ناشيونال بالأرجنتين هذا الأمر، قائلاً: «كتب راؤول غونزاليس تونيون في واحدة من أجمل قصائده (الشاعر الذي وافته المنية فجراً): «بعض الناس، من الأكبر سنًا، حرموه عند البداية. آخرون، أصغر سنًا، حرموه فيما بعد». ذلك ما يحدث في عالم كرة القدم جيلًا بعد جيل. وهذا هو حال ميسي الآن؛ إذ ينسى الكبار، الذين يصرون على أن ميسي لن يصل إلى مستوى مارادونا، ما يقوله الجميع عندما يبرز نجم لاعب جديد: «لن ينجح». قالوا: إن مارادونا ممتلئ الجسم، وصغير الحجم، وإنه لن يصبح بطلاً كاللاعبين العظماء. كان الحارس الكبير هوغو غاتي أحد أكثر من تكلموا عن سمعة مارادونا، لكن ديبغو عاقبه بتسجيل أربعة أهداف في مرماه».

لندع الآراء جانباً، ولنطلع على أسباب أخرى وراء ديمومة تلك المقارنة. الأمر بسيط؛ فمنذ أن اعتزل مارادونا عام 1997م والأرجنتينيون – وآخرون أيضاً – يبحثون عن خليفة له. الأمر عادي ويحصل كلما اعتزل لاعب عظيم. يحتاج الناس في البداية إلى بعض الوقت لتقبل فكرة رحيل أسطورة، ثم إلى وقت آخر لإيجاد من يذكرهم بالأسطورة، وينثر السحر المفقود. وأتى نجد من يجعلنا نتذكر تلك الأيام الخوالي؟ فالذكريات عنصر مهم في كرة القدم، فضلاً عن أنها عامل رئيس للترويج؛ فإذا أردنا أن نرفع من شأن (قيمة) أي لاعب



شاب فكلّ ما علينا فعله هو تسميته بـ «بيليه الجديد»، أو «مارادونا الجديد». فبذلك يعرف الجميع ما نقصده. وفي المقابل، فقد يساء فهم ذلك الوصف؛ نظرًا إلى عدم مناسبته للاعب المعنيّ، أو عجز المرشّح للخلافة عن الوصول إلى مستوى عالٍ من الأداء. وذلك ما كان عندما أُطلق لقب «مارادونا الجديد» على كلّ من: أرييل أورتيجا، وبابلو أيمار، وخوان رومان ريكيلمي، والأباتشي تيفيز؛ إذ من الصعب حمل تاج كهذا. ويصعب الأمر أكثر عندما تظهر كثير من المفاجآت كما في حالة ميسي؛ فهو صغير الحجم، وأشول، وترعرع في نيولز، حيث كان مارادونا قد قضى بعض الوقت، ثمّ كبر في نادي برشلونة، حيث لعب مارادونا أول مرّة خارج الأرجنتين، وبطل كأس العالم للشباب دون سنّ العشرين، تمامًا مثل مارادونا (بطولة كأس العالم عام 1979م). وكانت أول مشاركة له مع المنتخب الأول أمام المجر، تمامًا كما مارادونا. ثمّ تتعقّد الأمور أكثر عندما يقوم مارادونا بدعوتك إلى برنامجه التلفزيوني (ليلة الملك رقم 10)، وينصّبك أنت تحديدًا خليفة له، حيث يقول: «لقد اختير ميسي ليكون من بين العظماء. يعتقد بعضهم أنّه نجح فعلاً في الأمر. ولكن، في رأيي، فإنّه بدأ اللعب توّأ. باستطاعته بذل المزيد ومضاعفة جهوده، وحينئذٍ، ستكون تلك لحظة المجد بالنسبة إليه».

وحين يُطرح عليه سؤال من صحيفة إل غرافيكو بخصوص هذا اللاعب، فإنّه يجيب بأنّ ميسي هو حقًا أفضل لاعب أرجنتيني في الوقت الحالي. ولكنّه حين يُسأل: هل سيتمكّن ليو من تخطيك؟ يجيب قائلاً: «إذا كان ذلك الأمر في مصلحة كرة القدم الأرجنتينية فسأكون سعيدًا من دون شك».

من الملاحظ أنّه على الرغم من كلّ تصريحاته وبركاته، فإنّ الملك القديم لا يزال متحفّظًا حيال التنازل عن عرشه. لذا، فقد حان دور المقلّد لكي يثبت جدارته بالجلوس هناك.





الفصل الثامن والعشرون

أمامه كثير من الوقت

حوار مع فرانك ريكارد



منفضة سجائر، وعلبة سجائر، وعلبة بيبسي، ويبدأ الحديث. يشعر المدرب السابق لنادي برشلونة بالاسترخاء؛ فليس لديه مواعيد مستعجلة، ويرحب بحديث مطوّل عن الفتى الذي لعب للفريق الأول أول مرّة في السادس عشر من شهر تشرين الأول عام 2003م.

لقد لعبت مباريات حماسية مع نادي ميلان في مواجهة فريق نابولي مارادونا، وكنت مدربّ ميسي خمس سنوات. أنت باختصار أفضل من يقرّر ما إذا كان ميسي هو مارادونا الجديد أم لا.

«لديّ كثير من الذكريات عن مارادونا؛ تلك الصدمات مع نابولي في البطولات الإيطالية كانت فعلاً تاريخية. ولكن، عندما لعب ديبغو في إيطاليا، كان عمره (26) و(27) عامًا؛ أي إنّه كان قد وصل إلى أعلى مستوى لديه. ميسي ما زال صغيراً، وما زال أمامه الكثير من الوقت. أنا أدرك لماذا يقارن الكثير من الناس بين ليو وديبغو؛ فكلاهما من الأرجنتين، وصغير الحجم، ولديهما كثير من الصفات العظيمة، لكنّ المقارنات معقّدة دائماً. في أيامي، كان مارادونا يمثّل كرة القدم. من الواضح أنّه كان وسيبقى كرة القدم بحدّ





ميسي

ذاته. ليولاعب فريد. ولكن، إذا أردنا مقارنته بمارادونا، فعلينا الانتظار إلى حين انتهاء مسيرته في الملاعب».

وماذا عن هدفه في مرمى خيتافي؟

«رأيت كثيرًا من كرة القدم؛ وكثيرًا من اللاعبين العظماء، وكثيرًا من الأهداف... هدف ميسي في خيتافي من أجمل ما رأيت في حياتي. لقد كان عملاً فنيًا أصيلاً. أذكر أنني شعرت بسعادة لا توصف من أجله، ومن أجل الفريق وال جماهير، لكنني أقول بصدق: إنني لم أفاجأ».

لماذا؟

«لأنني أحسّ بالأمر في أثناء التدريبات بصورة يومية؛ فعندما يلعب، أعرف أنه قادر على عمل أمور خارقة، أمور مثل تلك».

إذن، أنت لم تُفاجأ حين بدأ النقاش عن مسألة مدى التشابه بين هدفه والهدف الذي سجّله مارادونا في بطولة كأس العالم بالمكسيك عام 1986م؟

«عرفتُ أنّ ذلك سيحدث؛ لأنّهما حقًا متشابهان، مع أنّي أعتقد أنّ تسارع ليو كان أكبر منه لدى مارادونا. لقد نُشرت آلاف مقاطع الفيديو الخاصة بالهدفين على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وشاهدت شخصيًا نحو عشرين آخرين يشبهانها على الأقل».

لنعد إلى أول ظهور لميسي مع الفريق الأول.

«كان ميسي موهوبًا مُدّ كان في أكاديمية الشباب. ولكن، كان علينا الاحتفاظ برأينا. على المرء أن ينتظر في مثل هذه الحالة؛ فالانتقال إلى الفريق الأول أمر ليس بالسهل. إنّه الامتحان الحقيقي. حسنًا، لقد فاجأنا ليو جميعًا، فبدل أن يواجه صعوبات، أصبحت مهاراته تتطور بفضل اللعب إلى





جانب لاعبين كبار. أدرك الجميع في مباراة كأس خوان غامبر ضد يوفنتوس قيمة ذلك الفتي».

ما أبرز صفاته؟

«كان لا يحضل إذا كان في الملعب عشرة مشاهدين، أو مئة ألف مشاهد. ليو هو نفسه على الدوام؛ يشعر بالأمان، ويرغب في الفوز دائماً. إنه من الفتيان الذين يقولون دائماً: «أعطني الكرة، أريد أن أعب، أريد أن أبدو، أريد أن أرى الجميع موهبتي». وحينما يحصل عليها، تصبح مهمة إيقافه من دون ارتكاب خطأ أمراً صعباً. إنه سريع جداً، ولديه قدرة فائقة على التحكم في الكرة، لمساته متقنة، وهو يراوغ بطريقة قلَّ نظيرها في عالم كرة القدم. ولا ننسى قدرته الفائقة على الاندفاع نحو مرمى المنافس. وعلى الرغم من قصره، إلا أنه قوي جداً. يمكنك ملاحظة ذلك عندما يلتحم مع لاعبين آخرين؛ إذ من الصعب طرحه أرضاً».

كيف تغير على مدار السنين؟

«عندما بدأ اللعب مع الفريق الأول، كان فتىً متزنًا، هادئًا، خجولًا جدًا، يحترم الآخرين. لقد تغير كثيرًا بمرور الأيام. ولكن، من دون تخليه عن أي من تلك الصفات. لقد أصبح الآن أكثر ثقة بنفسه، وأكثر وعياً بعظم أهميته للفريق. الجميع يقدره، وهو يعي ذلك جيداً. لم يتغير سلوكه، لكنه لم يعد ذلك الصبي الصامت كما كان قبل سنوات خلت. لقد أصبح أكثر مرحًا، ويجب المزاح حين يكون مع زملائه في الفريق، أو محاطًا بأشخاص يعرفهم... يجدر بي القول: إن الفريق عامله معاملة جيدة منذ البداية، وإنه تكيف مع زملائه في المجموعة. وقدّم له كل من: سيلفينهو، وديكو، ورونالدينو المساعدة والنصح. دائماً ما يميّز اللاعبون العظماء اللاعبَ الفريد من نوعه».





ما نوع العلاقة التي كانت تربطك بليو؟

«أهتم كثيراً لأمره. وقد شعرتُ في البداية بأنه في حاجة إلى تعاطف ودعم مني؛ نظراً إلى صغر سنّه. وارتأيت فيما بعد أنّ تلك الحاجة أخذت تقلّ شيئاً فشيئاً؛ فقد أصبح يعرف خياراته جيداً، ويدرك كيف تسير الأمور في عالم كرة القدم. لقد تحمّل الكثير من المسؤوليات، وسيتحمّل المزيد بمرور الزمن؛ من أجل زملائه في الفريق، وناديه، والأعضاء المساهمين فيه. لقد نضج على نحوٍ يتيح له فعل ذلك، وتمكّن من تطوير قدراته ومهاراته في حياته الشخصية والكروية. لقد مرّ بلحظات رائعة، وبأخرى صعبة جداً».

صِفْ لنا شعورك حينما أُصيب في مباراة الفريق أمام تشيلسي، وقيمت

بحضنه كما لو كنت والده؟

«كان ذلك شيئاً طبيعياً بالنسبة إليّ؛ فقد أحسست بمعاناته، وكنت أعرف مدى رغبته في لعب تلك المباراة. إنّ التعرّض للإصابة شيء لا يُحتمل. كلّ ما كنت أستطيع فعله هو التخفيف عنه بقول: «لا تقلق، ستكون على ما يرام، وستتعافى سريعاً». كانت لحظة مؤثّرة نابعة من عواطف جيّاشة، لحظة جميلة على الرغم من قساوتها. ولكن، يتعيّن عليك دائماً التعامل مع لحظات كتلك في مهنة التدريب. إنّها أمور تزيد من نضجك، وتزيدك حماساً للعب، والوصول إلى القمة».

حدّثنا عن إحدى نصائحك لليو، أو عن أهم نصيحة أسديتها له.

«إنّه أكثر اللاعبين استحواداً على الكرة، والإفادة منها؛ إمّا بالتسديد، وإمّا بالتمرير. لذا، كنت أذكره دائماً بعدم المراوغة كثيراً؛ حتى لا تزيد احتمالية فقدان الكرة، أو التعرّض للإصابة. كنت أقول له مراراً: «لا يمكنك المراوغة طوال تسعين دقيقة، ولا يمكنك مراوغة عشرة لاعبين وحارس مرمى





في كلِّ مباراة. يمكنك فعل ذلك مرّة كلِّ سنة، لا كلِّ أسبوع». تلك كانت أبرز النصائح التي أسديتها له، ويبدو أنّه أخذ بها. وقد تمثّل ذلك جيّدًا في هذا الموسم؛ إذ نجح إمّا بتسجيل هدف أو هدفين في كلِّ مباراة، وأمّا بصناعة هدف لزملائه. باختصار، لقد طوّر من طريقة لعبه، وأظهر مستوى ملحوظًا من النضج الكروي. لقد كان في حاجة إلى ذلك؛ نظرًا إلى قدرته على استشراف مجريات الأمور على أرض الملعب أكثر من بقية اللاعبين. لقد تميّز بالإبداع، والقدرة على صنع الأهداف، والظفر بالبطولات مقارنة بالآخرين. ما يتعدّر عليه فعله هو إرهاق نفسه من دون داعٍ، وتوزيع مجهوده، وعدم إحداث فرق يُذكر».

يشعل ريكارد سيجارة أخرى، ثمّ يكمل منظومة أفكاره قائلاً: «يراودني إحساس حيال مارادونا، أنّه كان قادرًا على البثّ. وهو أمر يقوم به ميسي الآن؛ بثّ المتعة في اللعب. إنهما شخصان يستمتعان بالكرة، ويبدو أنّهما في بحث دائم عنها... ولا يفتران عن قول: هيّا بنا نلعب».





الفصل التاسع والعشرون

عليك إثبات ذلك

حوار مع كارلوس سلفادور بيلاردو



سمَّه الحكيم، أو الأستاذ، أو الرجل الغامض، أو الأب الروحي لمدرسة جديدة من الأفكار المتعلقة بكرة القدم (البيلاردوية بطبيعة الحال)، أو ببساطة صاحب الأنف الكبير. كلُّها ألقاب حصل عليها بيلاردو خلال مسيرة ناجحة؛ لاعباً ومدرِّباً، في بلده الأرجنتين وخارجها. فلسفته معروفة هي: «المهم هو الفوز»، و«لا أحد يتذكَّر الوصيف»، ولا ننسى بالطبع «المباراة النهائية مسألة حياة أو موت».

الآن، وبعد مدَّة قصيرة قضاها في مجال السياسة، وهو يعمل مستشاراً رياضياً لمنطقة بوينوس آيرس، عاد الطبيب الذي كرَّس حياته لكرة القدم إلى حبه الحقيقي؛ فهو الآن المدير العام للمنتخب الأرجنتيني. وكما جرت عليه العادة، فإنَّه يحبُّ أن يتعاطى أمورَ كرة القدم بصراحة وتهكُّم معروفين معتادين.

قد تكون أنت المدرِّب الأقرب إلى مارادونا. فقد امتدت علاقتكما طويلاً في المنتخب الأرجنتيني الفائز ببطولة كأس العالم عام 1986م، وفي البطولة نفسها عام 1990م بإيطاليا، حين وصل الألبيسيلستي إلى





ميسي

المباراة النهائية، وفي نادي إشبيلية. وكنت بجانبه في بطولة كأس العالم عام 2010م. باختصار، أنت تعرف مارادونا حق المعرفة، وتتابع مراحل تطوّر ميسي، ما يقودنا إلى السؤال الآتي: هل ليو هو مارادونا الجديد؟

«عندما يظهر لاعب جديد على الساحة؛ سواء في الأرجنتين أو غيرها، فإنّ الجميع يعمد إلى مقارنته بمارادونا. وفي واقع الأمر، فقد حصل كثير من اللاعبين على هذا اللقب... ولكن المشكلة تكمن في ضرورة إثبات هؤلاء اللاعبين - بصورة دائمة - أنّهم يماثلونه في المستوى.

أثبت مارادونا في أيامه أنّه الأفضل في العالم. ومع أنّ ميسي يؤدي على نحوٍ طيب، ويسير في الاتجاه الصحيح، إلاّ أنّه لم ينجح في الفوز بكأس العالم بوصفه قائد الفريق، لذا، فإنّه لن يصل أبداً إلى ما وصل إليه مارادونا. حدث ذلك لكثير من اللاعبين العظماء الذين لم يتمكّنوا من الفوز بكأس العالم، أقصد هنا خوليت، وكرويف، وبلاطيني.

لندع الحديث عن المستقبل جانباً، ولننتحدث عن هدف ميسي في مرمى فريق خيتافي، وهدف مارادونا في مرمى منتخب إنجلترا الذي شهدته في أثناء جلوسك على الدكّة.

«إنّهما هدفان متشابهان. ولكن، في وضعين مختلفين؛ فأحدهما كان على مستوى المباريات الدولية في ربع نهائي بطولة كأس العالم، والآخر على مستوى الأندية في النصف النهائي لبطولة كأس الملك.»

مفهوم... ولكن، هل فوجئت بذلك؟

«ما فاجأني هو الطريقة التي جُنّ بها جنون إسبانيا حيال ميسي؛ إذ اقتصر حديث الجميع على هذا الهدف، حتى إنّهم هنا قاموا بعرضه على التلفاز مراراً وتكراراً.»





وما رأيك فيه من ناحية تكتيكية؟

«ما فاجأني أنه حافظ على مستوى قوة ثابت من لحظة استلامه الكرة حتى إحرازه الهدف. مارادونا كان يغيّر من إيقاعه. أمّا ميسي فدائمًا ما يتحرّك بالطريقة نفسها. إنّه يحاكي الأسلوب ذاته الذي يتبعه اللاعب الأشول عندما يلعب على الجهة المعاكسة لقدمه (الجهة اليمنى في حالة ميسي). فعندما يحصل مثل هذا اللاعب على الكرة في الجهة اليمنى، فإنّه يتحرّك إلى العمق، بحيث ينكشف المرمى أمامه بالكامل، وتصبح مهمة التسجيل أسهل».

أيّ الهدفين تفضّل؟

«ما زلت أفضل هدف مارادونا؛ فهذا الأخير نجح في تخطي لاعبين مندفعين نحوه، فيما قام لاعبا خط الدفاع الوسط بالهجوم عليه بشكل متوالٍ؛ بداية بботشر، متبوعًا بفينويك. أمّا ميسي فركض نحو (30) مترًا من دون أن يحاول أحد صدّه. لذا، فقد تمكّن من لمس الكرة - بصورة أكبر - بقدمه اليمنى الضعيفة. إنّه يسير الكرة باليمنى، ويراوغ باليسرى. وكان صعبًا على المدافعين إيقافه؛ لأنّه كان يأتي مندفعًا، وبسرعة كبيرة؛ ما اضطر لاعبي خط الدفاع الوسط إلى الاصطفاف على صورة حائط في انتظار قدومه، وذلك حتمًا يجعل مهمته أسهل».

ميسي ومارادونا... نتحدث عن صفاتهما.

«لقد تميّزا بقدرتهما على حسم المباراة في الربع الأخير من الملعب، وخطواتهما الصغيرة والسريعة؛ ما جعل انتزاع الكرة منهما أمرًا صعبًا، وتميّزا بتسديداتهما القوية».





هل لك أن تقارنهما من جوانب أخرى؟

«المقارنة صفة أبدية في كرة القدم؛ فكم من مرّة قورن مارادونا ببيليه، أو بيلاتيني، أو بكرويف لتحديد الأفضل. لكنّ الأوقات تتغيّر، تمامًا كما في الطبّ؛ فالمعرفة التي يمتلكها الطبيب اليوم لن تكون نفسها بعد عشرين عامًا».

هل تودّ إضافة أيّ شيء آخر؟

«أنا لا أعرف ميسي حقّ المعرفة. أمّا بخصوص دييغو فباستطاعتي القول: إنّه رجل على علم بكرة القدم التي يلعبها؛ سواء من ناحية تكتيكية، أو فنية».





الفصل الثلاثون

خيبة أمل

الخامس عشر من تموز عام ٢٠٠٧ م



الحزن والغضب هما شعوران من مشاعر كثيرة لازمت تفكير ميسي وكلامه في منتصف شهر حزيران. أمّا مردّد ذلك فبسيط؛ إذ لم يفز برشلونة بأيّ من الألقاب التي وضعها نُصب عينيه. وكان عليهم أن يرضوا بلقب واحد من أصل ثمانية ممكنة، هو كأس السوبر الإسباني فقط. نتيجة مخيبة ولا شكّ. إنّ الشعور بالسوء حيال الأمر، هو شيء طبيعي بالنسبة إلى شخص لا يفكر إلاّ في الفوز، مثل البرغوث. يقول في مقابلة له مع مجلة فرانس فوتبول: «بدأنا الموسم على نحوٍ طيب. ثمّ أقصينا من دوري الأبطال مبكّرًا. عندئذٍ، ظننا أنّ الأمور ستصبح أسهل، فوجدنا أنفسنا خارج كأس الملك. يغدو الأمر مؤلمًا حينما تتضافر تلك العوامل كلّها بعضها مع بعض».

لا يتطرق ميسي إلى الحديث عن الدوري، الذي عدّ أقوى الضربات التي وُجّهت إلى الفريق. كان يبدو أنّ البلاوغرانا قد ضمنوا اللقب منذ شهر شباط، وأنّ الأداء الذي يقدمه ريال مدريد بقيادة كابيللوما هو إلاّ محاولة للإبقاء على الحظوظ، والدفاع عن أنفسهم أمام وسائل الإعلام. لكنّ الحال انقلب؛ إذ خسر البارسا نقاطًا كثيرة في الخطوات الأخيرة من البطولة، خاصة تلك





ميسي

التي خسرها أمام ريال بيتيس وإسبانيول، وأهدت اللقب إلى البيلانكوس. لماذا لم يعرض البارسا مكافآت على نادي مايوركا؛ خصم الريال في المباراة الأخيرة التي ستقام في السابع عشر من شهر حزيران المقبل على البرنابيو؟ (يُعدّ تقديم المال للفرق التي تهزم خصمك أمرًا شائعًا في إسبانيا). لا يظن ميسي أنّ في الأمر خطأً إذا كان يساعدهم على الفوز. ولكن، على الرغم من صدق نيات هذا الأرجنتيني وتطلّعاته، فقد بدت المعجزة التي كانت ممكنة في الدقيقة الخامسة والستين بعيدة المنال في النهاية. تتبدّد بذلك الفرصة الأخيرة لإنقاذ الموسم، مخلفة وراءها مزيدًا من الحسرات والندم.

باختصار، لم يَجْرِ أيّ شيء كما كان متوقّفًا، و«بقي البطل من دون جائزة» كما عنونت صحيفة إل بايسس. لقد كان فعلاً موسمًا مميّزًا على المستوى الشخصي بالنسبة إلى ميسي؛ فالأرجنتيني أدى دور البطولة المطلقة في كثير من الليالي الساحرة. فقد كان هو مَنْ تسبّب في خيبة أمل مؤقتة لريال مدريد بالهاتريك الذي سجّله في مرمى هذا الأخير. ثمّ جاءت نسخ أهداف قدم مارادونا ويد الرب؛ عجائب وخدع لم ينتج منها شيء. كلّ الأهداف التي سجّلت، إلى جانب جائزة أفضل لاعب أجنبي في الدوري، لا تعدّ كونها جوائز ترضية.

من حسن الطالع أنّ كرة القدم لا تنتهي؛ إذ تنتظره الآن مشاركة مع المنتخب الوطني في كوبا أمريكا، وهي فرصة قد تكون مناسبة للتعافي من الصدمات التي تعرّض لها توتو. وإنّ لديه الفرصة ليكون ضمن التشكيلة الأساسية في بطولة مهمة، لا مجرد عنصر من الفريق، كما كان عليه الحال في بطولة كأس العالم بألمانيا.

يضمّمه ألفيو بازيلي الملقّب بـ كوكو إلى الفريق، بعد أن تسلّم دفة قيادة المنتخب خلفًا لخوزيه بكرمان. يعرف بازيلي حقّ المعرفة أنّ بإمكان البرغوث



تقديم الكثير للمنتخب الوطني، وأنه سيؤدي دوراً رئيساً في تنفيذ الخطط المرسومة للفريق. لم يكن يرغب في تكرار الأخطاء التي وقع فيها سلفه.

حرص ألفيو على حضور ميسي المعسكر المزمع إقامته في أوروبا، بمدينة بيرن وبرشلونة، حيث سيواجه الفريق سويسرا والجزائر؛ وذلك بقصد تهيئته للمشاركة في البطولة القارية التي ستقام في فنزويلا، حيث يتوقع العالم بأسره أن يكون لميسي كلمة عليا هناك.

تقدم ليوف في الاستفتاء الذي أجراه الموقع الإلكتروني للبطولة بفارق كبير (33% من الأصوات)، تاركاً خلفه كلاً من التشيلي ماتياس فيرنانديز، والفنزويلي خوان أرانغو. أما لاعب ريال مدريد، البرازيلي روبينيو، الذي سيتوج لاحقاً بلقب أفضل لاعب في البطولة، إلى جانب حصوله على لقب الهداف برصيد ستة أهداف، فجاء في مؤخرة الترتيب (8% فقط من الأصوات).

يحتفل ميسي بعيد ميلاده العشرين في الرابع والعشرين من شهر حزيران في مدينة ماراكايبو، قبل أربعة أيام من مباراة المنتخب الأولى أمام منتخب الولايات المتحدة، فأخذت وسائل الإعلام تتزلف إليه لمعرفة أمنيته في هذه المناسبة؛ فتحصل على إجابة متوقعة، هي: «الفوز بلقب كوبا أمريكا، والتتويج بلقب الهداف». لم تفز الأرجنتين بالبطولة منذ عام 1993م، وهو أمر زاد من الضغط والتوقعات على نحو هائل.

يتوقع الجميع من ميسي الكثير، لدرجة أن المدرب واللاعبين يصنعون جلبة من حوله، وهو أمر لا يقارن بما كان عليه الوضع في بطولة كأس العالم بألمانيا، حتى إن كوكو عيّن له مرشداً، هو خوان سباستيان فيرون الملقب بالساحر. لعب فيرون هذا، البالغ من العمر (32) عاماً، في نادي بوكا جونيورز، وسامبدوريا، وبارما، وإنتر، ولاتزيو، ومانشستر يونايتد، وتشيلسي، ثم عاد ليحقق النجاح مع حبه الأول في الأرجنتين؛ إستوديانتس دي لا بلاتا.





ميسي

يقدم فيرون النصيحة لصاحب العشرين عامًا داخل الملعب وخارجه، ويدحض عنه الاتهامات التي توجه إليه بأنه فردي ومتعجرف. ثم يشرح هذا الأمر لصحيفة إل بايس قائلًا: «ميسي متحفّظ. لا يخرج مع مجموعة من الأصدقاء لقضاء الوقت، واحتساء المشروبات، وإنما يفضل لعب (البلاي ستيشن). هو بالنسبة إليّ كالأخ الأصغر الذي يتعيّن عليّ العناية به. عليّ أن أحميه!».

وفي واقع الأمر، فإنّ توفير الحماية لميسي أمر ضروري؛ فحمّى هذا الفتى منتشرة في فنزويلا؛ إذ لا يمكن له أن يخطو خطوة واحدة من دون أن يُحاط بجمع غفير من المعجبين، ناهيك عن أنّ القمصان التي تحمل اسمه تلقى رواجًا كبيرًا، بين الكبار والصغار على حدّ سواء. أمّا على أرض الملعب، فإنّه يلقي التحية كلّما لمس الكرة، وحتى عندما يخطئ المرمى. وفي حال لم يكن في التشكيلة الأساسية، كما في مباراة الفريق أمام منتخب الباراغواي، فإنّ الجمهور المنزعج يبدأ المناداة باسمه بعد مُضيّ عشر دقائق من زمن المباراة.

إنّه حبّ أعمى؛ حبّ يصل ذروته في ملعب لارا دي باركويزيميتو؛ ففي أثناء سير ميسي في اتجاه النفق المؤدي إلى غرف تغيير الملابس، يشعر بالتعب والشروء، وفجأة تقع عيناه على فتاة ظهرت من غامض علم الله. ويلاحظ أنّها على وشك إلقاء نفسها من على المدرجات، فيشعر بالقلق حيال ذلك، ملوِّحًا، بيديه، وهو يصرخ: «توقفي، ما الذي تفعلينه؟!». تأبى الفتاة العشرينية التي أعماها الحبّ الاستماع إلى صوت المنطق، ثمّ تقفز. ولحسن الطالع، فإنّها تنزل على قدميها. فيهجم عليها رجال الأمن. ولكن، قبل أن يتمكنوا من أخذها بعيدًا، تتمكّن من معانقة حبيبها وغمره ببعض القبل. ظهرت على مَحْيَا ميسي ملامح الحيرة والارتباك من دون شكّ، تمامًا مثل حكم المباراة سايمون، الذي أمسك بذراع ميسي وطالبه بتفسير للحادثة، مقتنعًا أنّها كانت هجومًا.



يعترف ميسي بذلك لاحقًا، في حديث لصحيفة كلارين، قائلاً: «لقد كان أمرًا لا يصدق. كنت أشير لها كي لا تقفز، لكنّها تجاهلتنى وقفزت. أقسم إنني لم أدر ماذا أصنع. لقد قفزت مسافة أربعة أمتار على الأقل. وكان من الممكن أن تُقتل، والأدهى أنّهم أخذوها بعيدًا بسرعة من دون التأكد ممّا إذا كانت الفتاة المسكينة على ما يرام أم لا».

وقعت هذه الحادثة في الثامن من شهر تموز، قبيل مباراة ربع النهائي. كانت الأرجنتين قد تغلّبت توّاً على البيرو بنتيجة (4-0)، مباراة سجّل فيها ميسي في الدقيقة الحادية والستين هدفًا طال انتظاره؛ إذ لم يتمكّن من التسجيل في المباريات التي سبقت أمام منتخب الولايات المتحدة، وكولومبيا، والباراغواي، لكنّه كان حاسمًا في تحريك ماكينة الألبيسيلستي وتحويلها. ففي المباراة الافتتاحية التي جمعت الفريق بمنتخب الولايات المتحدة، قدّم ميسي كرة على طبق من ذهب لكريسيبو، وتمكّن هذا الأخير من تسجيل الهدف الثاني. وألهب ميسي مشاعر الجماهير في الخمس والعشرين دقيقة التي لعبها في الشوط الثاني من مباراة الفريق أمام الباراغواي (أراد بازيلى إراحته؛ استعدادًا لمباراة ربع النهائي)، حين أشعل مباراة كان يغلب عليها طابع الملل. ولكن، حتى ذلك الوقت، فإنّه لم يتمكّن من التسجيل. لذا، فقد أزعج الهدف الذي سجّله في الشباك البيروفية عبئًا ثقیلاً عن كاهله. وفي مباراة نصف النهائي أمام منتخب المكسيك، التي أُقيمت في مدينة بويرتو أورداث، نجح ميسي في استعادة مكانته بتنفيذ تحفة فنية جديدة: تحفة جعلت المعلقين يقولون: «عليهم (أفراد منتخب المكسيك) حزم أمتعتهم، والعودة إلى الديار». أمّا بازيلى فقال: «هذا ما يفعله العباقر». ثمّ كرّر المعلقون في قناة تاك الرياضيّة الأرجنتينية الشيء نفسه: «هل نحزم أمتعتنا، ونرحل؟ هل نحن في حاجة إلى المزيد؟ لماذا نستمر بعد أن رأينا هذا الهدف؟». ليس هذا وحسب؛ إذ يقول تيفيز: «ما فعله ميسي كان ضربًا





ميسي

من العبقرية. لم يكن هناك الكثير من الفرص السانحة بالنسبة إليه، لكنّه تمكّن من تحويل أول كرة حصل عليها إلى هدف رائع». في حين قال ماسكيرانو: «إنّها لحظة من لحظات العبقرية التي نتوقّعها منه. لن يفاجئني أيّ شيء يفعله بعد الآن. إنّه خارق للعادة». أمّا كامبياسو فصرح بأنّه «كان هدفًا مدهشًا». ثمّ أضاف هاينزه: «تعجز الكلمات عن وصف هدف ميسي». وفي واقع الأمر، فقد كان الهدف رائعًا، لدرجة أنّه صنّف - على شبكة الإنترنت - ضمن قائمة أفضل الأهداف التي سجّلها البرغوث في مسيرته الكروية.

ولكن، ما الذي تمكّن من فعله هذه المرّة؟ لِنُعيد شريط الأحداث: في الدقيقة الستين، مرّر هاينزه، الذي كان قد أحرز هدف التقدّم، الكرة إلى كامبياسو؛ مدافع نادي إنتر الذي كان محاطًا ببعض اللاعبين، ما اضطره إلى إعادة الكرة إلى هاينزه الذي أرسلها من منتصف الملعب، ليتلقّاها تيفيز عند حافة منطقة الجزاء وظهره في اتجاه المرمى. وبعد أن رؤّض الكرة بصدّره وأنزلها على الأرض، التفت مرسلًا الكرة إلى ميسي الذي كان مندفعًا كالسهم. دخل ميسي منطقة الجزاء، ثمّ رفع رأسه ليُحدّد موقع الحارس، ثمّ أرسل الكرة في الهواء بمنتهى المهارة والخفّة. كانت كرة مقوَّسة بدقة، مرّت من فوق الحارس اليأس سانشيز، الذي قفز إلى الخلف ومدّ جسمه ما استطاع، لكنّه لم يُفلح حتى في لمس الكرة التي التفتت، ثمّ دخلت من تحت العارضة مباشرة. وفي هذه الأثناء، ينظر ليو إلى الكرة حين معانقتها الشباك، ثمّ يركض في اتجاه الراية الركنية، ويحتفل مع الجماهير الأرجنتينية. مرشده فيرون كان أول الواصلين لتهنّئته، فيقفز الفتي ويتحلّق برقبة مرشده، ثمّ نشاهد كوكو على دكّة البدلاء، وهو يرفع ذراعيه في الهواء، ثمّ يصفق، ويضحك فرحًا.

«هل ظننت أنّه يتعيّن عليهم حزم أمتعتهم والعودة إلى الديار بعدما أهديتهم تحفّتك الفنية؟» لا، توقف عن قول ذلك. لقد كان هدفًا جميلًا، لا أكثر





ولأقل. المهم أنني تمكنت بتسجيله من مساعدة المنتخب الأرجنتيني على بلوغ المباراة النهائية». كان ذلك جواب ميسي عن سؤال طرحه مندوب صحيفة لاسيونيون في اليوم اللاحق. لكنَّ المندوب يحاول إثبات وجهة نظره بسؤال ميسي: «هل تعتقد أنه أروع هدف في مسيرتك الكروية؟» «ربما، لا أعرف، لقد سجّلت بعض الأهداف الجيدة، مثل هدفي في مرمى فريق خيتافي. في الواقع، أنا لم أشاهده بالتلفاز، لكنَّ الجميع قالوا لي: إنه كان جيداً جداً؛ وإنك شاهدت الحارس وهو يتقدّم عن مرماه، فقامت باستغلال الفرصة. لقد انتهت الأمور على نحوٍ طيب، أليس كذلك؟».

ميسي يتصرف كعادته؛ تواضع لا يتزعزع. ومع ذلك، فإنه يتمسك بحقه في تحقيق حلمه المتمثّل في التعلّب على المنتخب البرازيلي في النهائي. كان ميسي قد صرّح منذ بداية البطولة بأنه يرغب في مواجهة البرازيل، وها هي ذه أمنيته تتحقّق. إنه يريد أن ينسى الهزيمة التي ألحقوها به وبفريقه (0-3) في المباراة التي جرت على ملعب ويمبلي في شهر أيلول المنصرم.

صديقه رونالدينو لن يكون موجوداً، وذلك يُعدّه ميسي جيداً، وإن كاكا غير موجود أيضاً. صحيح أنّ البرازيل خسرت مباراتها الافتتاحية أمام المكسيك، واضطرت إلى الضربات الترجيحية للتعلّب على الأوروغواي في نصف النهائي، لكنَّ التعلّب عليها يبقى أمراً صعباً. أضف إلى ذلك أنّ المباريات النهائية أمر مختلف؛ فلا أحد يمكنه التنبؤ بما سيحصل في أثنائها. أمر يستحيل واقعاً مؤلماً يحطّم الآمال الأرجنتينية بخسارة مدوية (0-3) تسبّب فيها كلٌّ من: الوحش جوليو بابتستا، وقائد الألبيسيلستي أياالا الذي سجّل خطأً في مرماه، وداني ألفيش. لقد تمكّنت البرازيل من محاصرة الفريق ذي الفنيات على نحوٍ محكم. ولم تتمكّن الأرجنتين من إحداث أيّ تأثير في المباراة التي أُقيمت على ملعب خوزيه روميرو بمدينة ماراكايبو، حتى حُيّل أنّهم أشباح الفريق الأصلي. ولكن، ماذا عن ميسي؟





ميسي

تقول صحيفة كلارين: «لم يفعل الكثير لتغيير مسار التاريخ. لا حماسة، ولا كرة قدم، فقد فرض عليه أحد اللاعبين البرازيليين رقابة لصيقة وتركه ضائعاً في متاهة». تعبّر الصورة أكثر من حديث المعلقين والنقاد؛ إذ يجلس ميسي على أرضية الملعب، وتعلو وجهه نظرة تائهة. ثم يهزّ طبيب الفريق، دادي، رأسه نحوه قاصداً مواساته. وبعد أن يقدم له رئيس الفيفا جوزيف بلاتر الميدالية، ينزل ميسي عن المنصة، ثم يخلعها، ويحكم قبضته عليها. لقد اختير بوصفه أفضل لاعب صاعد في البطولة. ولكن، ما نفع ذلك؟ فلا شيء يتملّكه غير الغضب والحزن في خضم خيبة الأمل الجديدة تلك.





الفصل الحادي والثلاثون

فتى كهربائي

حوار مع ألفيو بازيلى الملقَّب بـ كوكو



يجلس كوكو إلى طاولته المعتادة في الزاوية الخلفية من مطعم لا رايَا في بوي نوس آيرس، يتجاذب أطراف الحديث مع أصدقائه من اللاعبين والصحفيين، وبعض الأعرّاء من ذوي الصحبة المعتادة.

عادة ما يسمع الصوت الرخيم والخشن الصادر عن المدرب الأرجنتيني وسط الطنين والصخب الناتجين من قرع الكؤوس وأدوات المائدة. يقاطع صاحب المطعم؛ كلاوديو كودينا، الذي يُعدُّه بازيلى ابنًا له، الجمع بأدب جمّ، وينضم إليه للحديث عن ميسي. تخرج الكلمات ثقيلة وسريعة من فم المدافع السابق لنادي بيلا فيستا، مع سيجارة بين أصابعه، وكأس في يده: «أحبّ ميسي كثيرًا؛ لأنّه فتى عظيم. إنّهُ متواضع، لا يفتنّ بنفسه، ولا يُعدّها نجمًا، ولا يسمح للشهرة بتغييره أبدًا. إنّهُ فتى يحلم كلّ أب بابن، أو حتى بصهر مثله. الناس في كلّ مكان يحبّونه، ليس لأنّه لاعب كرة بارع فحسب، بل بسبب شخصيته أيضًا. دعني أخبرك بقصة تتعلّق بهذا الأمر».

تفضّل، رجاء.

«كنّا في أوسلو، نتدرّب في ملعب صغير محاط بأبنية ضخمة. وكانت هناك جرعة تدريب مسائية، والأجواء مظلمة بعض الشيء، ولا أحد في الجوار. وفي





ميسي

هذه الأثناء، حدث شيء غير متوقَّع في بلد مثل النرويج (مكان يمتاز بالبرودة القارسة التي تطول الجميع حتى مشجعي كرة القدم)... إذ أُضِيَّت الأضواء فجأة، وفُتِحَتْ نوافذ المنازل المحيطة، وبدأنا نسمع هُتاف الجميع من الجهات كُلِّها: ميسي! ميسي! ميسي!

وماذا قال؟

«لا شيء... فهو يصاب بالإحراج، بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى، كلِّما ناداه الناس باسمه أو أثنوا عليه. لذا، تراه يعاني خاصة عندما يصدح المتفرِّجون باسمه. أمَّا الفتيات فيُصَبِّنَ بالجنون، كما حدث في فنزويلا... إنَّهنَّ يعشقنَّه لوجهه الطفولي، ولخجله، ولمظاهر التسامح التي تقطر من مُعيَّاه... إنَّها صفات ورثها عن والديه. إنَّه يحظى بعائلة رائعة، لا تفتأ تعتني به، وتعمل على حمايته. قالت لي والدته عندما قابلتها: «اعتنِ به من أجلي يا كوكو، رجاء، اعتنِ به من أجلي».

وهل اعتنيت به؟

«دون شك. فقد حاولت مساعدته، والتخفيف عنه قدر المستطاع، تمامًا كما كان عليه حال أفراد العائلة في برشلونة. فقد حرصوا على حمايته هناك أيضًا؛ لمعرفةهم بأهميته ودوره الفاعل بالنسبة إلى الفريق. لكنَّ ليولا يتأثر بالضغط، وينسى كلَّ شيء حوله حال دخوله أرض الملعب، ويحصر تفكيره فقط في اللعب بالكرة. إنَّه يحبُّ الكرة».

فلنتحدث عن علاقة ميسي بكرة القدم لأنك تطرقت إلى هذا الموضوع.

«التقيته عندما كان لا يزال في سنِّ الخامسة عشرة، وكان رأيي حينئذٍ أنَّه لاعب جيد. أمَّا الآن فهو لاعب مميِّز؛ إذ يمتلك السرعة، والتسارع، ويمكنه





المراوغة، وعمل أشياء جديدة باستمرار، فضلاً عن تمتعه بلياقة فائقة، وقدر كبير من الموهبة. إنه فتي كهربائي. لقد كنت أقول دائماً: إنه لمن الممتع مشاهدة ميسي، وهو يلعب».

تقصد كما فعلت حين سجّل ليو هدفاً في مرمى منتخب المكسيك في أثناء بطولة كوبا أمريكا، ثم قلت: «عليهم حزم أمتعتهم والعودة إلى وطنهم. هذا ما يفعله العباقرة».

«وهل ما قلته آنذاك كان خاطئاً؟».

لسنا في حاجة إلى الإجابة عن سؤالك... لنتحدث عن عبقرى آخر هو مارادونا، شخص تعرفه جيداً، وقضيت معه أوقاتاً رائعة وأخرى عصيبة. هل يمكن مقارنة ميسي بصاحب القميص ذي الرقم (10)؛ أمر يفعله الجميع حالياً؟

«علينا أن ننتظر ونتريّث. لم يصبح ليو مثل مارادونا بعد، لقد بدأ مشواره تَوّاً، لم يُحدّد مسار حياته المهنية بعد، ما زال يلعب بالأسلوب نفسه. ولكن، لا حاجة إلى المقارنة بينهما؛ لأنّ الجميع يودّ لو يلعب مثل مارادونا منذ هذه اللحظة. تتوافر فيه جميع الصفات التي تؤهّله لكي يصبح أحد اللاعبين العظماء. ولكن، يتعيّن علينا أن ننتظر، فكلّ ما ينبغي له فعله الآن هو عمل ما يحبّ ويرغب؛ أي الاستمتاع بكرة القدم».

يقول ميسي حين يتحدث عنك: إنك تحمّلته منذ البداية، وإنك كنت دائماً تمنحه الفرصة للعب، ومنحته الكثير من الحرية...

«لميسي حرية التحرك كيفما شاء في الربع الأخير من الملعب، وحرية الإبداع أيضاً، واللعب بالطريقة التي يتقنها، والتحليق عالياً. التحليق عالياً هو أمر مهم بالنسبة إلى اللاعبين العظماء».





الفصل الثاني والثلاثون

برونز وفضة

السابع عشر من كانون الأول عام 2007م



لنتكلم بلغة الأرقام قليلاً:

- هدف واحد في ثماني مباريات في الموسم الأول مع الفريق الأول.
 - سبعة أهداف خلال (23) ظهوراً في موسم 2005م-2006م.
 - خمسة عشر هدفاً في (31) مباراة، ما بين الدوري المحلي ودوري أبطال أوروبا لموسم 2006م-2007م.
 - ثمانية أهداف في أول مباريات موسم 2007م-2008م.
 - واحد وعشرون هدفاً في (22) مباراة بعد تسجيل الهاتريك في مرمى ريال مدريد، في شهر آذار من عام 2007م.
- لكنّ هذه الأرقام لا تقي ليو جانباً من حقّه فيما يخصّ تطوّر قدراته ومهاراته وأسلوبه في اللعب.
- لنلقِ نظرة، إذن، على بعض عناوين الصحف التي تناولت هذا الموضوع بشيء من التفصيل:





ميسي

- إل بايبس: «ميسي يساوي الفريق بأكمله»، 20/9/2007م.
- ماركا: «ميسي يلعب دور المنقذ»، 23/9/2007م.
- إل موندو: «ميسي يفرض سيطرته»، 23/9/2007م.
- إل بيريودريكو: «ميسي الشجاع»، 27/9/2007م.
- لا فانغارديا: «استحق العرض الذي قدّمه ميسي ثمن تذكرة دخول الملعب»، 30/9/2007م.
- ماركا: «ميسي ملك الدوري»، 18/10/2007م.
- سبورت: «صعود لا يقاوم لميسي»، 9/10/2007م.
- موندو ديبورتيفو: «ميسي يرقص المامبو»، 9/10/2007م.
- أس: «ميسي يفعل ما فعله مارادونا من قبل»، 18/10/2007م.

الأمر لا يقتصر على عناوين كلّ صفحة تحتفل بلحظة مجد، أو بلقطة مليئة بالإلهام، «العبقرية والإلهام» من الأرجنتيني «الذي يحوّل كلّ ما يلمسه إلى ذهب»، بل تأتي التعليقات أيضاً؛ من: المدربين، والفرق المنافسة، وخبراء كرة القدم (إسبان كانوا، أم أرجنتينيين)، فضلاً عن توثيق بعض الدراسات انطلاقة الصاروخية.

يجري حديث هذه الأيام عن «لاعب كرة قدم بلا حدود»، وعن قدرته - بفعل طريقة تفكيره - على «المجازفة وتسيير المباراة كيفما شاء». هناك حديث آخر عن سرعته في الركض البالغة (5, 4) خطوات في الثانية؛ وهو رقم يفوق الرقم (4, 4) الخاص بـأسافا باول؛ العداء الجامايكي الذي حطّم الرقم القياسي العالمي في سباق (100) متر عندما حقّق زمنًا قدره (9, 74)



في أثناء المنافسات التي جرت في مدينة ريتي بإيطاليا، في التاسع من شهر أيلول عام 2007م. ودار نقاش عن مركز الجاذبية المتمركز في النصف الأسفل من جسمه، الأمر الذي يتيح له السيطرة على الكرة والانطلاق بها إلى الأمام بسهولة، فضلاً عن مقارنته بصاحب الرقم (10) (مارادونا) باستمرار.

لم يُظهر ديبغو أيّ معارضة لذلك في أثناء مقابلة له مع صحيفة ماركا؛ إذ قال ببساطة: «إذا قرّر ريكارد إبقاء ميسي على مقاعد البدلاء فسيرميّه (ريكارد) لابورتا خارجاً». أمّا مدرب ريال سرقسطة فقد قال ما يدور في خلد الجميع بعد هزيمة فريقه المؤلمة في كامب نو: «باستطاعة ميسي أن يصبح الأفضل في العالم».

من الملاحظ أنّ المديح أُعِدق على ميسي من كلّ صوب، في المدة الممتدة بين شهري أيلول وتشرين الثاني. ولأنّ موعد صدور أسماء المرشحين للفوز بجائزة الكرة الذهبية، التي تمنحها مجلة فرانس فوتبول، وجائزة أفضل لاعب في العالم، بات على الأبواب، فقد أصبحت الآمال والتوقّعات ظاهرة للعيان بصورة أكبر. وفي ذلك، كتبت صحيفة لافانغارديا: «ميسي خلف كاكا بفارق ضئيل. ميسي مرشّح لنيل الكرة الذهبية». أمّا صحيفة ماركا فأعلنت «أنّه مرشّح بفضل الأداء الذي قدّمه، والأهداف التي أحرزها؛ سواء مع البارسا، أو المنتخب الأرجنتيني». إنّها حملة متكاملة لمصلحة البرغوث، على الرغم من إدراك الجميع أنّ كاكا هو المرشّح الأبرز، وأنّ الجائزة في جيبه حتى قبل إعلان النتيجة.

على أيّ حال، من الأفضل شنّ الحملات، ومنح آمال الفتى الأرجنتيني دُفقة من المؤازرة. ففي أثناء عملية الانتظار تلك، نال ميسي جائزة برافو التي تمنحها مجلة غورين سبورتيفو الرياضية الإيطالية لأفضل لاعب في البطولات الأوروبية يقلّ عمره عن (21) عاماً.



ميسي

يُعدّ ميسي أول أرجنتيني وثالث لاعب من برشلونة - بعد غوارديولا ورونالدو- يفوز بتلك الجائزة. وفي الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني؛ أي بعدها بأسبوع، يرفع ريكاردو أيزكسون دوس سانتوس لتيته الملقّب بـ كاكا (لقب أطلقه عليه شقيقه) الكرة الذهبية؛ إذ حلّ ميسي في المركز الثالث، وفاز بالبرونز، حاصداً (255) صوتاً، في الوقت الذي جمع فيه كاكا نحو (444) صوتاً.

يشكر البرازيلي المنتمي إلى كنيسة ولادة المسيح، الربّ على نِعَمائه أن جعله قادراً على تكريس نفسه لهذه المهنة، ويرى أنّ فوز فريقه ميلان ببطولة دوري الأبطال، واحتلاله صدارة الهدّافين، هو ما رجّح كَفّته على منافسيه. أمّا بالنسبة إلى ليوفقد أثنى عليه قائلاً: «قدرته على التحكّم في الكرة مثيرة للإعجاب. إنّه صغير، ويمتلك كثيراً من المواهب، أعتقد أنّه بارع جداً».

الفرق بينهما بسيط بالنسبة إلى كاكا الذي صرّح قائلاً: «لم يفز ميسي بأيّ ألقاب مهمة هذا الموسم؛ لا في الدوري الإسباني، ولا في دوري أبطال أوروبا، أعتقد أنّ ذلك أثر كثيراً في حظوظه».

يتكرّر الموقف نفسه بعد ذلك بخمسة عشر يوماً، في حفل تقديم جائزة أفضل لاعب في العالم لعام 2007م. ولكنّ هناك فرقاً واحداً؛ فرقاً تسبّب في حنق أحد أفضل اللاعبين في العالم.

فاز كاكا بالذهب مرّة أخرى بعد حصوله على (1047) صوتاً، ليتوّج بذلك بوصفه أفضل لاعب في العالم لعام 2007م، ووفقاً للتصويت الذي قام به زملاؤه. في حين تقدّم ليو إلى المركز الثاني هذه المرّة بعد نيّله (504) أصوات، ليحوز الفضة، متفوّقاً على كريستيانو رونالدو الذي نال (426) صوتاً، واكتفى بالبرونز.





يُعَدُّ ما حدث في القاعة بعد ذلك أمرًا مسليًا؛ فقد أعلن المقدّم عن فوز ميسي بالمركز الثاني، ورونالدو بالمركز الثالث. ينهض كلاهما - في الوقت نفسه- من الصف الأول؛ استعدادًا للصعود على المسرح. يقوم ميسي بإقفال أزرار بزّته. إنّها المرّة الأولى التي يلبس فيها بزّة رسمية، ومن الواضح أنّه غير معتاد على هذا النوع من الملابس. يقدّم رئيس الفيفا جوزيف بلاتر الجوائز برفقة بيليه على مسرح الأوبرا بزيوريخ.

كان رونالدو أول مَنْ صافح الموجودين. أوماً إلى الملك (بيليه)، ثمّ تناول جائزة المركز الثاني من دون تردّد. اضطر بلاتر إلى الاقتراب منه، قائلاً: «ميسي، إنّها لميسي». كرّر المقدّم نتيجة التصويت، ثمّ طلب إليهما تبادل الجائزتين. كانت لحظة محرّجة حاول فيها المقدّم تلطيف الأجواء، قائلاً لكريستيانو رونالدو: «لقد أديت على نحوٍ طيب، لكنك لم توفّق».

يغيّر كلاهما موقعه؛ استعدادًا للصورة التذكارية، ويستمرّ الحفل دونما مشكلات.

وفي وقت لاحق، علّق ليو على الموضوع في مؤتمر صحفي، قائلاً: «قال بلاتر: إنّ تلك الجائزة كانت لي، فذهبت لأخذها. ولكن، تبين أنّها لكريسانو، والأخرى لي». ثمّ أجاب عن سؤال حيال شعوره، قائلاً: «في الواقع، إنّني أشعر بسعادة غامرة، لقد منحني هذه الجائزة كلّ مَنْ صوّت لي... قبل أن يحدث ما حدث، كنت أقول لنفسي إنّهُ لأمر رائع أنّني من الثلاثة الأوائل؛ لذا، فأنا سعيد جداً. لقد كانت أجواء جديدة بالنسبة إليّ؛ ما حفزني إلى أخذها على ما هي عليه، وجعلني أشعر بالفرح والسرور».

كان يُفترض أصلاً ألاّ يحضر ميسي الحفل؛ فقد هدّدت الإصابة التي تعرّض لها يوم السبت الذي سبق، في ملعب المستايا، إمكانية حضوره الحفل. لكنّ





هيسي

تقارير الأطباء كانت مبشرة، ما حدا ببعثة البرسا على حزم حقائبها والتوجه إلى زيورخ، بقيادة خوان لابورتا، الذي تسلّم بدوره جائزة الفيفا للعب النظيف، نيابة عن نادي برشلونة لكرة القدم. وسافر خورخي ورودريغو أيضًا برفقة ليو.

وجد الأب والأخ بعدها بيومين فسحة من الوقت للحديث عن رحلة زيورخ، والجوائز، وكثيرًا من الموضوعات التي تتعلّق بالبطل الذي يعرفانه حقّ المعرفة.

هل شعر بخيبة أمل بعد إخفاقه في الفوز بالذهب؟ يجيب خورخي في أثناء احتسائه الشاي، قائلاً: «إنّ مجرد إحراز ليو المركزين الثاني والثالث على مستوى العالم في سنّ العشرين، يعني أنّه أصبح من الآن أيقونة في كرة القدم. لا يزال أمامه متسع من الوقت لبلوغ المركز الأول إذا استمر على المنوال نفسه».

اصدقني القول، هل توقّعت أن يصل ابنك إلى هذا المستوى؟

«لا، لم أتخيّل قطّ أن يحقّق ما حقّقه. كنت أتوقّع نجاح رودريغو الذي كان مهاجمًا جيدًا. لقد ترعرع في نادي نيولز، ولعب لسينترال كوردوبا، وكان لاعبًا احتياطيًا في دوري الدرجة الأولى، لكنّه تعرّض لحادثة درّاجة ابتعد على إثرها عن الملاعب مدّة عام، ثمّ خضع لاختبار في تشيلي، ثمّ جلبته إلى هنا في محاولة لضمّه إلى فريق إسباني أو أوروبي».

وفي هذه الأثناء، يعلّق الأخ الأكبر موضّحًا الفرق بينه وبين شقيقه الصغير، قائلاً: «لدى ليو صفة لا أمتلكها، هي قوة العزيمة؛ فقد ضحّى بالكثير ليصل إلى ما وصل إليه. لا أمتلك عزيمة مثله. فأنا أميل إلى الكسل أكثر». - ولكن، من الذي زرع شغف حبّ كرة القدم في قلب ليو؟

يعترف خورخي بحقيقة هذا الأمر، قائلاً: «لم أكن أحد اللاعبين المهووسين بوصول أبنائهم إلى القمّة بأيّ ثمن. لم أكن ملهمه في ذلك؛ حماتي





هي التي كانت تصحب رودريغو وليو للعب، وليس أنا. صحيح أنني درّبتُه مدّة عام في ملعب غراندولي، لكنني لم أكن معلّمه. كنت أستمتع برؤيته يلعب فحسب».

من أين جاء شغفه بكرة القدم إذن؟

يجيب خورخي: «أحببت كرة القدم عندما كنت لاعبًا. كنت أصحو صباحًا، وأرقد مساءً وتفكيري منحصر فيها، ربّما ورث هذه الصفة عنّي».

ثمّ يشرح رودريغو ذلك الأمر بقوله: «عندما كان شقيقي في سنّ الخامسة أو السادسة، لم تكن هناك أيّ هدية قادرة على إدخال البهجة إلى قلبه ككرة القدم. لقد كان مهووسًا بكرة القدم شأنه في ذلك شأن الأولاد كافة. لكنّه عرف كيف يكون وفيًا لعشق الطفولة خاصته، وسعى إلى تحقيق حلمه. سعادته كانت - وما زالت - مرتبطة بكرة القدم».

بوصفك وكيل أعمال لابنك الآن، كيف ترى هذه الوظيفة بعد أن كنت

عاملاً في مصنع؟

«عليّ حمايته؛ حفاظًا على مصالحه من بعض الأطراف التي قد توقع به الأذى. هناك أناس يُظهرون لك الحبّ والتقدير لكسب ثقّتك، لكنهم يناصرونك العداء خفية. إنّ العالم مليء بأمثال هؤلاء. لم يكن الأمر سهلًا، كان عليّ التعلّم، وقد تخلّل ذلك الوقوع في بعض الأخطاء، لكنني تمكّنت شيئًا فشيئًا من معالجة القضايا العالقة جميعها».

كيف تنظر إليه بوصفك أبًا له؟

«إنّ العلاقة التي تربطني به جيدة، بصرف النظر عن فرق السنّ بيني وبينه الذي قد يوجد بعض الحواجز. أحاول منحه الحرية قدر المستطاع، فهو في حاجة إلى ذلك. أفضل أن أراه محاطًا بشباب من جيله كأشقائه وأصدقائه؛





هيسي

فأنا لا أريد لابني أن يعتقد أنني أضيِّق عليه. إذا احتاج إلى النصح فسأُسديه له، أحاول ألا أكون طرفاً في أيِّ موضوع. أقول له بعض الأشياء وأعتقد أنه يأخذ بها. وفيما يخص المال والعقود، فنحن لا نتحدث عنهما أبداً؛ فمعظم حديثنا ينصب على كرة القدم؛ سواء هنا، أو في الأرجنتين، وإننا نتحاور كالأصدقاء».

وكيف تجري الأمور معك أيها الشقيق الأكبر؟

يردُّ رودريغو بقوله: «لقد مكثت بجانب ليوفي سنواته الأولى هنا في برشلونة؛ سنوات لم تكن هيَّنة قطّ، كان الملل يخنقنا. كانت أوقاتاً يلفّها الحزن، نقضيها إمّا في متابعة الأفلام، وإمّا في لعب (البلاي ستيشن). ثمّ تغيّرت حياته شيئاً فشيئاً، ومعها تغيّرت حياتي أيضاً. فقد أصبح يحبّ الخروج لتناول الطعام بعد إنهائه العمل. أمّا بالنسبة إلى حياة السهر فقد نأى بنفسه عنها، وكان لا يحبّ الخروج كثيراً. كنت أحبّ قضاء الأوقات في الخارج، لكنّه كان يفضّل شرب شيء ما، وتجاذب أطراف الحديث. كان يقضي جُلّ وقته برفقتنا. يعتني كثيراً بابني الأكبر أوغستين ذي السنوات الخمس تقريباً، ويحبّ ابنتي الصغيرة التي وُلدت عام 2006م، وكذا الطعام الذي تُعدّه زوجتي فلورينسيا؛ سواء الدجاج المشوي، أو الإمباناداس التي تضاهي تلك التي تُعدّها والدتي».

في رأيك يا خورخي، هل أسهم ذلك المال كلّه في تحسين الأوضاع

المالية للاعب الكرة وعائلته؟

«لا، فنحن لا نعيش حياة مترفة، حتى إننا لم ننّه بعدُ بناء منزلنا في روزاريو. يمتلك ليوهنا في كاستيلديفيلز بيتاً على الشاطئ (شاليهاً) مكوّناً من طابقين يضمّان أربع غرف نوم، وحديقة، وبركة سباحة صغيرة. إننا نعيش حياتنا بالأسلوب نفسه الذي تعوّدناه من قبل، لكنّ الناس يظنون أننا تغيّرنا، مع أنّ الأمر خلاف ذلك؛ فهم في الواقع منّ تغيّروا. إنهم ينظرون إلينا نظرة





مختلفة... يحسدون صبيًا أصاب جانبًا من النجاح. باختصار، إننا نوّفر المال الذي يجنيه ليو؛ لكي يعينه والعائلة مستقبلاً».

وماذا بشأن مستقبله؟

«أعتقد أنّه سيكون على ما يرام؛ إذ سيعكف على تطوير مهاراته وقدراته، وسيصبح أفضل حتمًا».

هل يعني ذلك أنّه سيتفوّق، حتى على مارادونا؟

«كان ديبغولا لاعبًا فريدًا من نوعه. لكنّ ليو شخص آخر؛ فهو يعيش في زمن مختلف، أتمنى أن يقرب بأدائه من أداء صاحب الرقم (10)؛ سواء أكان ذلك من ناحية المزايا التكتيكية التي تمتع بها، أم النتائج التي حقّقها».





الفصل الثالث والثلاثون

يلعب بجسمه وعقله

حوار مع روبرتو بيرفومو الملقَّب بـ الماريסקال



يعرفه نذل مقهى لا بيلا وزبائنه حق المعرفة. يتوقّف بعضهم لتحيته وسؤاله عن رأيه بشأن الأحداث الجارية. يتمكّن ماريסקال (المارشال)؛ المدافع السابق لنادي ريفر بلايت، وريسينغ، وكروزيرو، الذي يُعدّ أحد أفضل المدافعين الذين أنجبتهم كرة القدم الأرجنتينية، ويعمل الآن معلّقاً واختصاصياً في علم النفس والاجتماع، يتمكّن أخيراً من الجلوس، واحتساء القهوة بعد الإدلاء برأيه في قضايا متنوعة.

تغطي الجدران صوراً لأبطال سباقات الدراجات، أمثال خوان مانويل فانغيو، وفريوليان غونزاليس، ومانويل غالفيز الذي كان يتردّد على المقهى الواقع قبالة مقبرة ريكوليتا الشهيرة ببوينوس آيرس في خمسينيات القرن المنصرم وستينياته. كانت تلك حقبة مختلفة. أمّا اليوم فالحديث ينصب على كرة القدم.

ما رأيك في ليونيل ميسي؟

«فنياً، يُعدّ ميسي أحد اللاعبين القلائل في العالم القادرين على التحكم في الكرة من دون النظر إليها، وذلك يمكنه من رؤية زملائه ولاعبى الخصم، فضلاً عن التميرير بصورة غير متوقّعة. يمكنه فعل ذلك لأنّه يكشف الملعب





ميسي

بالكامل. وهو يتمتع بقدر عالٍ من الدقة في أثناء الجري بأقصى سرعة. ويلعب بأسلوب مبدع؛ فهو لاعب خلاق، وكلّما حصل على الكرة، وواجه الخصم غداً الأمر بمنزلة تجربة... ينتظر الجميع حدوث شيء في تلك اللحظة، وهو ما يحدث فعلاً. وإنّه يمتلك تفكيراً جسدياً».

ما الذي تعنيه بذلك؟

«أقصد بذلك أنّه يلعب بجسمه وعقله في الوقت نفسه. إنّه يملك الموهبة ذاتها التي كان يتمتع بها كلّ من: بيليه، ومارادونا، ودي ستيفانو؛ فهو يمتلك سرعة يتحكّم فيها دماغه، الذي يوعز إلى قدميه بالسعي لما يجب عليهما فعله. تدور في خلد ميسي فكرة؛ وفجأة يحدث كلّ شيء. لقد فعلها من قبل. هل تعي ما أقصد؟ حين يحدّد المكان الذي يقف فيه حارس المرمى، فإنّه يسدّد بين الخشبات، بناءً على حدسه، وليس تفكيره».

لأنّك ذكرت مارادونا، فمن الطبيعي أن نسأل عن المقارنة التي كانت - وما زالت - تُعقد بين الاثنين باستمرار.

«لقد تطلّب الأمر من البرازيل (24) عامًا للفوز بكأس العالم بعد اعتزال بيليه. أمّا نحن فما زلنا نبكي على أطلال مارادونا. نأمل جميعًا بقدم منقذ، المخلّص الجديد هو ميسي، الذي سيعيدنا إلى القمّة من جديد. بإمكان ميسي عمل ذلك، لكنّه لا يزال في حاجة إلى بعض الوقت، يتعيّن عليه تنمية مواهبه وإعداد نفسه لتلك المرتبة، يتعيّن عليه أن يصبح ناضجًا كرويًا».

ما أبرز نقاط ضعفه؟

«يقع ميسي دائمًا في الخطأ نفسه الذي يرتكبه اللاعبون الشباب كافة؛ فهو لا يعرف بعد كيفية اتخاذ الخيار الصائب كلّ مرّة. يتعيّن عليك الجري





بالكرة تارة، والتمرير تارة أخرى؛ إذ من غير المجدي الإصرار على خيار واحد عندما لا يحالفك الحظ، وتعاوندك الأحداث، وقد يكون مناسبًا حينها اختيار الحل الأنجع والأبسط. سيدرك ميسي يومًا أنّ الكرة هي التي ينبغي أن تواصل الحركة... هذه أمور يمكن تعلّمها بالخبرة، وتقادم السنّ.

هل أصبح ميسي نجمًا فعلاً؟

«إنّه شخص بسيط ومتواضع جدًّا، الأطفال جميعًا معجبون به كثيرًا».

لماذا؟

«بسبب شكله وملامحه التي تذكّرنا بسنجاب الكويس (نوع من السناجب المشهورة في الأرجنتين). أضف إلى ذلك جاذبيته الطبيعية حينما تكون الكرة عند قدميه. أتمنى ألا يفقد هذا الشغف تجاه لعب كرة القدم؛ فتلك هي الطريقة الوحيدة لكي يصبح الأفضل في العالم».

لأنك واثق من توقعاتك... لننتقل للحديث عن المستقبل، وعن

الأخطار تحديدًا.

«أتمنى ألا يؤثر فيه المال؛ فهو يمتلك الملايين. ولكن، ما زال عليه الجري والتدرّب واللعب في أجواء باردة وماطرة ومثلجة. أتمنى ألا يصبح رمزًا تجاريًا مثل بيكام؛ فذلك يشكّل خطرًا على الشغف باللعبة. أتمنى ألا يفقد حبّه البقاء في الملعب؛ وهو حبّ حافظ عليه أشخاص رائعون، مثل بيليه ومارادونا. ولأنّه ميسي، فإنّ الأمر لن يكون سهلًا، بل سيكون بمنزلة صداع. لايزال - على أيّ حال - في بداية رحلة الصعود إلى القمة. تكمن الصعوبة في المحافظة على القمة بعد الوصول إليها. انظر إلى ما حصل لرونالدينو على سبيل المثال».





ماذا تعني؟

«كان خوان مانويل فانيجو يقول: «لا أحد يستطيع تحمّل الأوقات الصعبة عندما تحلّ. هذا هو بالضبط الحاصل مع رونالدينو. عندما تأخذ الأمور منحى خطأ تقول في نفسك: إنّ الأمور على ما يرام، وإنّك ستستعيد تألّقك. لكنك لا تعتني بنفسك، ولا تركّز، ويبدأ الناس بالتشكيك في قدراتك، البيئة المحيطة لا تساعدك؛ فأصدقاء البطل هم شرّ الأصدقاء. أمّا العائلة فقد تمثّل كارثة بحدّ ذاتها، فيستمر وضعك في التدهور، وتفقد القدرة على السيطرة عليه. يمضي الوقت وأنت لا تدرك حيثيات الموقف. إنّهُ درس يتعيّن على ميسي استيعابه جيداً، حين يصل إلى القمة.»





الفصل الرابع والثلاثون

رحلة طويلة للظفر بالذهب

الثاني والعشرون من أيار عام 2008م



«أنا متحمّس جدًّا لمشاركة المنتخب الأرجنتيني مبارياته، وكنت دائماً أُصرِّح أنني أحبُّ اللعب لمنتخب بلدي. إنّه المهرجان (الأولمبياد)... يحصل كلُّ لاعب على فرصة مثل هذه مرّة في العمر، هذا إن توافرت له، ألا توافقونني الرأي؟ قد أحصل على فرصة لأكون هناك، وفي حال نجحت فسيكون ذلك أمراً رائعاً. ولكن، ماذا سيحصل إذا تسبّب الموضوع في مشكلة مع النادي؟ لا أعتقد أنّه سيسبّب أيّ مشكلة. أعتقد أنّ النادي يتفهّم شعوري و... لن تكون هناك أيّ مشكلات».

تجاوز الوقت الواحدة والنصف بقليل من ظهيرة يوم خميس غائم. هناك جلبة في فندق هيسبيريا توير القريب من مطار إل برات في برشلونة؛ إذ يشهد اليوم أول تجمّع للمنتخب الأرجنتيني دون سنّ الثالثة والعشرين. إنّها بداية مفامرة أولمبية لفرقة سيرخيو باتيستا الملقّب بـإل تشيكو. تسود أجواء لمّ الشمل وفرحة اللقاء مجدّداً بين اللاعبين أنفسهم، وبينهم وبين المدربين، وكذا مع الصحفيين الذين تجمّعوا في بهو الفندق مدّة من الزمن على أمل الظفر بمقابلة.





ميسي

وجبة تدريبية أولى مرهقة، تبعها توجُّه اللاعبين بملابسهم البيضاء إلى قاعة الطعام، فمؤتمر صحفي في القاعة الضخمة. يُعدُّ هذا - نظرياً - تقديمًا للمباراة الودية التي ستجمع منتخب كاتالونيا بمنتخب الأرجنتين بعد يومين؛ أي في الرابع والعشرين من شهر أيار على ملعب كامب نو. تروِّج الإعلانات للمباراة بوصفها تحدّيًا يجمع بين نجمين شابين في البارسا؛ ليونيل ميسي من طرف، وبويان كيركيتش من طرف آخر.

لكن الفتى صاحب الستة عشر ربيعًا القادم من مدينة لينويلا لن يكون موجودًا على أرض الملعب. يفضّل مدرّب الفريق بييري غراتاكيوس عدم إقحام اللاعب لتجنّب المتاعب، خاصة أنّ بويان رفض دعوة المدرّب لويس أراغونيس الانضمام إلى المنتخب الإسباني المشارك في بطولة أمم أوروبا بداعي التعب.

ليو حاضر على أيّ حال، وهو البطل في حضرة جمع من الصحفيين، الكتالان والأرجنتينيين. يجلس تشيكو إلى جانبه مراقبًا الصحفيين وهم يضايقونه (ليو) بأسئلة عن الأحوال التي يمرّ بها نادي برشلونة، مثل: المدرّب الجديد، واحتمال مغادرة رونالدينو وديكو (زميلين مقرّبين له في الفريق) قبل أن يبدأ الحديث عن الأولمبياد. يتحدث ميسي بصراحة؛ فهو يريد الذهاب إلى بكين، ولا يعتقد أنّ تفويته مباراتي البارسا، المؤهلتين لدوري المجموعات في دوري الأبطال، ستؤثّر في الفريق (ستجرى مباراة الذهاب في الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر آب، في حين تقام مباراة الإياب في السادس والعشرين أو السابع والعشرين من الشهر نفسه، أمام فريق لم يعرف بعد). يؤكّد - خلافاً لما يقال - حقيقة أنّ: «برشلونة لا يعتمد عليه فقط للفوز في المباريات. فهم يسعون إلى تشكيل فريق يغلب على أفراد الطموح والإلهام للفوز بالألقاب جميعها، ولن يحصل ذلك أبدًا إذا كان الاعتماد فقط على لاعب بعينه». ميسي مقتنع أنّ النادي والجماهير سيتفهّمون قراره.



وفي واقع الأمر، فقد كانت تصريحات ليو مغايرة لواقع الحال؛ فتعليقات الحاضرين كافة تقول خلاف ذلك بوضوح؛ ففي الوقت الذي يبدو فيه أثر الارتياح جلياً على مُحيّي الصحفيين القادمين من بوينوس آيرس لقراره، وشعورهم بالسعادة لتصريحه عن حلمه الأولمبي، وتأكيده على رغبته الفوز بالميدالية الذهبية برفقة الإلبيسيستي، نرى الانزعاج بادياً على وجوه الصحفيين الكاتالان. لقد شهدوا موسمين سيئين للنادي. اندثرت الألقاب، وتبخّرت واحداً تلو الآخر، والفريق الذي بهر العالم في يوم من الأيام أصبح تائهاً في خلافات وتصريحات سخيفة في غرف الملابس.

النجوم خبت، بينما لم يظهر آخرون مثل رونالدينو على صفحات الجرائد منذ شهور. أُقيل المدرب فرانك ريكارد الذي أدار دفة الفريق خمس سنوات، وأُعلن عن رحيل النجوم الذين قادوا البلاوغرانا للفوز بدوري الأبطال والدوري الإسباني. باختصار، برشلونة - النادي والفريق - يمرّ بمرحلة حرجة يسودها عدم الاستقرار. من الصعب تقبُّل قرار ليو في أوقات مثل هذه. «ولكن، كيف لبرشلونة أن يشارك في المباريات المؤهلة لدوري الأبطال من دون ليو؟ من الذي يدفع له: البارسا أم الأرجنتين؟».

إنهم ينبشون موضوع احتمال توقيع ليو على «العقد الخرافي» الذي سيتقاضى بموجبه (8) ملايين يورو. وهناك المزيد: «ميسي هو اللاعب الذي يرغب البارسا ببناء فريق ناجح حوله، وهو يقول: «وداعاً» في أثناء ذهابه إلى الصين. ماذا لو أُصيب، كما تعرّض لذلك مرّتين في أثناء البطولة، مَنْ سيدفع؟».

يسمع هذا كلّه وغيره في ردهات فندق هيسبيريا. قلّة يحتملون فكرة أن يقوم اللاعب الذي يُنتظر أن يحمل الرقم عشرة (يتوقع الجميع أن يحصل على





ميسي

رقم رونالدينو في حال غادر هذا الأخير)، والذي كان الفريق في أمس الحاجة إليه عندما غاب أسايك بسبب الإصابة؛ بترك الفريق بهذا الشكل.

تكثر العناوين - في الصحف الكاتالونية- التي تتناول قضية ميسي في اليوم اللاحق. ولكن، يبدو أنّها تتفهّم موقف البرغوث. تذكّر معظم المقالات باللوائح المتبعة بوصفها ضرباً من الأمانة الصحفية. فتكتب صحيفة سبورت: «لا يحقّ للبارسا في حالة ميسي أن يرفض انضمامه إلى المنتخب لأنّه لم يبلغ الثالثة والعشرين بعد».

المسؤولون في النادي لا يتلقّون الرسالة، ولا نيّة لديهم لخسارة جهود ليوفي المباراتين المؤهلتين لدوري الأبطال. سرعان ما يراجعون القوانين لمعرفة ما إذا كان بإمكانهم تجنّب الخضوع لرغبات المنتخب الأرجنتيني. يعلن خورخي ميسي عقب اجتماعه - بعد أيام عدّة- بالسكرتير الفني للنادي تيكستي بيغيرستين، قائلاً: «سيفعل ليو ما هو مرغّم على فعله لكي يتجنّب العقوبة من كلا الجانبين».

معنى ذلك أنّ مسألة المشاركة في الأولمبياد لا تقتصر على قرار ابنه فقط. وفي حال وجد النادي الكاتالوني طريقة لمنعه من الذهاب، فعلى ميسي التسليم بفقدان حلمه الأولمبي.

تلك كانت مجرد بداية معركة جذب وشدّ بين الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم وبرشلونة، معركة ستستمر أكثر من شهرين. في تلك الأثناء، يغادر ميسي إلى الأرجنتين على عجل بعد لعب مباراة ودية أمام منتخب كاتالونيا (ألّ النصر فيها للمنتخب الأرجنتيني بعد الهدف المعتاد من لافيتزي).

كان كوكو بازيلي والمنتخب الأرجنتيني الأول في انتظاره. تضمّن برنامج المنتخب جولة مصغرة في الولايات المتحدة، ومباراتين ضمن التصفيات





المؤهلة لبطولة كأس العالم لعام 2010م. بدايةً، تمكّن المنتخب من تحقيق فوز مهم على المكسيك، أعقبه تعادل سلبي مع الولايات المتحدة على الملعب الخاص بفريق نيويورك. ثمّ جاء دور المباريات المهمة؛ مباراة المنتخب أمام الإكوادور على ملعب المونيمونتال، وأمام البرازيل على ملعب بيلوهورايزونتي ميرايو. كان أداء المنتخب الأرجنتيني متواضعاً، وتمخّض عن تعادلين بشقّ الأنفس.

انتهت التزامات ميسي مع المنتخب، وحن وقت العطلة والحملات الإعلانية والمباريات؛ كتلك التي ينظّمها رونالدينو في الثامن والعشرين من شهر آب على ملعب مونيمونتال دي ماتورين في فنزويلا، بوصفها مرحلة ثانية من المباريات التي تجمع أصدقاء ميسي بأصدقاء رونالدينو. أسفرت نتيجة المباراة عن التعادل (7-7)، ووداع للزمالة بين الاثنين.

إنّه الثاني من شهر تموز. يعلن سيرخيو بابتستا قائمة فريقه المكوّنة من ثمانية عشر لاعباً مدعوّين إلى المشاركة في الأولمبياد. ليو ميسي ضمن القائمة. قد يضع ذلك حدّاً للنزاع. يريد رئيس الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم خوليو غراندونا رؤيته هناك أيضاً. «ستستدعي الأرجنتين ميسي، وهو أمر متوافق مع لوائح الفيفا، التي تنصّ على ضرورة وجوده مع منتخب بلاده المشارك في أولمبياد بكين. لن يكون لديّ فريق من دون ميسي، وإذا لم يسمَح له بالقدوم، فسيشكّل ذلك سابقة تتذرّع بها الأندية الأخرى لعدم السماح للاعبها بالمشاركة مع منتخباتهم، وهو أمر لا نريد أن يحدث أيضاً. من المنطقي بالنسبة إليه أن يلعب للأرجنتين؛ فبرشلونة استفاد من خدماته طوال العام. إنّ عدد المنافسات التي يمكن لميسي أن يشارك فيها منتخب بلاده قليل جدّاً».





هيسي

كلام في الصميم، أليس كذلك؟ لكنّ برشلونة لا ينوي الاستسلام؛ إذ يصرّح بيغيرستين قائلاً: «لقد بحثنا في اللوائح، واجتمعنا مع الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم، وسيتم الالتزام بالقوانين في نهاية المطاف. إذا كانت اللوائح تصب في مصلحتنا فسيلعب ميسي في المباريات المؤهلة لدوري الأبطال».

يتجمّع فريق برشلونة في الخامس عشر من شهر تموز بقيادة بيب غوارديولا ودون رونالدينو؛ فكلّ ما يفصل البرازيلي عن اللعب لنادي ميلان، هو اجتياز الفحص الطبي. يتيح له هذا الانتقال اللعب في الأولمبياد؛ وذلك أمر كان البارسا قد رفضه بعدما تبين أنّ اللاعب تجاوز سنّ الثالثة والعشرين، وأنّ الفيضا لا تجبر الأندية على تسريح لاعبيها الذين تجاوزوا هذه السنّ. لكنّ نادي برلسكوني مستعد لتسريحه. لا بُدَّ أنّ لسان حال ليو يقول: «يا له من محظوظ!»، لأنّه لم يكن يعلم ما يخبّئه له القدر. تقول سيليا والدته: «يأبى النادي التحدث معه في هذه المسألة، فالمفاوضات تجري بين النادي والاتحاد الأرجنتيني. وليو لا يقول شيئاً، ولا يسأل عن أيّ شيء. إنّّه ينتظر الجواب النهائي وحسب».

في ذلك الوقت، يتوجّه ليو إلى مدينة سانت أندروز، حيث يقيم النادي معسكره استعداداً للموسم الجديد. يتعيّن على ليو أن يرافق المنتخب في رحلته إلى طوكيو بعدها بيومين؛ أي في الحادي والعشرين من شهر تموز؛ وذلك للمشاركة في المباراة الودية أمام منتخب اليابان، المزمع إقامتها في التاسع والعشرين من الشهر نفسه. لكنّ البارسا لم يعطِ الضوء الأخضر بعدُ.

اقترح بعضهم على الاتحاد الأرجنتيني تسريح ليو بعد انتهاء جولته في الولايات المتحدة، وعقب مباراة الذهاب من الدوري التمهيدي المؤهل لدوري الأبطال؛ بالطبع إذا كانت النتيجة مريحة. وهذا يعني غياب ليو عن مباريات





الدور الأول الثلاث في الأولمبياد. ولكن، إذا نجح الأرجنتين في تخطي عتبة الدور الأول، فسيكون بمقدوره المشاركة بدءاً بالدور ربع النهائي.

لم يحظ الاقتراح بإعجاب الاتحاد الأرجنتيني، فهم لا يمانعون مشاركة ميسي ناديه في الجولة الاستعدادية، ثم الانضمام إلى المنتخب من المباراة الأولى، ولا يتقبّلون فكرة الذهاب من دونه إلى الأولمبياد. إنهم يعتقدون (الاتحاد الأرجنتيني) أنّ البارسا لا يودّ الوقوف أمامهم، وأمام الفيفا، والأهم أمام اللاعب نفسه؛ إذ عبّر هذا الأخير - في أكثر من مناسبة - عن رغبته في المشاركة في الأولمبياد.

ينضم جوزيف بلاتر إلى هذه المعمة يوم الثالث والعشرين من شهر تموز؛ فيصرّح قائلاً: «لطالما كان تسريح اللاعبين الذين تقل أعمارهم عن (23) عاماً إجبارياً للأندية كلّها. ينطبق المبدأ نفسه على أولمبياد بكين 2008م أيضاً». ثمّ يضيف رئيس الفيفا قائلاً: «إنّ إعاقة مشاركة اللاعبين الذين تقل أعمارهم عن (23) عاماً في المرحلة النهائية من المنافسات، قد تفسّر على أنّها تعدّ على روح الأولمبياد». لكنّ هذا القرار ليس نهائياً؛ فبإمكان رابطة اللاعبين المحترفين رفض هذه الحجة؛ إذ «لا يوجد سبب قانوني لتسريح اللاعبين؛ فمسابقة كرة القدم للرجال في الأولمبياد غير مدرجة على أجندة الاتحاد الدولي في المدة الممتدة بين عامي 2008م-2012م، خلافاً لمسابقة كرة القدم للسيدات».

ميسي هو الوحيد المتأثر في هذا النزاع؛ فهو يشعر بالتوتر، ويتصرف على نحو «غريب قليلاً» كما صرّح زملاؤه في الفريق. حتى إنّه دخل في شجار مع رافاييل ماركيز بعد تدخّل خشن من هذا الأخير في أثناء المعسكر التدريبي للفريق في أسكتلندا. وقد اضطر بييب غوارديولا إلى التدخّل؛ بغية تلطيف





ميسي

الأجواء، فطلب من ليو المنفعل وضع حدًّا للأمر بصورة نهائية. كانت تلك حادثة عرضية وبسيطة، لكنّها أغضبت المدرب الجديد للبارسا. أخذ غوارديولا الفتى جانبًا، وتحدث إليه لمعرفة ما يزعجه، وسبب اضطرابه وانفعاله، وشعوره بالحزن. إنّه لا يودّ رؤيته على هذا الحال، وإنّما مشاهدته سعيدًا في لعب كرة القدم مع البارسا. يتطلّب الأمر كلمات قليلة لحمل ليو على الاعتراف. يقولها بصراحة: «أودّ الذهاب إلى بكين». يَعدُّه غوارديولا ببذل ما بوسعه. ثمّ يتخذ موقفًا حازمًا بعد مباراة فريقه الودّية أمام فريق نادي هيبيرنيان (انتهت لمصلحة البارسا بنتيجة (0-6)، وسجّل فيها البرغوث هدفًا رائعًا)؛ إذ صرّح أنّ «ليو هو مَنْ يعاني في النهاية تبعات تلك القصة. بقي أسبوعان أو ثلاثة، وما زالت التصريحات الصادرة من مختلف الأطراف متضاربة. يتعيّن على بلاتر مراجعة القوانين، وتقرير ما إذا كان ميسي سيبقى معنا، أو سيفادر إلى الأولمبياد».

يتطلّب الأمر من الفيفا ستة أيام أخرى لاتخاذ القرار على الرغم من المطالبات جميعها. وفي غضون ذلك، واجه البارسا فريق نادي دندي يونايتد في ثاني مبارياته الودّية، التي سجّل فيها ميسي ثلاثة أهداف. وقد صرّح رئيس نادي برشلونة خوان لابورتا حينها مؤكّدًا موقف ناديه، والتمسّك بالمقترح المقدّم للاتحاد الأرجنتيني، معلنًا أنّ برشلونة «سيلجأ إلى محكمة التحكيم الرياضي لأخذ مطالبه في الحسبان»، وذلك بعد القرار الصادر عن الفيفا.

تستمر معركة الجذب والشدّ هذه. بقي أقل من أسبوع على المباراة الأولى للأرجنتين في الأولمبياد، ولا أحد يعرف إذا كان ليو سيشارك أم لا. في حين تشغل المواقع الإلكترونية للصحف الإسبانية والأرجنتينية بإجراء عدد كبير من الاستفتاءات. فتسأل صحيفة كلارين قراءها:





هل يتعيّن على المنتخب الوطني انتظار ميسي؟

توحي إجابة القراء بالملل من هذا المسلسل الطويل، ثم تأتي الإجابة المدوية؛ إذ يجيب نحو (70%) من المشاركين بـ «لا»، في حين يظن (29%) منهم أنه يتعيّن الانتظار أكثر.

أمّا صحيفة إل بايس فتدّ من الطرف الآخر للمحيط بعدها بأيام، سائلة: ماذا يتعيّن على البارسا فعله حيال ميسي؟ هل ينبغي لهم تركه يشارك في الأولمبياد أم الإبقاء عليه للمشاركة في التصفيات المؤهلة لدوري الأبطال؟ رأى نحو (73%) من المشاركين أنّ على ميسي المشاركة في الأولمبياد.

يُسمّع صوت ميسي أول مرّة يوم الثلاثاء الموافق للثلاثين من شهر تموز. كان صمته المطبق قد أطلق العنان لمختلف أنواع الردود. فنجد غابرييل باتيستوتا - على سبيل المثال - يدافع عنه قائلاً: «التزامه الصمت هو عين العقل؛ فهو سيعاود اللعب مع البارسا والمنتخب الأرجنتيني بعد الأولمبياد». أمّا مارادونا فشنّ هجوماً عليه، قائلاً: «يتعيّن عليه اتخاذ القرار بنفسه. عليه أن يتحلّى بالرجولة في وقت مثل هذا. إنّها فرصة ممتازة لتطوير الذات. وفي كلتا الحالتين، سيجد البارسا في انتظاره. من أجل هذا منحوه القميص رقم (10)؛ لأنّهم يريدونه. فهم لم يمنحوه هذا الرقم لأنّه نجم سينمائي، بل لأنّه ظاهرة ولاعب عظيم».

وفي المقابل، نجد عائلته حائرة فيما يخصّ الطريق الذي يتعيّن عليه سلوكه؛ إذ يؤكّد خورخي ميسي ذلك، قائلاً: «نواجه حالة من تضارب المصالح، واللاعب عالق في المنتصف. إنهم يستخدمون ابني وقوداً في الحرب الدائرة بينهم. لا يصح التحامل على شاب في سنّ الحادية والعشرين بمثل هذه الصورة، فلا أحد يعلم عواقب ذلك. من الجنون الاعتقاد بأنّ عليه اتخاذ القرار. يتعيّن على المسؤولين عن هذا الأمر التوصل إلى اتفاق. نحن في حيرة من أمرنا».





ميسي

أخيراً، وقبل السفر إلى فلورنسا للعب مباراة ودية أمام فريق نادي فيورنتينا، يخرج ليو عن صمته، ويقول ما يدور في خلدته: «إذا قرّرت الفيفا أنه لا يُسمح لي بالذهاب فلن أذهب، وإذا كان عليّ الذهاب فسأذهب من دون انتظار لقرار محكمة التحكيم الرياضي؛ لأنّ انتظاري صدور القرار يعني تأخري كثيراً على المنتخب».

بعدها بساعات، تُقرّر الفيفا أنّ بإمكان ميسي الذهاب إلى الأولمبياد. ثمّ يصل تصريح من زيورخ مفاده: «حكم قاضي لجنة أوضاع اللاعبين سلم الأولو بوجود تسريح اللاعبين الذين تقل أعمارهم عن (23) عاماً؛ لإفساح المجال أمامهم للمشاركة في مسابقة كرة القدم للرجال في أولمبياد بكين».

يتلقّى المعسكر الأرجنتيني هذا النبأ بارتياح. فيصرّح سيرخيو باتيستا قائلاً: «من حسن الحظ أنّ القرار صبّ في مصلحتنا بعد الكثير من الأخذ والردّ». ثمّ يُعلّق بيب غوارديولا بعد مباراة البارسا أمام فيورنتينا التي انتهت لمصلحة الأول بنتيجة (1-3): «بإمكاننا تدبّر أمورنا من دون ميسي. لكنني لا أخفي عليكم اعتقادي أنّنا نكون أكثر قوة معه. إذا لم يعد إلينا فسنحاول جاهدين التأهل لدوري الأبطال، وإذا عاد فسيجد بابنا مفتوحاً على مصراعيه».

وفي المقابل، صدر ردّ مختلف عن المسؤولين في النادي الكاتالوني، الذين ما زالوا يصرون على موقفهم. لذا، فقد تقدّموا باستئناف إلى محكمة التحكيم الرياضي.

وفي خضم ذلك، غادر ميسي إلى الصين بدل مشاركة النادي جولته في الولايات المتحدة، حيث وعد ليو بالعودة في حال صبّ حكم المحكمة في مصلحة البارسا.





بدا على مُحَيَّا ليو - لدى وصوله شنغهاي في الأول من شهر آب - ارتياح كان قد افتقده منذ زمن. فنراه يضحك مع زملائه، ويتفاعل معهم في أثناء مشاركتهم تدريبات الفريق. ثم ينزل في غرفة مشتركة مع الكون أغويرو، تمامًا كما كان عليه الحال في بطولة كأس العالم للشباب عام 2005م. آلاف من أقراص ألعاب (البلاي ستيشن)، وصوت موسيقا الكومبيا (موسيقا شعبية كولومبية) يملأ الأجواء. لقد كان الاثنان منسجمين جدًا مع بعضهما بعضًا، ويشعران بالاسترخاء، يُفضِضَانِ عَمَّا يجول في خاطرهما، ويفعلان ما يحلو لهما. يشعر تشيكو بالارتياح. كانت أول مرّة يرى فيها ليو شخصيًا في أثناء مباراة الفريق مع منتخب كاتالونيا. لم تخض التشكيلة الكاملة كثيرًا من التدريبات، لكنّ الفرصة الآن متاحة له كي يبني الفريق. يفكّر بابتستا منذ مدة في الموقع الذي سيزج فيه ميسي. يشرح هذا الأمر قائلًا: «أريد أن يظلّ ميسي في الوسط مدة أطول، وألا يبقى على أطراف الملعب كما كان عليه الحال مع ناديه. أريد أن يمضي بالفريق قُدّمًا باللعب أمام ريكيلمي وخلف أغويرو».

في تلك الأثناء، يصرح البرغوث للصحافة عن حلمه، قائلًا: «بالنسبة إليّ وإلى اللاعبين كافة، سيكون من الرائع الحصول على اللقب؛ إذ جننا إلى هنا للظفر بالميدالية الذهبية. سنتعامل مع الموقف بتروٍّ على أمل النجاح». ثم أخذ يُفنّد الأخبار المتواترة عن وجود مشكلات بينه وبين ريكيلمي (صدرت شائعات قبل المباراة ضد البرازيل، ضمن تصفيات بطولة كأس العالم، تفيد بوجود مشكلات بين ميسي وصاحب الرقم (10)، ويصرّ على أنّ علاقته بريكيلمي كانت - ولا تزال - جيدة، لكنّ قلّة من الناس من يُصدّق مثل هذا الكلام. أمّا بخصوص اللغط الذي أخره عن الانضمام إلى صفوف المنتخب، فقال:





«لقد تفهّم بابتيستا وزملائي في الفريق الموقف، لم يكن لديهم أدنى مشكلة فيما يخصّ انتظاري. فعلت ما كان ينبغي لي فعله. أتمنى أن تكون المشكلة قد انتهت إلى غير رجعة». لكنّ ذلك لم يحصل.

تحكم المحكمة الرياضية لمصلحة البارسا في السادس من شهر آب؛ أي عشية أول مباراة في المجموعة الأولى أمام منتخب ساحل العاج. فقد أصدر المجلس قراراً بأنّ «دورة الألعاب الأولمبية غير مدرجة على الأجندة الرسمية لليفا، وأنّه لا يوجد قرار للجنة التنفيذية لليفا يُجبر الأندية على السماح للاعبين الذين تقل أعمارهم عن (23) عاماً بالانضمام إلى منتخبات بلدانهم في تلك البطولة». ومع ذلك، تدعو اللجنة الأطراف صاحبة العلاقة إلى «إيجاد حلّ منطقي ينصف اللاعبين الذين يودّون تمثيل بلادهم في الألعاب الأولمبية».

فماذا كانت ردّة فعل الأطراف؟ صدر أول ردّ فعل عن غراندونا الذي قال: «سيبقى ميسي مع المنتخب». ثمّ أكّد بابتيستا الأمر قائلاً: «ميسي سيلعب غداً».

ولكن، ماذا عن ليو؟ إنّه يأبى التعليق على القرار، ويبدو أنّه لا ينوي العودة على الرغم من الوعد الذي قطعه على نفسه.

يؤكد تشيكو هذا الأمر بقوله: «لقد قال لي: إنّه يرغب في البقاء برفقة الفريق، ويتمنى على النادي تفهم موقفه». لكنّ بيرغنستين يبدو أنّه غير متفهم لذلك: «رغبنا - مع الأخذ في الحسبان رغبة الجماهير - هي أن يكون ليو موجوداً مع ناديه». أمّا لابورتا المنتشي بالنصر القانوني الذي حقّقه ناديه فيأمر اللاعب بالعودة حالاً. وفي المقابل، يودّ غوارديولا الحديث مع اللاعب أولاً: «أريد سماعه أولاً قبل التوصل إلى قرار. لا يمكنني اتخاذ أيّ قرار قبل أن أستمع إليه». بعد ذلك، يجري اتصال هاتفية مطوّل بين نيويورك (حيث سيختتم البارسا جولته في الولايات المتحدة بمباراة أمام فريق نيويورك ريد بولز)



وشنغهاي. وفيه، يطلب ليومن غوارديولا البقاء في الصين، والمشاركة في الأولمبياد، إنَّها أمنية يتفهمها غوارديولا الحائز على الميدالية الذهبية برفقة المنتخب الإسباني عام 1992م. يُعدُّ بيب بإيجاد حلّ، وسرعان ما يفي بوعده؛ إذ ينجح (بيب) في إقناع بيغريستين ولابورتا، في اجتماع عُقد في فندق ريجيس الواقع على تقاطع الجادة الخامسة والشارع (53). فقد سُمح لميسي بالبقاء في بكين، ولكن بشرطين؛ أولهما: أن يتحمّل الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم تكاليف العلاج الطبي في حال أُصيب اللاعب. وهو أمر فرضه كلٌّ من نادي شالكه وفيردر بريمن الألمانيين لتحرير رافينها ودييغو اللذين واجها النزاع نفسه بين ناديهما والاتحاد البرازيلي. وثانيهما، الحصول على تعهد من غراندونا بعدم الطلب إلى ميسي الانضمام إلى المنتخب لخوض المباريات الودية خلال الموسم. كان غوارديولا هو مَنْ زَفَّ قرار برشلونة لميسي. فقد اتصل به من الطائرة قبل إقلاعها من نيويورك بدقائق، قائلاً: «ستبقى، استمتع بوقتك».

سوف تعود بعثة البارسا إلى برشلونة في السابع من شهر آب. ويتعيّن إصدار تصريح رسمي بشأن إيجاد حلّ لمشكلة ميسي، وهو إجراء يقع على عاتق بيغريستين وغوارديولا. يعلّق المدربُّ على ذلك، قائلاً: «لقد وجد نفسه في موقف صعب، وكان قد أبدى رغبة شخصية في البقاء مع النادي في أثناء المدة التحضيرية. ولكن، عقب وصوله إلى الصين، طلب إليّ شخصياً عدم دعوته إلى العودة. لاحظتُ الكثير من القلق في حديثه؛ فقد عانى ضغوطاً هائلة هو وعائلته. لاحظتُ عليه علامات تدل على عدم الارتياح حيال الوضع. لذا، لم يكن من الصائب إعادته. علماً بأنّ تفكيره مقصور على بكين. الآن، وبعد هذه الأحداث كلّها، فإنّ أفضل شيء بالنسبة إليه هو أن يلعب ويستمتع باللعب؛ أن يكون سعيداً، ويعود راضياً. يعلم مشجعو البارسا أنّ لدينا لاعباً خارقاً، وأنّه سيقدّم خدمات رائعة للفريق عند عودته، وأنّ الناس سيتفهمون موقفه».





ميسي

نزل ميسي إلى أرض الملعب لمواجهة منتخب ساحل العاج، مرتدياً القميص رقم (15). وسرعان ما يرى العالم مدى أهمية وجوده في الفريق المنافس بالأولمبياد. وقبل نهاية الشوط الأول بقليل، استلم تمريرة طويلة من ريكلمي، ثم أسرع من نسقه، وسدّد من عند نقطة الجزاء تقريباً، واضعاً الكرة في الشباك بمنتهى الخفّة والمهارة. بقي خمس دقائق على نهاية المباراة، والنتيجة تشير إلى التعادل بهدف لكل فريق (أحرز منتخب ساحل العاج التعادل بهدف من سيسي)، وفجأة، يتلقّى البرغوث ركلة ريكلمي الحرة على حافة منطقة الجزاء، ويسدّد، لكنّ الكرة ترتد من الحارس، ولا يجد لوتارو أكوستا - الذي كان قد ضَمِنَ تأهّل الفريق للأولمبياد - صعوبة في إيداعها المرمى، جاعلاً النتيجة (2-1).

يستبدل بابتيستا ميسي قبل ثوانٍ من النهاية، مانحاً الفرصة للجماهير الصينية لتحيته. كانت الجماهير قد أمضت المباراة في التصفيق له، وكذا الحال عندما ظهرت صورته على الشاشة العملاقة في الملعب قبل بدء المباراة، حيث بدأت بالهتاف: «ميسي، ميسي»، متناسية النشيد الوطني الأرجنتيني الذي كان يُذاع حينها.

يُعَدّ ميسي أحد أكثر الرياضيين شهرة في الصين. وإنّ المنتوجات التي يروّجها تُباع بصورة كبيرة؛ من القمصان إلى البيبي كولا، فضلاً عن رغبة الأطفال في أن يصبحوا مثله.

لندع جانباً الشهرة التي تزايدت بصورة كبيرة خلال الأولمبياد، إلى درجة جعلت منه أحد أشهر الرياضيين حسب تصنيف الفيفا، ولاعب كرة القدم المفضّل في الألعاب حسب تصويت مستخدمي موقع (mybestplayer) الإلكتروني، الذي يضم نخبة من الرياضيين، أمثال: ملك السباحة مايكل فيلبس، أو أسرع رجل في العالم يوسين بولت.



لنعد إلى المباراة؛ فخلف كواليس السؤال الذي تعرّض له غوارديولا بشأن لاعبيه المفضّلين، لمس الجميع شعور هذا المدربّ بالسعادة؛ لأنّ المشكلة قد حلّت. ثمّ حان دور ليو للكلام وشكر مدربّ الفريق، فقال: «لقد كان لاعباً فيما مضى. لذا، فهو ليس ببعيد عمّا يشعر به اللاعب في أوقات كتلك. لقد عرف أنّني أمرّ بأوقات عصيبة، فقام بمؤازرتي منذ لحظة وصوله البارسا، منذ أول يوم تحدثنا فيه. لقد تصرّف على نحو رائع، والحقيقة أنّني ممتنّ له جدّاً».

وبعد الانتهاء من معالجة هذا الموضوع بصورة نهائية، أخذ ميسي يتحدث عن البرازيل؛ منتخب صديقه رونالدينو، المرشح الآخر لنيل اللقب: «إذا وصلنا إلى النهائي سنواجه البرازيل، وحينئذٍ سيكون الأمر أكثر صعوبة؛ نظرًا إلى وجود روني ضمن الفريق. من الرائع دومًا الفوز في مباراة نهائية، ولكنّ الأروع هو الفوز على البرازيل». ولكن، قبل ذلك هناك أستراليا، المنافس القوي والعنيد الذي يجيد ألعاب الهواء، وسيسبّب لنا المتاعب، ستكون مباراة صعبة وشاقّة جدًّا».

وهذا ما كان فعلاً. فقد بقي على زمن المباراة - التي أقيمت على الملعب الأولمبي في شنغهاي - ربع ساعة والنتيجة ما زالت التعادل (0-0). وفي واقع الأمر، فقد كان أداء منتخب الأرجنتين أفضل منه في المباراة الأولى، على الأقلّ في الشوط الأول؛ إذ صنع لاعبه كثيرًا من الفرص، لكنّ الحارس الأسترالي فيديريتشني كان لها بالمرصاد. بعدها بثوانٍ عدّة، بدأت هجمة تبادل فيها ميسي وريكلمي الكرة، ثمّ أرسلها هذا الأخير نحو اليسار في اتجاه دي ماريا الذي رفعها إلى الوسط ليحوّلها لافيتزي إلى الشباك، مسجلاً هدف الانتصار.

بعد ذلك بيومين، وعلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية، نجح برشلونة - المحروم من خدمات ميسي - في تحقيق الفوز أيضاً. ولكن، بنتيجة (4-0) على فريق فيسلا كراكوفيا، في مباراة الذهاب من الدور المؤهّل لدوري





ميسي

أبطال أوروبا. وبدا، يتبخّر القلق الذي تملكّ البلاوغرانا. لنعد إلى الصين مرّة أخرى. فقد قفل المنتخب الأرجنتيني عائداً إلى القرية الأولمبية في بكين بعد ضمانه التأهل للدور ربع النهائي. وعلى الرغم من خلوّ الأجواء من الرفاهية التي اعتادها لاعبو كرة القدم، إلا أنّها كانت مليئة باللقاءات. يتذكّر أوسكار أوستاري ذلك، قائلاً: «كنا نتناول الطعام، فرأيناه يدخل، ثمّ وقف في الطابور للحصول على الطعام، ثمّ يجلس إلى الطاولة.

قال لنا: «مرحباً، أنا كوبي (براينت). تحدث إلينا بالإسبانية، فبحث عن ميسي، وتحدث إليه بعض الوقت. وفي هذه الأثناء، اغتصنا الفرصة للتقاط بعض الصور معه. وعندما أراد الرحيل، قام بحركة بيده كأنه ينزع قبعته، ونظر إلى ميسي مباشرة، قائلاً له: «أنت الأفضل يا ميسي». شعرنا بالرهبة جميعاً. ثمّ جاء نادال أيضاً. لا يمكنك التحرك بحرية حينما تكون برفقة ميسي؛ فالكلّ يستوقفك أينما ذهبت».

لا يقتصر الأمر في بكين على لقاء مشاهير من مختلف أنحاء العالم؛ فعلى الفريق الآن مواجهة منتخب صربيا.

يريح تشيكو ميسي، ويبقى ريكلمي وأغويرو على الدكّة للحفاظ عليهما، ويتيح المجال للاعبين البدلاء. أجرى تشيكو سبعة تغييرات على التشكيلة، لكنّ ذلك لم يمنعه من تحقيق الفوز بنتيجة (2-0)، بعدما سجّل لافيتزي بركلة جزاء، وبونانوتي بركلة حرّة مباشرة؛ وبدا، تكون الأرجنتين قد حققت تسعة انتصارات متتالية في الأولمبياد (محطّمة الرقم القياسي الذي كان بحوزة الأوروغواي مدة ثمانين عاماً)؛ لتستحقّ عن جدارة صدارة المجموعة. أمّا الخاسر الأوحّد فكان الستين ألف متفرّج الذين توافدوا على ملعب العمال بيكين لرؤية ميسي وهو يلعب. فقد أخذ هؤلاء يرّدون اسمه في أثناء الشوط الأول،



ثم تحوّل التشجيع إلى صافرات أستهجان للمنتخب الأرجنتيني، حينما أحسّوا أنّ البرغوث لن يلعب. وكان على المدرب في النهاية تبرير القرار الذي اتخذه بهذا الشأن: «يتعيّن على الشعب الصيني تفهّم أنّنا جنّنا هنا لتحقيق هدف، هو الظفر بالميدالية الذهبية. لم يكن ميسي هو الوحيد الذي لم يلعب اليوم؛ فريكيلمي وأغويرو وغاراي لم يشاركوا أيضًا. لقد وضعتُ مصلحة المنتخب العليا نصب عينيّ. من المؤسف أنّهم شعروا بالانزعاج. وأمل أن يسامحوني».

تجري المباراة المقبلة على ملعب العمّال بيكين أيضًا، هذه المرّة أمام هولندا، في السادس عشر من شهر آب. كان مارادونا موجودًا أيضًا على مقاعد المدرّجات، إنه يريد تشجيع منتخب بلاده، وتشجيع الكون أغويرو أيضًا؛ إذ إنّ هذا الأخير هو الصديق الحميم لابنة مارادونا جيانينا. لا مجال للخطأ إذن. فقد وعى ليو الأمر وطبّقه على أرض الواقع.

وهذا وصفُ صحيفة كلارين للأحداث: «كم أمنية سيحقّق هذا المارد في مباريات المنتخب الوطني؟ لو كان هناك ثلاث فقط كما في القصة الأصلية، لعانت فرقة بابتيستنا نقصًا حيال ما تحتاج إليه من هذا الساحر القادم من برشلونة، الذي أبدع مرّة أخرى اليوم، بعد أن سجّل هدفًا رائعًا، ومرّر تمريرة أروع، لينهي قصة حاولت هولندا إطالة أمدها بعدما كادت تخطف حلمها بالفوز بالذهب مرّة أخرى». ولكن، ما الذي فعله البرغوث هذه المرّة؟ لقد أنهى مباراة غاية في التعقيد؛ إذ راوغ مدافعًا، وتلاعب بحارس المرمى، تاركًا إيّاه في مهبّ الرياح، ثم سدّد الكرة في المرمى قبل أن ينجح أيّ من الهولنديين اليائسين في اعتراضه لتصبح النتيجة (0-1). بعددٍ، وفي الدقيقة الرابعة عشرة من الشوط الإضافي الأول، تمكّن دي ماريا من التنبؤ بمسار تسديدة قوية، فوضعها هذا الأخير زاحفة، ليؤمن فوزًا بنتيجة (1-2). ثم أخذت الأرجنتين تستعد لمواجهة البرازيل في نصف النهائي.





ميسي

إنه يمثل دربي الإبداع؛ النهائي المبكر المنتظر، والفرصة المثالية للانتقام بعدما حدث في آخر المواجهات التاريخية بين المنتخبين (الهزيمة في نهائي كوبا أمريكا عام 2008م التي أُقيمت في بيرو، والهزيمة في كأس القارات عام 2005م، والهزيمة في كوبا أمريكا عام 2007م في فنزويلا).

تواجه الأرجنتين (حاملة اللقب الأولمبي) المنتخب البرازيلي الذي لم يظفر بالذهب قطّ. إنها المباراة التي حلم بها ليو، مع أنه كان يتمنى أن تكون هذه المباراة في النهائي. لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب؛ إذ نجد مواجهة ثنائية بين ليو، ورونالدينو (صديقين وزميلين سابقين)، الموهوب الصغير في مواجهة الفائز السابق بالكرة الذهبية، الحاضر ضد الماضي، النجم الحالي ضد البطل الذي يسعى للنهوض من بين الرماد. القائمة تطول، والنقاش حول أيهما الأفضل مفتوح على مصراعيه. الكلّ يدلي برأيه. حتى الكون أغويرو أدلى بدلو، قائلاً: «ليونيل أفضل من رونالدينو حالياً. إنه أفضل لاعب في العالم».

يتجنّب ميسي التطرّق إلى الموضوع، لكنّه لا يتجنّب الإجابة عن سيل الأسئلة الموجهة إليه: «أنا لا أتوقّى. ولكن، تذكر يا روني: الذهب سيكون من نصيب الأرجنتين! حلمي هو حلم الفريق بأسره. سنفوز من أجل صديقي أوستاري (تعرّض أوسكار للإصابة في مباراة الفريق أمام منتخب هولندا، ولم يتمكن من الذود عن مرمى الإلبيسيلستي من ضربات منتخب البرازيل). ستكون مباراة شاقة، شأنها في ذلك شأن جميع المباريات التي جمعت الفريق بمنتخب البرازيل. الفريقان متعبان جداً بسبب الأشواط الإضافية التي لعباها في ربع النهائي. تملك البرازيل فريقاً خارقاً، لكنّ فريقنا قوي أيضاً».

يلعب كلا الفريقين لتحقيق الهدف نفسه؛ وهو الفوز بالذهب، وقد فاز فريقهم في آخر نهائي جمعنا. لا تزال ذكرى نهائي كوبا أمريكا عالقة في



ذهني. حان دورنا الآن...» وهذا ما كان فعلاً. ولكن، بطريقة لم تخطر على بال أحد؛ فقد سحقوا البرازيل وأذلّوها؛ إذ سجّل أغويرو هدفين، وساهم في صنع ثالث (تعرّض لعرقلة نال على إثرها ركلة جزاء حولها ريكلمي بنجاح)، واحتفل بذلك واضعاً إبهامه في فمه (دلالة على المولود الذي ينتظره وجيانينا)؛ كلّها دلالات على ضعف فريق دونغا، وتدهور مسيرة رونالدينو.

كُتبت صحيفة إل بايس في وصف هذا الأخير: «يُعَدّ البرازيلي اليوم لاعباً زائفاً، لا همّ له سوى التظاهر، وإجراء المحادثات المرحّة وغيرها من الحركات المشابهة، التي يسعى بها إلى الظهور على صفحات الجرائد، وكسب تصنيف الجماهير الحديثة العهد في كرة القدم. وعلى الرغم من محاولاته التغطية على انحدار أدائه فيما يخصّ العروض المسرحية، إلّا أنّ ما تبقى فيه من كرة القدم لا يكفي لتقديم أداء متميّز، إلّا عندما تصبح الكرة مثله؛ ميتة، إذ إنّها لا يزال قادراً على تنفيذ الركلات الحرّة».

هجوم شرس على اللاعب الذي كان الأفضل في العالم في يوم من الأيام. لكنّ الأكثر شراسة كان الصورة التي ظهرت عن طريق وسائل الإعلام حول العالم في اليوم المقبل: روني يرتدي قميصه الأصفر الذي يحمل الرقم (10)، وشارة القائد على ذراعه، يجد العزاء بحني رأسه بين ذراعي «شقيقه الأصغر» ميسي. يقف ليو على أطراف أصابعه مواسياً مثله الأعلى. تُظهر الصورة قدراً كبيراً من المحبّة، إلى جانب الكثير من السوداوية.

فاز ليو في المواجهة المنتظرة، مع أنّه لم يترك بصمة واضحة في اللقاء. إنّّه يشعر بالسعادة. وفي المقابل، فإنّ كلّ ما يخطر على بال روني هو الاختباء، والاختفاء عن وجه الأرض. وقد قال في وقت لاحق: «أنا حزين جداً». كانت تلك بالنسبة إليه فرصة كي يراه العالم مرّة أخرى، لكنّه فشل في اغتنامها. وعلى الجانب الآخر، كان ليو في طريقه للظفر بالذهب.





هيسي

تبدأ المباراة النهائية لمسابقة كرة القدم في تمام الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الثالث والعشرين من شهر آب (الواحدة صباحًا بتوقيت الأرجنتين)، على الملعب الوطني الملقَّب بعش الطائر في بكين. أمَّا الخصم فهو نيجيريا، كما كان عليه الحال في دورة أتلانتا عام 1996م، وبطولة كأس العالم للشباب في هولندا عام 2005م.

في النهائي الذي أُقيم على الأراضي الأمريكية، خطف نوانكو كانو الذهب لفريقه بعد المباراة التي فازت بها نيجيريا، وعدَّتْها فيفا واحدة من أفضل عشر مباريات في تاريخ الأولمبياد.

تأر الأرجنتينيون عام 2005م في هولندا. وكان حينها ليو هو البطل الذي تغلَّب على النسور الخُضْر بتسجيله ركلتي جزاء. يشارك الآن خمسة عشر لاعبًا (بمَن فيهم ميسي، والكون) من الذين اختيروا حينها. يتوقَّع مارادونا النتيجة، قائلاً: «سنفوز من دون أدنى شك». نتيجة (2-0) ستكون مثالية». لكن الأمر ليس سهلًا البتة.

كانت درجة الحرارة مرتفعة جدًا، لدرجة جعلت الحكم المجري فيكتور كاساي يطلب وقتًا مستقطعًا على غرار كرة السلَّة، وذلك عند الدقيقة الثلاثين؛ لإراحة اللاعبين. استراحة تكرَّرت في الشوط الثاني. الأرضية قاسية وجافة، والنسور الخُضْر ينتشرون في الملعب بشكل منظم.

كان ميسي وأغويرو وحيدَيْن في المقدِّمة، لا تؤثر خطواتهما الصغيرة ومراوغاتهما في اللاعبين النيجيريين العمالقة. ريكلمي ليس في أفضل حالاته. ولاعب الوسط غاغو والزعيم ماسكيرانو يبذلان كلَّ ما في وسعهما. المباراة سيئة وبائسة، مملَّة ومتعبة، إلى أن تحين الدقيقة السابعة والخمسون التي تشهد مناوشات بين لاعب أرجنتيني وآخر نيجيري، ترتد الكرة على إثرها





إلى منتصف الملعب، فيستحوذ عليها ميسي، ثم يمررها بدقة إلى العمق في اتجاه أنخل دي ماريا. ينطلق اللاعب السابق لروزاريو سنترال، والحالي لريال مدريد؛ فأكهة الدورة الأولمبية، إلى اليسار بحرية، ثم يصل إلى حافة منطقة الجراء، ويواجه الحارس فانزيكن الذي يخرج عن مرماه في محاولة يائسة. يرفع دي ماريا الكرة من فوق الحارس بحنان بقدمه اليسرى، مرسلًا إيّاها في هواء بكين الرطب. لا يسع الحارس النيجيري سوى النهوض، ومشاهدة الكرة تعانق الشباك، فيتسمّر في مكانه؛ لقد كانت تحفة فنية تستحق الذهب.

تعود الأرجنتين لتحلّ قمة المنصة بعد أن فعلت الأمر نفسه قبل أربع سنوات في أثينا. ميسي يحتفل بتحقيق حلمه متأبطًا ذراعي أغويرو. لقد تمكّن من ردّ الاعتراضات القانونية كلّها، وتحقيق نصر على كلّ من حاول حرمانه من حضور هذا المشهد الخرافي. فيصرّح بأعلى صوته، قائلاً: «بعد كلّ شيء قيل ونوقش، فقد كان أمرًا استحق أن آتي لأجله».





الفصل الخامس والثلاثون

سعادة

السابع والعشرون من أيار عام 2009م



بين جادة ليكسينغتون والجادة الخامسة، نشاهد سائق سيارة أجرة باكستانيًا يلَقَّب نفسه بهابي كابي، يشارك الزبائن فلسفته في الحياة: «عليك أن تكون سعيدًا لكي تتمكّن من جعل الناس سعداء. هناك تكمن السعادة»، يقولها مشيخًا بوجهه إلى الخلف ليوأجه الركّاب، مشيرًا بسبّابته نحو رأسه. «نعم، منوط بك جعل الآخرين والعالم أجمع سعداء». قد يكون ليو هو الآخر استشعر الأخبار الجيدة الواردة من خضم الضجة التي تتميز بها منطقة ميدتاون، والأكيد أنّ أسعد سنيّ حياته بدأت من هنا تحديدًا؛ في نيويورك، على تقاطع الجادة الخامسة والشارع الثالث والخمسين، في أحد أجنحة فندق سانت ريجيس، حين أقنع بيب غوارديولا كلاً من لابورتا وبيغيرنستين بالسماح لميسي بالبقاء في بكين؛ ما يعني الموافقة على مشاركة الأرجنتيني في الأولمبياد، الذي كان حافزه الأكبر ولا شكّ، كما شكّل ذلك بداية علاقة مميّزة بين البرغوث ومدربّ البلاوغرانا.

يقول خورخي ميسي: «بدأ كلّ شيء هناك في بكين بعد الفوز بالميدالية الذهبية. لقد أصبح أكثر سعادة ممّا مضى. نعم، لقد كان ذلك ما أراده بيب؛





هيسي

أن يحقق ليو حلمه. يُمرّر غوارديولا بالأمر، قائلاً: «لا أعرف حقاً... يبدو في قمة السعادة بالنسبة إليّ. أعتقد أننا نجحنا».

كان المدرب الشاب تنبّه فعلاً لتحقيقه أن تمكين البرغوث من جعل المعسكر الكاتالوني سعيداً يبدأ بجعل البرغوث نفسه سعيداً، وهو أمر تحقق ولا شك.

يؤكد المدير الرياضي للبارسا تكسيكي بيغريستين الأمر، قائلاً: «إذا ما زحك حين يراك، فهذا يعني أنه سعيد. أمّا إذا بدا أنه تجاهلك، وأشاح بنظره عنك، فاعلم أن هناك خطباً ما. ليو يمزح معي ومع كل من يراه منذ بداية العام». يصرّح زملاؤه في الفريق بالشيء عينه؛ إذ يقول تشافي: «إنه يلعب بأقصى مهاراته وقدراته عندما يكون سعيداً ومرتاحاً». ثمّ يضيف القائد بويول: «إنه في غاية السعادة، لكنني رأيتُه يغضب أيضاً. ليس لديك أدنى فكرة عن حاله عندما يفشل في تحقيق الفوز». لكن ذلك لم يحدث في أثناء موسم 2008م-2009م؛ إذ فاز فريق البارسا بكل بطولته: الدوري الإسباني، وكأس الملك، ودوري الأبطال، ليكون بذلك أول فريق إسباني يفوز بالثلاثية، فضلاً عن حصد لقب كأس السوبر الإسبانية، وكأس السوبر الأوروبية.

تمكّن ليو من جانبه، من تسجيل أكبر عدد من الأهداف في مسيرته الاحترافية (23 هدفاً في الدوري المحلي)، ما جعله رابع هدافي الدوري بعد ديبغو فورلان، وصامويل إيتو، وديفيد فيا. ولا ننسى تسجيله الهدف رقم (5000) في تاريخ النادي الكاتالوني في الدوري المحلي، حيث سجّله في مرمى ريسينغ في المباراة التي أقيمت في سانتاندير، في الأول من شهر شباط عام 2009م. لقد كان هدفه الثاني في المباراة، وقد ضمّن به انتصار البارسا. أعقب ذلك إحراز ستة أهداف في بطولة كأس الملك، محتلاً بذلك صدارة





هدّافي المسابقة، مع أنه لم يشارك إلا (542) دقيقة؛ أي بمعدل هدف كل (75) دقيقة، فضلاً عن هدفين في كأس السوبر الإسباني. سجّل أيضاً تسعة أهداف في دوري الأبطال، منصّباً نفسه هدّافاً للبطولة. لم يعانِ أيّ إصابة في أثناء الإحدى والخمسين مباراة التي خاضها خلال الموسم، وهو أمر جيد مقارنة بما عاناه في الموسميين المنصرمين. أضف إلى ذلك الإنجازات التي حقّقها على المستوى الشخصي؛ فقد اختاره مدربو الدوري الإسباني بوصفه أفضل لاعب أجنبي، متغلباً بذلك على فورلان، وداني ألفيش، وكانوتيه. واختاره مدربو الفرق التي وصلت إلى دور الستة عشر من دوري الأبطال في العام المنصرم بوصفه أفضل لاعب، وأفضل مهاجم في تلك البطولة، متقدّماً على كريستيانو رونالدو. صحيح أنّ الأداء الرائع الذي قدّمه الفريق قد ساعده على حصد تلك الجوائز، لكنّ ذلك لا يمنع الاعتراف أنّ أداء ميسي تطوّر بصورة كبيرة منذ أن ارتدى القميص رقم (10)، ونزع عنه ثوب الخجل؛ سواء في غرف تغيير الملابس، أو على أرض الملعب، كلّ ذلك بأسلوب غاية في التواضع. وفي ذلك يقول مدافع البارسا جيرارد بيكيه: «لم يتغيّر مَدّ قابلته عندما كنّا في الرابعة عشرة. لم يتصرّف يوماً على أساس أنه الأفضل، لكنّه لطالما عرف أنّنا جميعاً نعدّه الأفضل».

يعلّق ليوفي منندي غريمالدي في مونتي كارلو - متأنّقاً ببذلته وربطة العنق الغامقتين والقميص الأبيض، بعد اختياره أفضل لاعب في دوري الأبطال لموسم 2008م-2009م، قائلاً: «لقد كان عامّاً رائعاً. استمتعت به كثيراً». ثمّ أخذ يجيب مَنْ سألّه عن أفضل لحظاته، قائلاً: «كانت هناك الكثير من اللحظات الرائعة، من المستحيل اختيار واحدة بعينها».

لأنّ البطل حار في اختيار أفضل لحظاته، فسنحاول نحن تحديد ذلك:





الزمان: السابع والعشرون من شهر أيار عام 2009م.

المكان: الملعب الأولمبي في روما.

البطولة: نهائي دوري الأبطال.

الفريق: برشلونة في مواجهة مانشستر يونايتد.

ومع أنّ البرغوث قد حاز لقب دوري الأبطال، لكنه لا يشعر بذلك؛ فهو لم يشارك في المباراة التي جرت يوم السابع عشر من أيار عام 2006م، على ملعب سان دوني في باريس؛ إذ رفض الأطباء إعطائه الضوء الأخضر للمشاركة في تلك المباراة على الرغم من تأكيده مرارًا أنّه على ما يرام، وأنّ إصابة الفخذ التي كان يعانيها لا تؤلمه؛ ما اضطره إلى متابعة النهائي الذي جمع البارسا بأرسنال تيري هنري من المدرّجات. وفي أثناء لحظات الفرح والعناق والاحتفال، قاده انزعاجه للابتعاد إلى حجرة تغيير الملابس. وكان صديقه ديكور، ورونالدينوهما من أخرجاه من هناك، محاولين إقناعه أنّ النصر يشملهما أيضًا، لكنّ محاولتهما باءت بالفشل؛ فبالنسبة إليه، يتعيّن عليك أن تلعب كي تحسّ بلذة الانتصار ونشوته.

أمّا الآن فقد أصبح الوضع مختلفًا، وهو أمر يعيه ليويويستشعره؛ إذ كان عاملاً حاسماً في نجاح البارسا في الوصول إلى روما. لقد سجّل ثمانية أهداف جعلت منه هدّاف المسابقة، متقدّمًا بذلك على تيري هنري صاحب الأهداف الخمسة، وعلى بيرباتوف، وروني، وكريستيانو رونالدو، الذي سجّل كلّ منهم أربعة أهداف.

سجّل ميسي خمسة من أهدافه تلك في مرحلة المجموعات: اثنان في مرمى شاختر دونيتسك بأوكرانيا، مجيّرًا مباراة صعبة لمصلحة البلاوغرانا، وهدفان آخران في مرمى بازل؛ أحدهما في سويسرا في مباراة انتهت بفوز





ساحق للبارسا (0-5)، والآخر في كامب نو، وجاء آخرها في مرمى سيورتنغ لشبونة؛ إذ عانى الفريق البرتغالي الآلة التهديفية للبارسا، وخسر على أرضه بنتيجة (2-5). وسجّل ليو ثلاثة أهداف في مرحلة خروج المغلوب، جاءت جميعها في الديار: هدف في مرمى ليون في ربع النهائي، واثنان في مرمى بايرن ميونيخ؛ وهي تُعدّ أفضل مباريات البرغوث في الموسم.

وفي المقابل، لم يتمكّن ميسي من التسجيل في مباراة نصف النهائي أمام تشيلسي؛ وهي مباراة برز فيها أندرياس انيستا بوصفه بطلاً للفريق حينما سجّل هدفاً خيالياً في الدقيقة الثالثة والتسعين، لكنّ ليو كان هو مَنْ مرّر الكرة إلى صاحب القميص الذي يحمل الرقم (8)، ليسدّها هذا الأخير في المرمى. وبعد طول انتظار... وبعد العمل ليل نهار، أصبح لميسي دور قيادي في إدارة الفريق.

يضع النهائي حامل لقب الدوري الإسباني لموسم 2008م-2009م في مواجهة حامل لقب الدوري الإنجليزي في الموسم المنصرم. يضم الفريقان كثيراً من اللاعبين العظماء. وهذه تشكيلة الفريقين:

برشلونة: فالديز، بويول، توريه، بيكيه، سيلفينهو، بوسكيتس، تشافي، انيستا، ميسي، هنري، إيتو.

مانشستر يونايتد: فان دير سار، أوشيه، فيديتش، فيرديناند، إيفرا، بارك، أندرسون، كاريك، روني، غيغز، كريستيانو رونالدو.

يدخل السير أليكس فيرغسون النهائي متسلحاً بخبرات سنين طويلة، في مواجهة بيب غوارديولا؛ فأكهة الموسم الجديدة. إنها المباراة التي كان يحلم بها عشاق كرة القدم في أوروبا، فهي تضم أفضل تشكيلتين على الإطلاق، بين فريقين قدّما أفضل أداء في القارة.





هيسي

تعدّ هذه المباراة «الأهم في مسيرتي الكروية» كما أعلن ليو. قال ذلك قبل الصعود إلى الطائرة المتوجّهة إلى روما. إنّها المرّة الأولى التي يزور فيها المدينة الأبدية، لكنّه لا يقصدها للسياحة؛ فهو متوجّه إلى العاصمة الإيطالية واضعاً نُصْبَ عينيه الفوز، ولا شيء غيره. ومع ذلك، فقد صرّح قائلاً: «إنّهم حاملو اللقب. لذا، إذا كان هناك فريق مرشّح للفوز في مباراة كهذه – وليس هناك طبعاً – فهو فريقهم».

تروّج وسائل الإعلام للمباراة بوصفها نزالاً ثنائياً عظيماً بين كريستيانو رونالدو، وليو ميسي. ثمّ تستعرض هذه الوسائل الإحصائيات الخاصة بكلّ لاعب في دوري الأبطال، مؤكّدة أنّ مباراة روما ستقرّر الفائز بالكرة الذهبية. إنّها فرصة البرغوث للتغلّب على خصمه الذي فاز بالكرة الذهبية الخاصة بمجلة فرانس فوتبول (بفارق 165 صوتاً، في الثاني من شهر كانون الأول عام 2008م)، والذي أكّد أحقّيته بالقمّة بعد فوزه بجائزة أفضل لاعب في العالم، في الثاني عشر من شهر كانون الثاني عام 2009م. لكنّ ليو لا يوافق على تلك الفكرة، قائلاً: «سيكون ذلك قلة احترام وتقليلاً من شأن فريقين عظيمين يلعبان حالياً أفضل كرة قدم؛ فريقين يملكان لاعبين آخرين يمكنهم حسم المباراة». باختصار، لا توجد منافسة شخصية بينه وبين كريستيانو لتحديد أيّهما الأفضل: «أنا متأكّد أنّه يفكر في الطريقة نفسها؛ فالمهم هو الجوائز الجماعية التي سيفوز بها الفريق. وممّا لا شكّ فيه أنّ من يفوز في روما سيعدّ الأفضل في أوروبا».

كلام جميل، إلا أنّ كلا اللاعبين يعرف أنّه سيكون محطّ أنظار نصف سكّان العالم. ينشط رونالدو الذي لم يقدّم موسماً جيداً، لكنّه يتطلّع إلى إثبات أنّه ما زال الرقم الأول في العالم؛ فينشط على نحو واضح في بداية المباراة. ينمّذ ركلة حرّة من على بُعد (35) ياردة في الدقيقة الأولى من المباراة. يرجع





إلى الخلف خمس خطوات كالمعتاد، ثم يهز ساقه اليسرى، ويسدّد. يا لها من تسديدة رائعة! تلف الكرة، ثم تضرب صدر فيكتور فالديز الذي لم يتمكّن من السيطرة عليها. ينقذ بيكيه الموقف من أمام الكوري بارك جيه سونغ، فيبعد الكرة إلى ركنية. يضع كريستيانو يديه على رأسه دلالةً على الحسرة. لقد تمكّن صاحب القميص الأبيض ذو الرقم (7) من تقديم أداء متميّز قبل أن يحصل ميسي على أول لمساته للكرة (ثلاث تسديدات، وبطاقة صفراء لبيكيه الذي أوقفه بطريقة غير شرعية). بعد ذلك، تأتي أفضل إبداعات مانشستر يونايتد من عند قدمي كريستيانو، إلا أنّ ميسي لم يدخل بعد في أجواء المباراة. يلاحظ والده ذلك، فيقول معلّقاً: «لقد كان ليو خارج أجواء المباراة بعض الوقت، ولم نلاحظه إلا بعد إحراز الهدف الأول».

وفي واقع الأمر، فإنّ ليو لم يظهر إلا بعد تسع دقائق من تسجيل إيتو هدف السبق لبرشلونة. فقد أخذ يبتعد عن الجانب الأيمن، ويدخل منطقة الوسط، ثم أطلق تسديدة صاروخية شبه زاحفة من على بُعد (35) ياردة.

لعب ميسي كلاعب وسط متقدّم إضافي؛ لإجبار خطّ دفاع وسط مانشستر يونايتد على ترك مواقعه، وهو أمر علّق عليه فيرغسون لاحقاً بعد المباراة بقوله: «لقد فاجأنا، وصعب علينا مراقبته». يبدو هذا الأمر صحيحاً؛ فكلّما كانت الكرة بين قدمي الأرجنتيني، تمكّن من التسبّب في مشكلات لدفاع الفريق الإنجليزي.

بدأ البارسا بالسيطرة على المباراة، وتمكّن ميسي - مع أنّه ليس في أفضل حالاته - من غرلة لاعبي يونايتد مرّات عدّة، وأخذ مستوى أدائه يرتفع تدريجياً. كان الظهير الأيسر الفرنسي في نادي مانشستر يونايتد باتريس إيفرا - اللاعب الذي حسم لقاء الفريقين في شهر نيسان من عام 2008م (0-0 في





ميسي

مباراة الذهاب، و0-1 في مباراة الإياب) - قد تنبأ بالأمر: «ميسي متعطش للفوز بصورة أكبر من قبل، وقد أصبح الآن أفضل ممّا كان عليه قبل عام».

كان إيفرا مُحقّقاً فيما قال؛ فتمريرات ميسي دقيقة بنسبة 84%. وإنّ التقاطعات التي كان يقوم بها قريبة من درجة الكمال، حتى إنّها جعلت المخضرم رايان غيغز يقول: «لا يسمعك إلاّ أن تُذهّل عندما تراهم يلعبون». ثمّ تأتي الدقيقة السبعون؛ الدقيقة التي صعد فيها البرغوثُ القمّم الرومانية. ففي تلك اللحظة، أصبح اللاعب الأقصر (لا يهم أنّ طولهُ 1,69 متر فقط) هو اللاعب الأعظم.

إليك ما حدث:

استحوذ تشافي على الكرة المرتدة من الدفاعات الإنجليزية، فاتجه بها إلى منطقة الجزاء، ثمّ رفعها برأسه وأرسلها عرضية، ملتقّة بدقة وحنان.

وفي هذه الأثناء، أدار ميسي ظهره للمدافعين، ثمّ ارتقى إلى الأعلى كثيراً، وضرب الكرة برأسه نحو الاتجاه المعاكس لحارس المرمى، فأصبحت النتيجة (0-2).

التعليق: «عندما حصل تشافي على الكرة تسمّرتُ هناك؛ لعلمي أنّه سيرفعها. ثمّ لاحظتُ أنّ فان دير سار متقدّم عن مرماه قليلاً، فأرسلت الكرة هناك برأسي».

المشهد الحالي: ميسي ثابت في الهواء، لا يتحرّك، يحلّق عالياً، يميل إلى الخلف. الكرة مقوّسة، ويبدو أنّها ستخرج من فوق العارضة. في المقدمة، فان دير سار ببزّته الصفراء، يكتفي بمراقبة المشهد، فاغراً فاه، وتعلو وجهه نظرة رعب. كان قريباً جدّاً منه، نرى ريو فيرديناند، فاقدًا التركيز، ولا يملك شيئاً حيال قفزة البرغوث، مع أنّه أطول منه بعشرين سنتيمتراً.



المشهد السابق: راهن الكثيرون على أنّ البرغوث سي سجّل في النهائي، إلا أنّ وكلاء المراهنات لم يقدّموا هامش ربح كبير لهذا الأمر. ولم يتوقّع آخرون أنّ يسجّل بالرأس؛ فحتى تلك اللحظة كان قد سجّل بالرأس مرّتين فقط. كان ييب غوارديولا - الذي حمّس لاعبيه قبل المباراة بشريط فيديو مقتبس من فيلم المصارع (The Gladiator) - هو الوحيد الذي تتبأ بذلك.

ففي مؤتمر صحفي عُقدَ بمدينة سانتاندير في الأول من شهر شباط عام ٢٠٠٩م - قبل يوم واحد من مباراة الفريق أمام ريسينغ - سُئِلَ غوارديولا عمّا إذا كان ميسي يرغب في تسجيل أهداف أكثر بالرأس لينال لقب أفضل لاعب في العالم؟ فردّ المدرب المنحدر من مدينة سانت بيدرو قائلاً: «أنصحكم ألاّ تستفروه؛ لأنّه في يوم ما سيسجّل هدفاً رائعاً بالرأس ويُسكّتمكم جميعاً».

الفضول: «يعترف خورخي ميسي الذي كان يتابع المباراة من المدرجات برفقة زوجته سيليا وأبنائه وعائلاتهم: «أنا لم أشاهد هدف ابني. كنت أنظر إلى أسفل في تلك اللحظة، لا أدري ما إذا فعلت ذلك بسبب التوتر. لقد رأيت الهدف - فيما بعد - على التلفاز، وأصدّقك القول: إنني لم أشاهد ليو يقفز إلى هذا العلوّ في حياتي. ولكن، متى خلع حذاءه؟». ففي اللحظة التي عاد فيها ابنه إلى أرض الملعب من جديد - وقبل أن يُغمّر بأحضان زملائه في الفريق - قام بلقّة حاملاً حذاءه الأزرق الجديد؛ دلالة على ولائه لوطنه الأرجنتيني.

في تلك الأثناء، أخذت جماهير البارسا تهتف باسمه من مدرجات الملعب الأولمبي، وكان عددهم يناهز 20,000 شخص. وبعد انتهاء المباراة، كان غوارديولا؛ الرجل الذي أحسن معاملته دائماً، هو أول من حضنه. ولكن، ماذا عن الطرف الآخر في الصراع الثنائي؛ كريستيانو رونالدو؟ لقد ظهر في آخر أنفاس المباراة مرهقاً تعباً، وهو يتجادل مع روني، ثمّ تلقى بطاقة صفراء بعد





تعرّضه غير المبرّر لبيبول. وقد صرّح لاحقاً، بعد أن ارتدى بزّته على عجل، وشعور الانكسار يخيم على مُحبّاه: «لم تكن مباراة بيني وبين ميسي، وفريقه كان أفضل من فريقنا، وكذا الحال بالنسبة إليه؛ فقد سجّل هدفاً».

يقدم المهزوم فروض الطاعة للمنتصر. يشعر ليو بأنّ الكأس ملك له هذه المرّة. فأخذ يقبلها ويحضنها ويتباهى بها، ثمّ أخذها في جولة حول الملعب، واحتفل مع العائلة والأصدقاء حتى الثالثة من صباح اليوم اللاحق.

صرّح ميسي فيما بعد بالآتي: «أشعر بأنني أسعد رجل في العالم، يُخيّل إليّ أنني أعيش في حلم جميل، إنّه الانتصار الأهم في حياتي. أهديه إلى عائلتي، وإلى الأرجنتين. يستحق الفريق هذا اللقب بعد الجهود المضنية التي بذلها في هذا الموسم». يا له من جهد جبّار، تمخّض عنه كرة قدم رائعة وراقية أقرّت بها وسائل الإعلام في مختلف أنحاء العالم. وقد لوحظ أنّ أخبار ميسي تصدرت صفحات الصحف الأولى وعناوينها الرئيسية. فقد عنونت صحيفة كوريري ديللو سبورت الصادرة في روما صفحتها الرئيسية بجملة: «ميسي، ملك أوروبا». ثمّ كتبت صحيفة غازيتا ديللو سبورت بخطّ بارز: «سوبر ميسي». وتصدّر صحيفة ناسيون الصادرة في بوينوس آيرس العنوان الآتي: «ميسي وبرشلونة على قمّة هرم العالم». أمّا صحيفة أوليه الرياضية الصادرة في بوينوس آيرس أيضاً فنشرت صورة لميسي حاملاً الكأس، وكتبت أسفل منها: «لا تطلبوا إليّ ضربها برأسي». في حين كتبت صحيفة ذا تايمز: «اليونانيتد ليسوا بحجم ميسي الرائع»، مُذيّلة العنوان بصورة مشابهة لتلك التي نشرتها صحيفة إل بايسس: ميسي مبتسم، يشير بيديه إلى السماء، وتعنون «ميسي هو الأفضل». كلام لا يجادل فيه أحد.

وهذا مشهد آخر يُظهر مشاعر الفرح الغامر التي خالجت نفس ميسي في أثناء مسيرته الكروية.





اليوم الحاسم هو الثاني من شهر أيار عام 2009م، والمكان هو ملعب البرنابيو في مدريد، حيث الجولة الرابعة والثلاثون من الدوري الإسباني؛ ريال مدريد في مواجهة برشلونة.

لا مجال هنا للمقارنات، فنحن أمام عالمين مختلفين، وطريقتين متباينتين في التعاطي مع كرة القدم. ولكن، حين يلتقي هذان الفريقان وجهًا لوجه، يصبح موقعهما على السلم الترتيب أمرًا ليس ذا أهمية، ولا تؤخذ سلسلة الانتصارات المتتالية التي حققتها أحدهما في الحسبان.

تتجلى الحقيقة الرقمية القاسية على أرضية ملعب البرنابيو؛ ستة أهداف مقابل هدفين، لم يحدث مثل هذا الأمر من قبل قط. كان ذلك أكبر إذلال في تاريخ الفريق الأبيض؛ فالبلاوغرانا لم يتمكن قبل ذلك من تسجيل ستة أهداف على ملعب البرنابيو. كانت أقرب نتيجة إلى ذلك هي (0-5) في المباراة التي خاضها الفريق عام 1974م بقيادة يوهان كرويف. تخيل أنه قبل تلك الليلة الحارة في مدريد، اعتقد مدربّ البلاנקوس خواندي راموس ولاعبوه أنّ بإمكانهم الفوز في المباراة. كانوا يبنون تذليل الفارق النقطي الذي يفصلهم عن البارسا إلى نقطة واحدة، ولعب المباريات الأربع المتبقية من عمر الدوري بمنتهى السعادة والارتياح. لديهم إذن أسباب تدعوهم إلى التفاؤل؛ فقد أدوا على نحوٍ ممتاز منذ تعرّضهم للهزيمة بهدفين في كامب نو، في الثالث عشر من شهر كانون الأول عام 2008م (0-2؛ هدف لإيتو، وآخر لميسي دون شك)، ما جعل الفارق حينها يتسع بين الطرفين إلى (12) نقطة.

حقّق الفريق الأبيض رقمًا قياسيًا بحصده (52) نقطة من أصل (54) ممكنة؛ إذ لعب (18) مباراة من دون هزيمة، على الرغم من الأزمة الداخلية التي كان يعانيها، وأدّت إلى إعفاء رئيس النادي رامون كالديرون من منصبه.





هيسي

إذن، لديهم سبب يدعوهم إلى التفاؤل فيما يخصّ الدوري المحلي، خلافاً لوضعهم في دوري الأبطال (يخرج الفريق من دوري الستة عشر بعد الهزيمة القاسية (0-5) على يد ليفربول الذي يقوده رافاييل بينيتيز). صحيح أنّ التشكيلة التي يتمتع بها البارسا، إلى جانب ميسي - صاحب الحادي والعشرين هدفاً في الدوري حتى الآن - كفيلة ببثّ الرعب في نفس أيّ منافس. ولكن، حين يسأل المدير الفني لريال مدريد عمّا إذا كان سيطبّق خطة المدربّ تشيلسي غوس هيدنيك (التي طبّقها في مباراة ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال)، يصرّ قائلاً: «ليست لديّ خطة لإيقاف ميسي تحديداً، فذلك لا يضمن لنا الفوز. علينا محاولة إفساد الأسلوب الذي يلعب به برشلونة، وبذل ما في وسعنا بوصفنا فريقاً».

عمل جماعي أثمر في أول ثلاث عشرة دقيقة من المباراة؛ بهدف سجّله غونزالو هويغواين، مانحاً فريقه قصب السبق. لكنّ الموقف لا يعدو كونه مجرد وهم؛ فالفارق بين الفريقين شاسع؛ لأنّ لاعبي البارسا يقطرون كرة قدم من كلّ حدب وصوب. إنهم يقدمون كرة قدم تمتاز بالجمال في أنقى صورته، وبمهارة اللعب الراقية في أبهى حُلّها. فهم يلعبون بأسلوب سهل ممتع، يتخلّله تمريرات دقيقة وانسيابية تُشعر الناظر أنّه يتابع حصة تدريبية، لا مباراة. لقد استطاعوا النّيل من الفريق الأبيض.

تنتقل الكرة البيضاء فوق العشب الأخضر بين أقدام اللاعبين بكلّ سهولة، خذ وهات، حتى تصل لاعباً يحوّلها إلى فكرة؛ إلى شيء سحري، أو إلى مشروع هدف ببساطة. فعل ميسي ذلك - على سبيل المثال - حين رفع الكرة بخفّة من فوق سيرخيوراموس الذي حاول قطعها من دون جدوى، لتحتط مباشرة على قدم هنري، الذي وضعها بمهارة وإبداع في مرمى كاسياس محرّزاً هدفاً. عجباً، كيف سيكون حال ريال مدريد من دون إيكير؟ تهتمر التسديدات من كلّ جهة، تسديدات لا تُحصى. إنّه كابوس بحقّ يؤرّق حارس الريال. يضيّع





رجال غوارديولا الفرص تبعاً؛ سواء بداعي الأنانية، كما في حالة ميسي الذي يتوق إلى هزّ مرمى الريال (لم يتمكّن من التسجيل في البرنايوو خلال زيارته الثلاث السابقة)، متجاهلاً زملاءه المتملّصين من الرقابة؛ أو بسبب الكرم الزائد على الحدّ، كما في حالة انيستا صاحب الحذاء الأصفر، الذي لعب كرة ثنائية مع البرغوث من منتصف الملعب، لكنّه لم ينهِ الهجمة، وأثر إعادة الكرة إلى هذا الأخير الذي سدّها من مكان قريب، لكنّ كاسياس كان لها بالمرصاد. على أيّ حال، تمكّن الفريق من تسجيل ثلاثة أهداف في الشوط الأول. فبعد الهدف الأول من هنري، أضاف قائد الفريق بويول الهدف الثاني، ثمّ أنهى ليو الشوط الأول بهدف على الأراضي المدريدية طال انتظاره؛ إذ خطف نجم الأمسية تشافي الكرة من لاسانا ديارا في منتصف الملعب، ثمّ مرّها إلى ليو الذي سدّها في المرمى.

عمّ الصمت أرجاء ملعب البرنايوو، وأمسى طعم الشطائر التي اعتاد المشجعون تناولها بين الشوطين مرّاً. بعد استئناف اللعب في الشوط الثاني، لاحظ الجميع على لاعبي غوارديولا عدم رغبتهم في القسوة على خصمهم المشهور. فعاد المطاردون مؤقّتاً بهدف من رأسية راموس بعد ركلة حرّة نفذها روبين، مقلّصاً الفارق. لكنّ هذا الأمر لم يدّم سوى بضع دقائق؛ فلاعبو البارسا يسيطرون على المباراة كما يحلو لهم. تسجّل الأهداف نفسها بنفسها؛ فتشافي «الطبيب» يصنع تمريرات غاية في الروعة، وانيستا يشنّ الهجمة تلو الأخرى، وهنري يتلاعب براموس مسجّلاً هدفه الثاني، وميسي مثل الشبح الذي يظهر في مختلف أرجاء الملعب، في كلّ مكان لا يتوقّع رؤيته فيه. حتى كاسياس كان لا يتوقّع رؤيته، ووجد نفسه طريح الأرض فيما الكرة تعانق الشباك. أصبحت النتيجة (2-5)، وميسي يجري نحو آلات التصوير رافعاً قميصه بين أسنانه ليظهر قميص آخر مرسوم تحته وردة، مع عبارة «متلازمة إكس الهش».





ميسي

كان ميسي قد بدأ منذ مدّة تعاوناً مع منظمة كاتالونية تُعنى بمساعدة العائلات التي لديها أطفال يعانون متلازمة هشاشة الكروموسوم إكس، التي تُعرّف أيضاً بمتلازمة مارتن- بيل؛ إنّها خلل جيني وراثي قد يسبّب صعوبات خطيرة، بدءاً بمشكلات التعلّم، وانتهاءً بتراجع القدرة على الاستيعاب العقلي. يصيب هذا المرض واحداً من كلّ أربعة آلاف صبي، وواحدة من كلّ ستة آلاف فتاة، وإنّ واحدة من كلّ مئتين وخمسين امرأة تحمل جين المرض من دون أن يبدو عليها علاماته.

لم تكن تلك أول مرّة يساعد فيها ميسي هذه المنظمة؛ فقد رعى عام 2008م كتاب «تسع وثلاثون قصة من التضامن في الرياضة»، الذي ألفه صحفيون كاتالان، ورسدوا ريعه للمنظمة. لكنّ لفظة التضامن تلك، والإهداء الذي أعقبه الهدف سيّشاهد في مختلف أرجاء العالم، لافتاً أنظار الملايين إلى المشكلة الجينية التي يلفّها الإهمال. إنّهُ مثال واقعي على كيفية استثمار كرة تعانق الشباك في خدمة هدف يتعدّى نتيجة مباراة في كرة القدم.

لنعد إلى المباراة التي لم يسبق لها مثيل؛ فالبارسا لا يزال يواصل الهجوم، وخير مثال على ذلك هو جيرارد بيكيه الذي يؤدي أداءً ملوكياً في الخطّ الخلفي - أداء خالٍ من الأخطاء تماماً -، ويتمكّن من إضافة الهدف السادس؛ هدف يفرق الملعب في حزن عميق. لقد تحطّمت آمال الريال بالفوز ببطولة الدوري. ولن يتمكّن أحد الآن من إزعاج البارسا الذي اعتلى قمّة الهرم؛ فالفارق أضحى سبع نقاط بينه وبين أقرب مطارديه. ومن الراجح أنّ أحداً لن يمكنه الإطاحة بهم من هذه القمّة، حتى لو كانت نتيجة تلك المباراة مختلفة. ولكن، ما يميّز هذه المباراة هو تذكيرها بالعروض التي يقدمها ليو ميسي إلى جانب فرقة غوارديولا طوال الموسم؛ سواء على الصعيد المحلي أو الأوروبي.



وبذا، يُقفل فصل مُظلم من فصول كتاب ريال مدريد، ويتعيّن على عشاق البيلانكوس الآن انتظار الانتخابات لجلب رئيس جديد للنادي، أو حتى ما هو أفضل من ذلك؛ والحديث هنا عن المنقذ فلورينتو بيريث، الذي سيشفل ملايينه لإعادة بناء فريقه الضعيف، الذي كان حتى تلك اللحظة حامل اللقب. ولكن، هناك أمر آخر جَلَل؛ فنتيجة (2-6) تحمل طعم الانتقام.

ففي آخر زيارة للبلالوغرانا إلى البرنايو في السابع من شهر أيار عام 2008م، وقف لابعوه صفيين لتشكل ممر يؤدي إلى الملعب؛ تكريماً لريال مدريد الذي كان قد ضمن لقب الدوري سلفاً. كانت مباراة مليئة بالمعاناة للبارسا، وانتهت بخسارة مدوية بنتيجة (1-4)، وإذلال مزدوج للكتالان.

وكان ميسي قد صرّح لصحيفة غازيتا ديللو سبورت قبل المباراة، قائلاً: «قلنا قبل المباراة: إننا لا نسعى إلى الانتقام بسبب اصطفاقتنا في السنة الماضية. ولكن، من الواضح أننا عانينا غصّة في حلقنا، كان مردّها النتيجة والطريقة التي خسرنّا بها، لا الاصطفاق الذي قمنا به... لقد نزعنا الشوكة بطريقة رائعة». مشهد ثالث آخر يشير إلى مظاهر البهجة والسرور التي راودت أحاسيس ميسي ومشاعره في غمرة تألقه، وذبوع صيته.

كان ذلك في الثالث عشر من شهر أيار عام 2009م، حيث واجه برشلونة أتليتيكو بلباو على ملعب مستايا بفلنسيا، في نهائي بطولة كأس الملك. تُرَفَع لافتة صفراء مكتوب عليها عبارة «ميسي هو الملك»، وذلك عند زاوية الملعب، حيث يجلس أنصار البارسا.

لا تحمل هذه اللافتة أيّ إساءة إلى ملك إسبانيا خوان كارلوس، الذي حرص على متابعة المباراة من على المدرجات. فقد كانت جماهير البارسا



ميسي

محقة؛ إذ تُوجَّح ليو ملكًا للملعب في أول نهائي يلعبه منذ مشاركته الفريق الأول للبلالوغرانا. فهو يلعب ويصنع الفرص، ويسجّل الأهداف ويصنعها. لقد أدى على نحوٍ مغاير لما فعله دييغو مارادونا قبل خمسة وعشرين عامًا؛ أي في الخامس من أيار عام 1984م، في نهائي مشابه جمعه بأتلتيكو بلباو. فعند صافرة النهاية آنذاك (كانت المباراة قد انتهت بفوز أسود بلباو بنتيجة (0-1) بفضل هدف سجّله إنديكو)، وجّه مارادونا ركلة إلى سولا ما أدى إلى نشوب شجار كبير على أرضية ملعب البرنابيو. شارك جميع اللاعبين تقريبًا في تلك المعركة. أراد مارادونا - كانت تلك مبارياته الأخيرة مع البارسا قبل الانتقال إلى نابولي - الانتقام من مدافع بلباو إندوني غويكوتشيا الذي تسبّب في كسر قدمه قبلها بتسعة أشهر. وقد أسفر هذا الشجار عن حرمان ستة لاعبين مدّة ثلاثة أشهر. كان الفتى الذهبي، وقتئذٍ، في سنّ الرابعة والعشرين، في حين لم تتجاوز سنّ البرغوث الآن واحدًا وعشرين عامًا. ومع ذلك، فقد بدأ أكثر نضجًا من مارادونا؛ إذ لا تظهر على مَحْيَاه علامات العصبية، ويشكّل مع تشافي محور لعب البلالوغرانا.

لقد صنع ثلاثة من أهداف البارسا الأربعة التي وضعت حدًّا لأحلام بلباو في الفوز بالكأس للمرّة الرابعة والعشرين. يتقدّم الباسكيون في النتيجة، ويقاومون بكلّ كبرياء حتى الشوط الثاني، حيث ظهر ميسي في الوقت المناسب. فقد مرّر ليو تمريرة سحرية إلى الكامبروني إيتو الذي سدّد بقوة، لكنّ الحارس غوركا إيرايثوث تمكّن من صدها، فترتد الكرة ليستحوذ عليها صاحب الرقم (10) بكل هدوء، ويسجّل هدفًا. أصبحت النتيجة الآن (1-2)، بعد هدف الجسم. وفي هذه الأثناء، واصل البرغوث تقديم عروضه الرائعة: تمريرة دقيقة صوب بويان الذي ينهيها في الشباك على طريقة الكبار، مسجّلًا الهدف الثالث. ثمّ أسهم في صنع الهدف الرابع؛ إذ تعرّض ليو للعرقلة، فحصل على ركلة حرّة



حوَّلها تشافي بطريقة رائعة إلى الشباك. بعد ذلك، سعى ميسي إلى ردِّ الدين لإيتو على تعاون هذا الأخير في أثناء المباراة. ثمَّ أوشك الكاميروني أن يسجِّل الهدف الخامس لولا تدخلُ غوركا الذي صدَّ الكرة بقدمه.

فاز البارسا بالكأس للمرَّة الخامسة والعشرين في تاريخه. وغدا ملعب مستايا مسرحًا للاحتفالات، وأخذت الجماهير تتغنَّى باسم ميسي. ثمَّ كتبت صحيفة ماركا في اليوم اللاحق: «ميسي لا يعرف الفشل في هذا النوع من المباريات، وقد أثبت للجميع مرَّةً أخرى أمس أنَّه اللاعب الأكثر حسماً في إسبانيا. تهطل الألقاب مثل المطر على هذا اللاعب الذي سيصبح رمزاً لعصرنا من دون شكَّ».

إليك مشهداً رابعاً آخر جرت أحداثه على ملعب كامب نو في برشلونة، حيث التقى برشلونة أتلتيكو بلباو، في إياب كأس السوبر الإسباني، يوم الثالث والعشرين من شهر آب عام 2009م.

لم يشارك ليوفي مباراة الذهاب التي جرت على ملعب سان ماميس، لكنَّه حضر مباراة الإياب منذ البداية. وقد لعب إلى جانبه آخر انتدابات البارسا؛ زلاتان إبراهيموفيتش، الذي انتقل حديثاً من نادي الإنتر الإيطالي مقابل (45) مليون يورو، إضافة إلى صامويل إيتو. وكان فريق غوارديولا المفتقر إلى خدمات ليو وإبراهيموفيتش والمصاب انيستا، قد فاز على بلباو بهدفين مقابل هدف واحد (سجَّل للبارسا تشافي وبيدرو، ولبلباو دي ماركوس)، وهو أمر جعل الكأس أقرب إلى خزائن البارسا.

تعدُّ هذه المباراة غريبة في ظاهرها؛ فالبارسا يجب أن يلعب مع نفسه لأنَّه حاز بطولة الدوري وكأس الملك، لكنَّ اللجنة المنظِّمة ارتأت أن يلعب مع وصيف كأس الملك؛ أي أتلتيكو بلباو. لم يكن الأمر مختلفاً في نهاية المطاف؛



ميسي

فريق البارسا هو وحده من يلعب؛ فعلى الرغم من الإصرار والمقاومة التي أظهرها الفريق الباسكي، إلا أنه اكتفى بالمشاهدة. يوشك البرغوث أن يُجهز على الفريق الباسكي، على الرغم من بدايته البطيئة كما هي العادة في كثير من المباريات، إلا أنه ينطلق انطلاقاً قاتلة؛ سواء أكان ذلك عند إمرار الكرة، أم الشروع في تسجيل هدف.

بدأ ميسي اللعب بإضاعة انفراد تام مع الحارس إيرايثوث. ثم تبع ذلك بلعبة ثنائية رائعة مع الوافد الجديد إبراهيموفيتش، حيث مرّر الكرة إلى السويدي الذي سيطر عليها بصدرة وسدد، لكن الحارس بالمرصاد. يغيّر ليو من واقع الحال بحركة سحرية تمكّن بها من اختراق دفاع الأسود. فقد مرّر تشافي الكرة إلى إبراهيموفيتش، ثم مرّرها هذا الأخير بكعبه إلى ميسي الذي تجاوز قلب الدفاع بحركة من قدمه اليسرى، واضعاً الكرة في حلق المرمى بقدمه اليمنى. ياله من هدف رائع لا يقدر عليه إلا كبار النجوم! إنه التقدم الذي طال انتظاره؛ فالبارسا لم يكن دقيقاً وموفقاً في إنهاء الهجمات طوال الشوط الأول، ولم يسدد لابعوه كثيراً نحو المرمى. ولكن يظهر ميسي فجأة، ويبدأ الحفلة بهدفه الخارق، ثم يضيف هدفاً آخر من خطّ الجزاء عند الدقيقة السابعة والستين.

يحصل ألفيش على ركلة جزاء - حسب قرار الحكم - بعد معصية في منطقة الجزاء، فيضع ليو الكرة في مكانها على نقطة الجزاء، ثم يقذفها نحو المرمى بإتقان، لتستقر على يمين غوركا. لقد حُسمت نتيجة المباراة حقاً. ولكن، قبل أن تبدأ الاحتفالات، يظهر بويان ليضيف هدفاً ثالثاً. إنه اللقب الرابع على التوالي للبارسا، والأمر لا يقف عند هذا الحدّ. ففي الثامن والعشرين من شهر آب عام 2009م، وعلى ملعب لويس الثاني في موناكو، أُقيمت مباراة جمعت بين فريقَي برشلونة وشاختر دونيتسك، ضمن بطولة كأس السوبر الأوروبية.





«ترك ميسي الكرة لي. كان عليّ فقط غمزها في اتجاه المرمى». تلك كانت كلمات بيدرو إيليزير رودريغيز ليديزما، المشهور ببديريتو.

يبلغ هذا البرازيلي الثانية والعشرين من العمر، وهو يرتدي القميص الذي يحمل الرقم (17) في البارسا. وصل برشلونة عندما كان في سنّ الخامسة عشرة، وقد كان أحد اللاعبين الثمانية (الاحتياطيين) الذين استدعاهم بيب غوارديولا لخوض مباراة السوبر الأوروبي؛ مباراة تأبى أن تنتهي.

قام هذا اللاعب الذي لازم مقاعد البدلاء بتوقيع عقد مع البارسا أخيرًا، في العشرين من شهر آب تحديدًا. إنّه اللاعب الذي فاز بلقب دوري الأبطال، مع أنّه لم يلعب سوى دقيقة واحدة، لم يلمس الكرة خلالها. فقد نزل إلى الملعب في الدقيقة الحادية والثمانين مكان زلاتان إبراهيموفيتش، ونجح في الدقيقة الخامسة عشرة بعد المئة في تسجيل هدف بعد تمرير الكرة بطريقة (واحد-اثنان) مع ميسي، وتحديد الزاوية المثالية للتسديد، وقذف الكرة لتستقر بجانب قائم الحارس بياتوف، واضعًا بذلك حدًا لمباراة شاقة، ومؤمّنًا اللقب الخامس للبارسا هذا الموسم.

لكنّ البرازيلي الصغير يُقَرّ بالحقيقة، وينسب الفضل - بكلّ تواضع - إلى ميسي. لم تكن تلك مباراة سهلة؛ فالخطة الماكرة التي وضعها المدرّب المخضرم ميركا لوشيسكو آتت أكلها على أكمل وجه.

نجح الدفاع الذي أعدّه المدرّب الروماني في صدّ الهجمات المتتالية التي شنّها رجال غوارديولا، الذين لم يتمكّنوا من تهديد مرمى الخصم إلّا بعد مُضيّ نصف ساعة على بداية المباراة. ثمّ تفتّذ ركلة حرّة، تصل ميسي الذي يتلاعب بدفاع الخصم بكلّ مهارة، لكنّ الحارس الأوكراني نجح مرّتين في إيقاف تسديده. ومع ذلك، لم يجد السأم والملل طريقًا إلى نفس ليو ورفاقه





ميسي

الذين ما فتئوا يحاولون إيجاد الثغرات، غير أبهين بالهجمات المرتدة التي لجأ إليها رجال لوشيسكو.

ظهر ليو ميسي مرّة أُخرى، لينفّذ ركلة حرّة على حافة منطقة الجزاء. يقوّمس كرة يعترضها حائط الصدّ. فيعترض ليو ولاعبو البارسا الآخرون، ويطالبون بركلة جزاء بحجّة أنّ أحد المدافعين اعترض الكرة بمرفقه. انتهى الشوط الأول، ثمّ بدأ الشوط الثاني على المنوال نفسه. لا أهداف على أرضية ملعب لويس الثاني الرديئة. بدأت العصبية بالظهور، لدرجة أنّ ميسي دخل في شجار مع داريو سرنا، ثمّ تلقى إنذارًا بسبب دفعه أحد مدافعي شاختار بعد أن وجد نفسه محاطًا بعدد منهم.

قبل نهاية الوقت الإضافي بخمس دقائق، أهدى ليو تمريرة سحرية إلى بيرديتو. كانت تلك التسديدة هي الحادية والعشرون للبارسا على المرمى؛ تسديدة جلبت لهم الانتصار. فقد سدّد البرازيلي الكرة بقدمه اليمنى في أثناء سقوطه على الأرض، جاعلاً من فريقه أسطورة بكلّ معنى الكلمة. إنّهُ الهدف الذي يساوي فريق غوارديولا بالبارسا الذي فاز بخمس بطولات من قبل (ضم ذلك الفريق الرائع كلّاً من: رامايّس، ومارتن، وبيوسكا، وسيغوير، وغونزالفو الثالث، وبوش، وباسورا، وسيزار، وفيللا، وكوبالا، ومانشيون). ففي موسم 1951م - 1952م، فاز المدرّب فيرديناند داوشيك ببطولة الدوري، وكأس الملك، وكوبا لاتينا، وكوبا إيڤا دوارتي (سُمّيّت بذلك تيمناً بإيفيتا بيرون)، وكوبا مارتيني وروسي.

لقد كان ذلك الفريق مميّزاً حقاً، لدرجة أنّ إنجازات لاعبيه ما زالت عالقة بأذهان جماهير البارسا.





يُذكَر أنّ تلك المجموعة التي قادها لاديزلاو كوبالا، فازت بثلاثة ألقاب على أرض الملعب، وبلقبين من دون لعب؛ فهي لم تلعب في كأس كوبا إيفا دوارتي (كأس السوبر الإسبانية حسب المُسمّى الحالي)؛ لأنّ أفرادها فازوا ببطولة الدوري والكأس، كما كان كأس كوبا مارتيني وروسي يُمنَح للفريق الذي يسجّل أكبر عدد من الأهداف في الدوري.

وفي المقابل، فقد فاز البارسا ميسي بخمسة ألقاب على أرض الملعب. كلّ ما تبقى الآن هو الفوز ببطولة كأس العالم للأندية المزمع إقامتها في كانون الأول، لتكتمل المجموعة، وتحطّم الأرقام القياسية جميعها. سيكون ذلك آخر فصل في حكاية البلاوغرانا الخارقة.

لكنّ الإنسان لا يعيش بالألقاب والكؤوس وحدها... فمع أنّ كرة القدم مهمة جدًّا بالنسبة إلى ميسي، لكن عائلته تحتل مرتبة الصدارة في الحاضر، وربّما في المستقبل أيضًا. عودة على بدء، فقد عانى ميسي الكثير من التقلّبات هذا العام أكثر من أيّ وقت مضى؛ فقد كان مشغولاً جدًّا بمرض أحد أفراد عائلته (لحسن الطالع، تماثل هذا الفرد للشفاء)، لكنّه كان محظوظًا بقضاء نحو شهرين مع العائلة. وفي ذلك يقول: «كانوا جميعهم هنا في كاستيلفيلز: أعمامي، وخالاتي، وأبناؤهم. من الجميل أن يعجّ المنزل بأفراد العائلة».

وهناك المزيد، فقد بدأ بعلاقة عاطفية أفصح عن مكنوناتها في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني عام 2009م، لمقدّم برنامج هاتريك الذي يبثّه التلفزيون الكاتالوني. فقد طرح عليه صبي أمام الكاميرات السؤال الأصعب: «هل لديك صديقة حميمة؟».

يخرج ليو لسانه من فمه، ثمّ يجيب: «لديّ صديقة حميمة تعيش في الأرجنتين. الحقيقة أنّني على ما يرام، وهادئ حيال الوضع». وفي الثاني





هيسي

والعشرين من شهر شباط؛ أي بعد شهر تقريباً من اللقاء المتلفز، شوهد ليو في شوارع منطقة سيتغيس في برشلونة، متأبطاً فتاة ذات شعر طويل وبشرة سمراء. وقد أشعل ذلك الحدث سباقاً محمومًا بين الصحف الصفراء لمعرفة هوية الفتاة الغامضة.

تمثّل تلك الفتاة العلاقة الرسمية الأولى لليو، بعد كلّ العلاقات التي نسبتها إليه الصحف الصفراء في الأرجنتين، مثل: علاقته بعارضة الأزياء الأرجنتينية ماكارينا ليموس قبل بطولة كأس العالم لعام 2006م، أو بنيرينا ذات الثمانية عشر ربيعاً، أو بالأرجنتينية الفاتنة لوتشيانا سالازار.

أنتونيلا روكوزو هي فتاة في التاسعة عشرة من العمر، تنحدر من مدينة روزاريو، وتشجع نادي نيولز، وتدرس التغذية، ولا تشبه أيّاً من الفتيات اللاتي اختلقتهنّ الصحف الصفراء..

يقول ليو في مقابلة أجراها مع صحيفة كلارين الأرجنتينية في شهر أيار: «نعم، إنني أعرفها مُدّ كنت في الخامسة من عمري، إنّها قريبة صديقي المقرّب (لوكا سكاليا)، ومن روزاريو مثلي. لقد كبرنا معاً. تعرف عائلتي عائلتها جيداً. لذا، لم يساورني أيّ شكّ». ثمّ يكشف أنّهما على علاقة منذ عام. وقد تمكّن من إبقاء هذا الأمر سرّاً؛ لأنّه «كثوم» حسب تعبيره، وفي ذلك يقول: «لم يكن أحد ليعرف عن الأمر لولا أنّنا قرّرنا المشي في شوارع سيتغيس أيام المهرجانات (الكرنفالات)». وقد تطوّر الأمر ليصبح الخبر رسمياً؛ إذ التُقّطت صور أخرى للاثنين معاً في بوينوس آيرس في شهر حزيران، حيث يستعد المنتخب الأرجنتيني لخوض مباراتين ضمن التصفيات المؤهّلة لبطولة كأس العالم المزمع إقامتها في جنوب إفريقيا. والتُقّطت صورة عائلية في أحد



شوارع المدينة، تظهر فيها أنتونيلا وهي تُمسك بذراع والدة ميسي سيليا. فهل هناك مشروع زواج في الأفق؟

لا، يعلنها ليوبكّل صراحة: «لن أتزوج في الوقت الراهن». لكنّ المغامرة الرومانسية مستمرة. لنتظر، ونشاهد... يملك ليو من المال ما يكفيهما والأجيال التي بعدهما، ليعيشوا برغد؛ خاصة أنّه سيجدّد عقده مع برشلونة في الثامن عشر من شهر أيلول عام 2009م مدة أربع سنوات قادمة. وهو عقد يحصل بموجبه على أكثر من (10) ملايين يورو سنوياً، ويُعدّ الرقم الأعلى الذي يحصل عليه لاعب في تاريخ البلاوغرانا، وزيد الشرط الجزائي في العقد ليصبح (250) مليون يورو بعد أن كان (150) مليوناً. إنّه عقد جديد ينتهي في الثلاثين من شهر حزيران عام 2016م، يكون حينها البرغوث قد وصل سنّ التاسعة والعشرين. لم يتبقّ إلا الكرزة التي ستزين الكعكة، وهي أسعد سنواته على الإطلاق: الكرة الذهبية، وجائزة أفضل لاعب في العالم. إنّها «حلم». أفضل إنجاز على المستوى الشخصي» كما يصف الأمر في مقابلة مع قناة ليكيب التي سألته: «مَنْ ترشّح للفوز هذا العام؟». فأجاب: «أتمنّى أن يحين دوري هذا العام».





الفصل السادس والثلاثون

الثالثة ثابتة

الأول، والتاسع عشر، والحادي والعشرون من كانون الأول عام



٢٠٠٩م

نعم، لقد حان دوره هذه المرّة. ينطبق على هذه الحالة مقولة «الثالثة ثابتة»؛ فبعدما حلّ ثالثاً عام 2007م، وثانياً عام 2008م، فاز ليونيل أندرياس ميسي بالكرة الذهبية التي تمنحها مجلة فرانس فوتبول لموسم عام 2009م. جاء هذا الفوز بعد تغلبه على منافسيه بفارق كبير؛ فقد حصل على (473) نقطة من أصل (480) ممكنة؛ أي أكثر من ضعف ما حصل عليه كريستيانو رونالدو الذي حلّ ثانياً بعد حصوله على (233) نقطة. في حين احتلّ تشافي هيرنانديز المركز الثالث بحصوله على (173) نقطة.

صوّت لميسي (90) شخصاً من أصل (95)؛ أي ما نسبته 98,56% من عدد النقاط الممنوحة، وهو رقم لم يحظَ به أحد طوال (54) عاماً منذ منح الجائزة المميّزة؛ أمّا الأقرب فكان ميشيل بلاتيني الذي حصل على نسبة 98,46% عام 1984م؛ إنّه نصر مظفّر. هناك ثلاثة، وهذه أسباب نجاح ميسي التي ذكرها المحرّر المسؤول في المجلة دينيس شوميير:

1 - نجاح ميسي في العروض التي قدّمها؛ المراوغات والتسارع، والجهد الذي





ميسي

- يبدله لخلخلة الخصوم، ومهاراته، وروحه الخلاق، وتعاونه مع الفريق، إلى جانب الأهداف التي سجّلها، كل ذلك أسهم في ترك أثر عميق في أثناء العام. ما زال تأثيره في كرة القدم غير كامل. ولكن، ما يذهلني هو المتعة التي يصنعها حضوره في الملعب، وهي متعة مشابهة لما كان يفعلها مارادونا.
- 2- تذكّر أنّ ميسي نافس على الجائزة مرّات عدّة على الرغم من صغر سنّه. ومن الواضح أنّ كرة القدم الحديثة لن تمنح أسمى التكريّمات لمجرّد طفرة، حتى لو كانت الحالة خاصة بشخص متميّز مثل ميسي.
- 3- تتويج ميسي بلقب دوري الأبطال والدوري الإسباني مع برشلونة، فضلاً عن فوزه بلقب كأس الملك وكأس السوبر الأوروبي، وقيادته المنتخب الأرجنتيني للتأهّل إلى نهائيات بطولة كأس العالم. من الصعب تخيّل سلسلة أكثر روعة من تلك الإنجازات.

الكلّ متفق على ما حقّقه ميسي من ألقاب، وأداء راقٍ، ومهارة في مسيرته الاحترافية. لقد انحنى جميع الصحفيين المشاركين في لجنة التصويت العالمية التابعة لمجلة فرانس فوتبول أمام البرغوث. وأخذ المديح ينهال عليه من بقاع العالم شتّى؛ من اليابان إلى آيسلندا، ومن غانا إلى نيوزيلندا، ومن كازاخستان إلى إنجلترا.

يصف الصحفي في جريدة ديلي تيليغراف هنري وينتر أسباب تصويته لميسي، في مقال كتبه في مجلة فرانس فوتبول، قائلاً:

«ميسي؟ إنّه العبقريّة بأبهى صورها. لديه علاقة خاصة بالكرة. إنّه يصنع الأهداف ويسجّلها، ويلعب من دون كلل لمصلحة الفريق. عند رؤيته يلعب، تكون شاهداً على منظر بديع مسخّر لخدمة كرة القدم».

إنّها الساعة السابعة صباحاً من يوم الإثنين الموافق للثلاثين من شهر





تشرين الثاني عام 2009م، يطرق مندوب مجلة فرانس فوتبول باب (الشاليه) الذي يسكنه ميسي في كاستيلديفيلز، حاملاً معه الأنباء السارة. انتظر ميسي هذا الخبر بفارغ الصبر والشوق، وبجانبه صديقه أنتونيلا، وشقيقه رودريغو، وابنه، وابنته. وقد ردَّ على حامل النبأ بابتسامته الخجولة المعهودة، لكنّه لم يستطع إخفاء بريق عينيه.

جاء الإعلان عن الفوز بالجائزة في نهاية أسبوع رائع؛ سواء لليو، أو البارسا. فقد حقّق البلاوغرانا يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني، بفضل بيكيه وبيدرو، «نصراً مهماً في دوري الأبطال على الإنتر الذي يدرّبه جوزيه مورينيو في مباراة معقّدة» بحسب صحيفة إل بايس.

كانت مهمة رجال غوارديولا في الوصول إلى دور الستة عشر عويصة حتى تلك اللحظة، لكنّها الآن أصبحت أقلّ صعوبة. لم يتمكّن ميسي من المشاركة في تلك المباراة بسبب إصابة عضلية ألمّت به في المباراة الأخيرة من الدوري، التي واجه فيها البارسا أتلتيكو بلباو على ملعب سان ماميس، لكنّه شارك في التشكيلة الأساسية للفريق في مباراته التي خاضها أمام ريال مدريد بقيادة كريستيانو رونالدو، في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني. كانت هذه المواجهة هي الرابعة بين النجمين. وقد أظهر البرتغالي الذي غاب عن المنافسات خمسين يوماً أداءً رائعاً في الست والسنتين دقيقتي التي لعبها. ومع أنّه تولّى قيادة هجوم الريال، لكنه أهدر أخطر الفرص على فريقه. تمكّن فالديز من صدّ تسديداته لتصبح تلك المباراة رابعة المباريات التي يفشل فيها بهزّ شباك البارسا. أمّا ميسي فقد كان غائباً تماماً في الشوط الأول؛ إذ لم يستطع صنع الأهداف أو تسجيلها، وكانت إسهاماته غير فاعلة بتاتاً. ومع أنّه كان يلعب خلف خطوط المهاجمين، لكنه لم يظهر بحرفيته المعهودة. ولكن، في الشوط الثاني، وبعد أن وضع إبراهيموفيتش البارسا في المقدمة بتسديدة لا تُردّ من قدمه اليسرى، وبعد





ميسي

حصول بوسكيتس على بطاقة حمراء؛ لمع نجم البرغوث من جديد. فأخذ يستلم التمريرات، ويصنع اللعب، واضعاً الدفاع المدريدي في موقف حرج، وساعد على عزل هجومهم، وقدم كثيراً من المهارات الفائقة. لقد أسهم ميسي أيما إسهام في وقت كان الفريق في حاجة ماسة إليه. فأوشك عند الدقيقة الثامنة والثمانين أن يضاعف النتيجة لتصبح (2-0)، بعدما مرّر إليه ألفيشس الكرة من اليمينه تاركاً إيّاه في مواجهة مع كاسياس الذي أنقذ الموقف ببراعة.

ضاعت فرحة ميسي بعدما تعذّر عليه تسجيل هدفه الثامن في مرمى الحارس المدريدي - آخر هدف سجّله كان بركلة جزاء في المباراة الودية التي جمعت إسبانيا بالأرجنتين يوم الرابع عشر من شهر تشرين الثاني- ولكن، وكما صرّح في المقابلة التي أعقبت المباراة، فإنّ الأمر «لم يُقدّر له أن يحدث، بسبب التصدي الرائع الذي قام به كاسياس. المهم أنّ البارسا فاز في المباراة». ثم أخذ يجيب عن الأسئلة المتعلقة بالكرة الذهبية، قائلاً: «فكتور فالديز هو من استحق الكرة الذهبية هذه الأمسية. لقد أنقذنا». قد يكون ذلك صحيحاً، لكنّ ليو كسب أيضاً في المواجهة الثنائية التي جمعت بصاحب الكرة الذهبية لعام 2008م؛ كريستيانورونالدو. وقد شكّلت هذه المباراة فرصة مثالية لتسليم عرش إمبراطورية الكرة.

وعلى أيّ حال، فقد كان هناك أكثر من سبب للاحتفال في يوم الإثنين هذا بكاستيلديفيلز. ظهر ميسي، وهو يرتدي قميصاً ثقيلًا موشى باللونين: الأخضر والأبيض، ثم انضم إلى عائلته وضيوفه من مجلة فرانس فوتبول، الذين أخذوا يشربون نخب الفتى الذي واجه صعوبة في النمو، ثم انضم إلى عظماء كرة القدم. وقد تسنّى له بعد ذلك تصفّح المجلة التي حُصص غلافها - إضافة



إلى (43) صفحة من صفحاتها- للحديث عن «ملك كرة القدم الشاب».

شهد اليوم اللاحق مزيداً من الصفحات الأولى المخصّصة لميسي، فضلاً عن المقابلات الكثيرة، والمؤتمر الصحفي الضخم.

لقد حان الآن الوقت المناسب لردّة الفعل والمصارحة والإهداءات. لذا، فقد صرّح ميسي في قاعة المؤتمرات بكامب نو، قائلاً: «لا أخفي عليكم، كان لديّ شعور أنّني سأحصل عليها هذا العام. لكن، ما فاجأني هو فارق الأصوات الكبير. إنّ الفوز بالجائزة شرف عظيم، شيء رائع ولا يُضاهى، لكنني لم أكن مهوَّساً بالفوز. كنت أعلم أنّها ستأتي إذا كان مقدراً لها ذلك. وكنت سأواصل العمل بجدّ كالمعتاد، في حال خسارتي الجائزة». يسأله أحدهم عن شعوره بوصفه أول أرجنتيني يفوز بالجائزة، فيجيب: «إنّ شرف عظيم. فقد كان ديفغو (مارادونا) - بطبيعة الحال - سيفوز بها أكثر من مرّة لو طبّقت القوانين الجديدة في زمنه. لا تتسّ أيضاً أنّ دي ستيفانو وسيفوري فازا بالجائزة، ولو كانا من بلدان أخرى». (يُذكر أنّ مَنَح أحد اللاعبين بأوروبا الكرة الذهبية، كان محصوراً في الجنسيات الأوروبية حتى عام 1995م، حين أصبحت تُمنَح للاعبين الأندية الأوروبية بصرف النظر عن جنسياتهم. وقد فاز بالجائزة ألفريدو دي ستيفانو المولود ببوينوس آيرس عامي 1957م و 1959م، الذي كان يحمل الجنسية الإسبانية، في حين فاز بها عمر سيفوري عام 1961م، الذي كان يحمل الجنسية الإيطالية، مع أنّه من مواليد مدينة سان نيكولاس الأرجنتينية).

ولأنّ انتماء ليو إلى البارسا لا يقلّ عن انتمائه إلى الأرجنتين، فإنّه لا ينسى ذكر أهمية الجائزة للفريق الذي يُعدّه بيته الثاني: «في واقع الأمر، فأنا أول لاعب من أكاديمية البارسا يفوز بهذه الجائزة، ويعمل على النهوض بمشروع البارسا، وأعتقد أنّها جائزة مهمة للنادي والعاملين فيه». بعد ذلك، أخذ ميسي





ميسي

- كعادته - يقدم الشكر لعائلته وزملائه في الفريق، مُهدياً الجائزة إليهم، حيث قال مؤكداً: «لم أكن لأفوز لولاهم». ثم أشار إلى أنه كان سيصوت لأحد زملائه في الفريق لو كان من أعضاء اللجنة التي قامت بالتصويت: «تشافي وانيستا يستحقان الجائزة أيضاً». ووجه شكرًا خاصًا إلى بيب غوارديولا، بقوله: «لقد كان للمدرب دور فاعل في الحصول على الجائزة. أنا أعرفه منذ كان مدرباً لفريق البارسا (ب)، لكنني لم أتواصل معه على نحو مباشر حينها. إنه - في رأيي - رجل فذ ومُلمم بكرة القدم بصورة كبيرة، ولديه قدرة على نقل معرفته إلى الآخرين بأفضل صورة ممكنة. إنه مدرب إنسان يُلامس في تعامله الجانب الإنساني لدى اللاعبين، لذلك فهو محبوب من الجميع. إن الألقاب التي فزنا بها كانت عاملاً رئيساً في حصولي على هذه الجائزة».

وقد ردّ مدربّ البارسا قائلاً: «يستحق ليو الجائزة؛ لأنه ببساطة لاعب يتميز بأدائه المختلف. إنه يتحلّى بجميع الصفات اللازمة للنجاح؛ فهو قوي، سريع، يسجّل الأهداف، حتى بالرأس (لا يجروّ أحد على القول بخلاف ذلك بعد الهدف الذي سجّله في نهائي دوري الأبطال)، يفهم اللعبة، ويتصدّر الأرقام القياسية جميعها. ما يميّز ليو هو تفكيره وروح التنافس لديه».

لم يكن غوارديولا الشخص الوحيد الذي كال له المديح؛ ففي الأول من شهر كانون الأول، بدأ العالم أجمع الحديث عن «الفتى الذي أصبح أسطورة».

سيُتّوج ميسي بوصفه أفضل لاعب لكرة القدم لعام 2009م، في السادس من شهر كانون الأول عام 2009م، الساعة الحادية عشرة صباحاً، لدى استضافته في برنامج تليفوت الفرنسي الذي يُعنى بكرة القدم، حيث سيستلم الكرة الذهبية من دينيس شومبير شخصياً. ولكن، ما زال يتعيّن على ميسي خوض مباراة أمام ديبورتيفولا كورونيا على ملعب رياتور في اليوم الذي يسبق





الحفلة. احتفل ميسي بفوزه بالجائزة بتسجيل هدفين، وتقديم مستوى متميز، تخلله هتاف الجماهير الغفيرة: «ميسي، ميسي، ميسي!».

دخل ميسي غرف تغيير الملابس عند منتصف الليل بعد الفوز بنتيجة (3-1)، ثم استحم بسرعة، ليلحق بطائرة خاصة تحمله إلى مطار باريس لو بورغي.

حطت الطائرة في العاصمة الفرنسية عند الساعة 15, 3 صباحًا، ثم استقل سيارة أخذته إلى فندق جورج الخامس الواقع في المنطقة الثامنة. الساعة الآن الرابعة صباحًا، لكن النوم يجافي ميسي، حيث أمضى ما تبقى من الليلة يستمع إلى الموسيقى (دون عمر، ودي جيه فليكس تحديدًا)، ويشاهد التلفاز، ويتجاذب أطراف الحديث مع شقيقه رودريغو وماتياس، وشقيقته ماري سول.

بدأت رحلة النصر الباريسية عند الساعة 30, 9 صباحًا، حيث أخذ ميسي يطوف في شوارع المدينة، مرتديًا بزة رسمية وربطة عنق، وواضعًا على مٌحيّاه بعض مساحيق التجميل، ثم يتوقّف عند برج إيفل هُنيهة قبل دخول إستوديوهات التلفزيون، حيث استقبل هناك بالتحية والحفاوة من زميله السابق في البارسا ليليان تورام.

جلس ميسي أمام آلات التصوير، وأخذ يتلقّى التحية والتصفيق، ثم تسلّم الجائزة. أعقب ذلك جلسة تصوير مع العائلة والأصدقاء ورئيس نادي برشلونة خوان لابورتا، وأشخاص يمثلون النادي، ومجلة فرانس فوتبول، وقناة تي إف 1 التلفزيونية الفرنسية.

جابت به السيارة الرسمية شوارع باريس مرّة أخرى، ثم قفلت به عائدة في اتجاه المقرّ الرئيس لقناة تي إف 1 في منطقة بولونيا بلانكور. لكن، وقبل





هيسي

أن يتمكّن ليو من تناول طعام الغداء في قاعة لويس الثالث عشر بفندق جورج الخامس والعودة بعدها إلى الديار، تعيّن عليه تقديم مؤتمر صحفي أخير. وفيه، اعترف ليو الذي بدا جالساً على كرسي من دون ظهر أو مسندين، بأنّه كان على أحرّ من الجمر لاستلام الجائزة، ورفع الكرة الذهبية عالياً؛ فالأيام الستة قد تبدو أطول في بعض الحالات. وفاجأ الحاضرين باعترافه: «أودّ الفوز بها مجدّداً، سيكون رائعاً الفوز بالمزيد منها».

من الواضح أنّ ثقة الفتى بنفسه كبيرة، فلننتظر، ولنراقب إذن. في هذه الأثناء، يواجه البارسا بعض التحديات الأخرى، أبرزها كيفية الوصول إلى دور الستة عشر من دوري الأبطال؛ إذ تنتظر رجال غوارديولا مباراة صعبة في كييف، حيث تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر، وما زال شيفيشنكو وفريقه يؤمنون بحظوظهم في التأهل. صحيح أنّ هناك نتيجتين تصبّان في مصلحة البلاوغرانا؛ فإمّا التعادل، وإمّا الخسارة بفارق هدف، كلّ ذلك يعتمد على نتيجة مباراة الإنتر مع ضيفه روبن كازان، التي تقام في الوقت نفسه على ملعب جوسيب مياتزا بميلان. لكنّ الهدف الرئيس هو التأهل على رأس المجموعة؛ لتجنّب مواجهة الفرق الإنجليزية القوية: تشيلسي، ومانشستر يونايتد، وأرسنال. لذا، يُعلنها غوارديولا صراحة: «لا نريد الخوض في سحابات معقّدة»، مطالباً فريقه باحترام أسلوب الفريق، واللعب للفوز فقط. لن يكون الأمر سهلاً؛ فدينامو كييف سجّل هدف التقدّم بعد دقيقتين على ملعب لوبانوفسكي نتيجة خطأ في الدفاع الكاتالوني. تتعقّد الأمور بصورة كبيرة؛ فكلّ ما يفصل بطل موسم 2008م-2009م عن الخروج من البطولة، هو تلقّي هدف ثانٍ. لكنّ البارسا يتماسك، ويحرم اللاعبين الأوكران من الكرة، إنهم يضغطون من دون توقّف، حتى يتمكّنوا أولاً من تعديل النتيجة بفضل هدفٍ لتشافى، وتحقيق النصر فيما بعد.





يؤمن ليو النصر بتسجيله هدفًا رائعًا من ركلة حرّة مباشرة. وكان قد تعرّض للكثير من اللعب الخشن الذي عمد إليه لاعبو دينامو، حتى إنّه تلقى فرصة للتسجيل قبلاً، لكنّه لم يتمكّن من استغلال الهدية التي تلقاها من شوفكوفسكي بعدما قام هذا الأخير بتثبيت الكرة على نحوٍ خطأ، لينتهي المطاف بميسي فاقدًا أعصابه بعد الخشونة التي تعرّض لها في منطقة الجزاء. يحصل الفريق على ركلة حرّة مباشرة في الدقيقة السادسة والثمانين، فيتقدّم البرغوث من الكرة، ثمّ ينفذها بأسلوب راقٍ؛ تسديدة بالقدم اليسرى تفجّر المرمى. من المؤسف أنّه تعرّض لعرقلة خلفية من ألميدا بعدها بأربع دقائق - تلك كانت المرّة التاسعة التي يتعرّض فيها للعثار والاعتداء - ليسقط على الأرض مصابًا.

علّق بيب غوارديولا - بعد انتهاء المباراة - على هذا الأمر، قائلاً: «لو كان لاعبًا آخر لتراخى بعد الفوز بالكرة الذهبية، لكنّ ليو يملك روحًا تنافسية لا تُضاهى، إنّه يريد دائمًا تسجيل المزيد من الأهداف، وكثيرًا ما يُردّد: «أريد أن أفعلها»، ثمّ يحاول مجددًا كلّ مرّة».

أشار التقرير الطبي إلى إصابة ميسي بتمزّق من الدرجة الأولى في الكاحل الأيمن؛ ما يعني عدم قدرته على اللعب في مباراة الديربي أمام إسبانيول، فضلًا عن احتمال غيابه عن مباراة نصف نهائي كأس العالم للأندية المزمع إقامتها في أبو ظبي. وعلى الرغم من غياب ميسي عن مباراة الفريق في ملعب كامب نويوم الثاني عشر من شهر كانون الأول، إلّا أنّه تمكّن من استعراض الكرة الذهبية أمام نحو (554, 84) متفرّجًا كانوا حاضرين هناك، وأعقب ذلك استلامه الجائزة من والدته سيليا.

يا لها من لحظة حُبلى بالعواطف الجياشة التي خالطها تصفيق حادّ! إنّها اللحظة التي تسبق السفر إلى أبو ظبي، حيث سيواجه البارسا في نصف





ميسي

النهائي يوم الأربعاء الموافق للسادس عشر من شهر كانون الأول نادي أتلانتي المكسيكي الفائز على نادي أوكلاند النيوزلندي (0-3) في دور ربع النهائي.

تُظهر الصور واللقطات التلفزيونية القادمة من الإمارات العربية المتحدة ميسي وهو على شاطئ البحر، مرتدياً سروال سباحة أزرق اللون، ورباطاً كاحله بضامدة؛ إنه يتمرن من أجل العودة في الوقت المناسب.

انغمس ميسي وبقيّة لاعبي البارسا في المنافسة، وركّزوا أيّما تركيز على التدريبات الصارمة؛ استعداداً للمواجهة القادمة أمام أتلانتي الذي يُعرف فريقه بالفرة الحديدية. تصبّ الترشّحات في مصلحة الفريق الكاتالوني الذي سيواجه منافسه بطل منطقة الكونكاكاف، لكنّ مشجعي البارسا لم ينسوا بعدُ النهائيين اللذين خسرهما الفريق عامي 1992م، و 2006م. يتعيّن على الفريق التهيؤ نفسياً منذ البداية. تلك كانت الخطّة، لكنّ الأمور لا تسير على ما يرام؛ إذ تأخّر البارسا في المباراة المقامة على ملعب مدينة زايد الرياضية بهدف بعد خمس دقائق فقط. ومع أنّ سيرخيو بوسكيتس عدّل النتيجة في الدقيقة الخامسة والثلاثين، لكن البارسا لم يتمكّن من احتواء منافسه المكسيكي الذي دافع جيداً، واستغل الفرص القليلة التي سنحت له؛ فأخذ بالترنّح (البارسا)، وبدأ أنّ المباراة على وشك أن تقلت من يده. لا يوجد خيار آخر سوى استدعاء ميسي. من المفترض ألاّ يلعب هذا الأرجنتيني الجالس على مقاعد البدلاء إلاّ عند الضرورة القصوى. لكنّ البارسا في موقف حرج؛ ما دفع غوارديولا إلى الزجّ به في الدقيقة الثالثة والخمسين.

صرّح مدربّ الفريق المكسيكي خوزيه كروز لاحقاً بالآتي: «عرفت أنّ ميسي سيشارك لحظة سماعي صرخات الجمهور. وعرفت أيضاً أنّ مشاركته ستقلب موازين المباراة. لكنني لم أتوقّع أن ينجح في ذلك بتلك السرعة».





كلّ ما احتاج إليه ليولقب المباراة وتغيير النتيجة، كان دقيقة واحدة لا أكثر. فقد نجح الأرجنتيني في الهروب من الرقابة بالجري القطري، وحين لمحّه إبراهيموفيتش التفت حول نفسه، مُهدياً إليه تمريرة دقيقة في العمق. ثمّ تولّى البرغوث بقية الأمر؛ إذ سيطر على الكرة بإحكام، ثمّ راوغ حارس أتلانتي، واضعاً الكرة في المرمى. فأصبحت النتيجة (1-2) من أول لمسة له، مُنهيًا المقاومة المكسيكية، وباعثاً الروح في فريقه. بعد ذلك، سجّل بيدرو الهدف الثالث ليصبح أول لاعب في التاريخ يسجّل لناديه في ست منافسات مختلفة ضمن موسم واحد. والآن، يمكن للاعبين البارسا تسلية الجمهور باللمسات الفنية والتسديدات الراقية. تأتي الفرص واحدة تلو الأخرى؛ ما أتاح لميسي رفاهية إضاعة انفراده بالحارس الأرجنتيني فيلار الذي يعرفه (ميسي) جيداً من منتخب الألبيسيلستي. أثبت ميسي مرّة أخرى أنّه المنقذ بلا منازع. وقد شرح خوزيه كروز هذا الأمر على النحو الآتي: «برشلونة هو أفضل فريق في العالم من دون ميسي، فإذا لعب هذا الأخير، أصبح الفريق كأنه قادم من مجرّة مختلفة». كلام يلخّص الوضع برمّته.

لم يتبقّ سوى النهائي المزمع إقامته في التاسع عشر من شهر كانون الأول؛ لم يتبقّ أمام البارسا سوى نادي إستوديانتس دي لا بلاتا الأرجنتيني الذي أقصى بدوره نادي بوهانغ ستيلرز الكوري بعد الفوز عليه في نصف النهائي بنتيجة (1-2). إنّه فريق الساحرة الصغيرة الذي يلعب له خوان سيباستيان فيرون، الذي كان مرشد ليو خلال بطولة كوبا أمريكا عام 2007م؛ إنّه الرحّالة الذي أضحى العنصر الرئيس في الفريق، والذي يحلم بتكرار إنجاز والده خوان رامون فيرون الملقّب بالساحر، الذي قاد هجوم فريق إستوديانتس الملقّب بطاعني الجرذان (اسم يُطلق على الجزمة ذات المقدّمة المستدقة)، عام 1968م للفوز بكأس القارات، بعد هزيمة مانشستر يونايتد على ملعب أولد ترافورد.





ميسي

إنه - ولا شك - حلم يوشك أن يتحقق على أرض الملعب، وسيستمر حتى الدقيقة التاسعة والثمانين؛ أي المباراة بأكملها تقريباً. المعجزة على وشك أن تتحقق. تقدّم الفريق الأرجنتيني بهدف عند نهاية الشوط الأول تقريباً (الدقيقة السابعة والثلاثون تحديداً)، من رأسية لبوزيلي الذي استغل الثغرة الموجودة بين بويول وأبيدال، واضعاً عرضية دياز في المرمى. فريق البارسا في موقف لا يُحسد عليه؛ إنهم متأخرون بهدف، لم يسجلوا أي هدف حتى الآن، ميسي تلقى بطاقة صفراء، والأدهى أنّ الفريق تائه، وعاجز عن إيجاد ثغرات في منطقة الوسط، أو إتمام تمريرات حاسمة.

لقد نجح ثلاثي الارتكاز في الفريق الأرجنتيني في سدّ المنافذ جميعها؛ فميسي لا يظهر، وهنري حاضر غائب، أمّا إبراهيموفيتش فيقاتل. ولكن، من دون جدوى.

في المقابل، نجد فريق إستوديانتس يتعامل مع الوضع بأفضل ما لديه؛ قتل المباراة، والتصدي للكرات، وواد محاولات لاعبي البارسا باستخدام أيّ من الوسائل المتاحة (ارتكاب الأخطاء، التشبث، ترك الكرة تخرج خارج الملعب، إجراء التبديلات، بعض الركلات)؛ كل ذلك لإضاعة الوقت، وبلوغ الدقيقة التسعين للفوز بالكأس التي طالما حلموا بالفوز بها للمرّة الثانية.

يأبى البارسا الاستسلام، مُظهرًا كل ما لديه من قوة الشكيمة، ومحاولاً اختراق خطوط الدفاع مرّة تلو الأخرى، إلى أن يتمكّن تشافي من رفع الكرة إلى داخل منطقة الجزاء في الدقيقة الأخيرة، فيتلقأها بيكيه، مرسلًا إيّاها إلى بيدرو الذي يضعها في المرمى برأسه. لقد تمكّنوا أخيرًا من تعديل النتيجة. ثمّ يبدأ الشوطان الإضافيان، والبارسا في حكم المنتصر؛ إنّه أمر يعرفه الفريق الأرجنتيني جيّدًا. فالنظرة التي تعلق وجوههم توحى بذلك، وإن طاقاتهم





(الفريق الأرجنتيني) قد استُنفِدت، وها هم أولاء يعجزون عن الوقوف في وجه ميسي الصغير الذي بدا كأنه يلعب بملعب الحي، ثم سجّل هدفًا بصدرة، بقلبه، بالشعار الذي على قميصه. فقد توقَّع حركة صديقه خوان سيباستيان، ثم حوّل عرضية ألفيش عند الدقيقة المئة بطريقة لم يتوقَّعها أحد.

ولكن، لماذا سدّد بصدرة لا برأسه؟ شرح ليو هذا الأمر في مقابلة مع صحيفة إل بايس في اليوم اللاحق: «أردت ضمان تسجيل الهدف. لاحظت أنّ الحارس لم يكن مستعدًا. ارتأيت أنه سيكون كافيًا وضعها بلطف، إلى جانب المساحة التي كان يحرسها. من حسن حظي أنني نجحت».

يتكلم ببساطته المعتادة، وكالعادة أيضًا ينظر البرغوث إلى السماء، مُهدّيًا الهدف إلى جدّته سيليا، وشاكرًا الله على نعمه. تنطلق الاحتفالات بعد ذلك في معسكر البلاوغرانا، وتنهمر الدموع من عيني ييب غوارديولا الذي تغمره المشاعر للمرّة الأولى. ليو أول مَنْ يعانقه ويشكره، لكنّه لا ينسى خصومه. يذهب لمصافحة لاعبي إستوديانتس فردًا فردًا «لأنّهم لعبوا على نحوٍ رائع، ولأنّهم أرجنتينيون، ولأنّهم كانوا يشعرون بحزن عميق».

الثالثة ثابتة؛ فبعد الفشل في الفوز عامي 1992م، و 2006م، يفوز البارسا باللقب للمرّة الأولى في تاريخ النادي الممتد إلى مئة وعشرة أعوام. يُتوجّ الفريق ملكًا على العالم. لم يسبق لأيّ فريق الفوز بستة ألقاب في موسم واحد. يعترف ميسي بذلك في حديث لصحيفة إل بيرويديكو، قائلاً: «لا أعتقد أننا استوعبنا إنجازنا بالكامل. سيكون صعبًا على أيّ فريق تحقيق ذلك، سنقدّر الأمر تدريجيًا مع مرور الوقت».





ميسي

تدرّج البارسا ليصل إلى قمة العالم، ووصل ليو القمة مرّة أخرى يوم الإثنين الموافق للحادي والعشرين من شهر كانون الثاني في مدينة زيوريخ التي تكسوها الثلوج.

بعد التاسعة مساءً بقليل، صعد رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم ميشيل بلاتيني إلى المنصة، برفقة رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم جوزيف سيب بلاتر. ألقى نظرة أخيرة على المرشّحين للفوز بالجائزة قبل أن يفتح المغلف الذهبي، ثمّ عرض مقطع فيديو يُظهر وجوه كريستيانو رونالدو، وأندرياس انيستا، وكاكا، وميسي، وتشافي.

يقول بلاتيني: إنّه فخور بأنّ المرشّحين كافة يلعبون في أندية أوروبية. ثمّ تأتي أكثر اللحظات أهمية حين يُعلن عن اسم الفائز: «أفضل لاعب في العالم لعام 2009م هو ليونيل ميسي».

الثالثة ثابتة مرّة أخرى؛ فبعد حلوله ثانيًا في عامي 2007م، و 2008م، أصبح ليو الرقم واحد. ينهض لاعب البارسا صاحب الرقم (10) من مقعده، وهو يُغلق أزرار سترته من نوع إيرمينيغيلدو زينغا، مُعدلاً ربطه عنقه الزرقاء، ثمّ يصعد إلى المسرح. يسلمه ميشيل بلاتيني الجائزة، ثمّ يدعو إلى إلقاء كلمة.

«عمتم مساءً. أودّ بدايةً شكر جميع اللاعبين الذين أجروا التصويت. إنّه لشرف عظيم لي أن مُنحتُ هذه الجائزة التي فاز بها لاعبون من أندية ومنتخبات أخرى، ذلك أمر رائع جدًّا. أودّ التقدّم بالشكر إلى زملائي في الفريق (تسلط الكاميرا في هذه اللحظة على انيستا)، ومشاركتهم الجائزة. هذه نهاية مذهلة لعام رائع قضاه نادي برشلونة، وزملائي في الفريق، وأنا شخصيًا. شكرًا جزيلاً لكم».

يتحدث ليو بصوت مرتجف، وابتسامة لم يسبق لها مثيل. لقد فاز، وبفارق كبير هذه المرّة أيضًا. فقد حصل على (1,073) نقطة؛ أي أكثر بثلاثة أضعاف





ما حصل عليه الثاني كريستيانورونالدو الذي جمع (352) نقطة، وتشافي الثالث (196)، وكاكا الرابع (190)، وانيستا الخامس (134). لقد منحه مدرّبو (147) دولة وقادتهم نصرًا ساحقًا.

يقول خورخي ميسي المحاط بسيليا، وماتياس، ورودريغو، وماري سول: «إنّها لحظة لا تُقدَّر بثمن. من المفهوم أن يفوز المرء بجائزة، أو يحوز فريق ما لقبًا، ولكن، أن يفوز هؤلاء بكلّ شيء دفعة واحدة، إنّهُ المستحيل بعينه». ثمّ يضيف قائلاً: «إنّها نهاية مثالية لعام مثالي، من الصعب أن يحصل المرء على قدر أكبر من السعادة».

«كوكب الأرض يستسلم عند قدمي ميسي»، عبارة تصدرت أحد عناوين الصحف في اليوم اللاحق. ولكن، بقي على ليو كسب قلوب أبناء شعب بعينه؛ أبناء وطنه الأرجنتين؛ لأنّهم «منزعجون من الّا يكون «غارديل» في أثناء لعبه مع المنتخب الوطني». وإنّهم منزعجون؛ لأنّ نجمه لم يسطع مع الألبيسيلستي على الرغم من تأهّلهم الصعب إلى بطولة كأس العالم في جنوب إفريقيا. «لأنّهُ يبدع مع برشلونة، ولكن ليس مع المنتخب». ذلك صحيح؛ فهو متهم في الأرجنتين بعدم حبّ أمّته كما ورد في مقال لديفيد غيستاو من صحيفة إل موندو: «كأنّ الأداء الضعيف مع المنتخب سببه ضعف الطموح، وليس الترويج للاعب يملك فرصة أكبر لربح اليانصيب من تلقّي تمريرة جيدة. لقد فرض مارادونا نموذجًا يوائم ميسي، لكنّه لا يناسب ميسي، اللاعب القادم من عالم آخر. أضف إلى ذلك أنّ مارادونا غادر الأرجنتين على جناح السرعة، كأنّهُ يحاول إحاطة نفسه بهالة زائفة». يتعيّن عليهم إدراك أنّ سبب المشكلة ليس ميسي، وإنّما الفريق المحيط به. تعامله الصحافة معاملة الغريب، ويهاجمه محرّروها بعبارات لاذعة، مثل: «ميسي ليس أرجنتينيًّا؛» لأنّهُ أعطى كلّ ما لديه للبارسا، لأوروبا، ولم يكتفِ بذلك، بل دمرّ حلم إستوديانتس، الذي يُعدّ حلم الشعب الأرجنتيني





ميسي

في الوقت نفسه. صحيح أنّ ميسي لديه مشكلة مع الأرجنتينيين، أو بالأصح، الأرجنتينيين لديهم مشكلة مع ميسي. يعي ليو هذا الأمر، وتزعجه الأفاويل التي تدعي أنّه لا يأبه بالمنتخب الوطني. ولا شيء يزعجه أكثر من قولهم: إنّهُ ليس أرجنتينياً. يشرح هذا الأمر، قائلاً: «كيف لهم أن يعرفوا حقيقة شعوري؟». ولكن، يمكن حلّ الإشكال هذا العام في بطولة كأس العالم. كلّ ما يحتاج إليه ليو هو القيام بما يتقنه بصورة أكبر.





الفصل السابع والثلاثون

دموع تنحمر

الثالث من تموز عام 2010م

إنها الدقيقة التاسعة والثمانون. يشنّ الألمان هجوماً جديداً. يُتَوَجَّح المجهود الذي يبذله ميروزلاف كلوزه بهدف أخير لتصبح النتيجة (4-0). يستمر ميسي في الركض من منتصف ملعب الخصم. يصل خط منتصف الملعب، يتوقف لحظة واضعاً يديه على خاصرته، ينحني متكئاً على ركبتيه. يوشك أن يُجهش بالبكاء. لقد فقد الأرجنتيني ذو الرقم (10) بريقه، يُطأطئ رأسه غير مصدق لما جرى. يمرّ كلوزه بجانبه مُهللاً.

يفادر ميسي خافضاً رأسه في اتجاه غرف تغيير الملابس لحظة إطلاق الحكم رافشان أرماتوف صافرة نهاية المباراة. يحاول كلٌّ من «الساحر» خوان سيباستيان فيرون ومدربّ اللياقة في المنتخب فيرناندو سيغوريني مواساته. ثمّ يعانقه ديفغو أرماندو مارادونا ويقبّله، لكنّه (ميسي) لا يجد العزاء في ذلك كلّهُ. يؤكّد الأزغب (مارادونا) لاحقاً ما تعنيه دموع ميسي التي انهمرت خلال تحدثه في المؤتمر الصحفي؛ إذ استشاط غضباً، قائلاً: «أيّ شخص يدعي أنّه ليس فخوراً باللاعب مع منتخب بلاده فهو مجرد غبي».





ميسي

يشرح سيفغوريني الوضع قائلاً: «من الصعب رؤية ميسي على تلك الحال في غرف تغيير الملابس. قد يعتقد بعضهم أنه لا يحقّ له الشعور بذلك بسبب النجاحات التي يحقّقها في حياته. ولكن، لهذا السبب تحديداً أُجلب فتياً مثله؛ فهم يكسبون الملايين من الدولارات، لكنهم يجهدون بالبكاء في غرف تغيير الملابس، يُثبت ذلك أهمية الأمر بالنسبة إليهم».

تنتهي بطولة كأس العالم بالنسبة إلى ميسي بتلك الطريقة المليئة بالدموع، والإحباط، والألم، والشعور بقلّة الحيلة. غادر جنوب إفريقيا وهو يشعر بالفراغ والتيه وتأنيب الضمير؛ إذ لم يتمكن من تسجيل ولو هدفاً واحداً. لقد خيب آمال المشجعين الأرجنتينيين، حلم كان -لو تحقّق- ليوازي الإنجاز الذي حقّقه مارادونا في بطولة كأس العالم عام 1986م في المكسيك. وفشل في تأسيس ركائز لسمعة ناجحة برفقة الألبسيليستي. لقد غادر بطولة كأس العالم «خاصته» بعدما تعذّر عليه الظهور بمستواه الحقيقي؛ المستوى الذي مكّنه من الفوز بالكرة الذهبية، وأن يصبح النجم الأوحيد للبارسا، لكنّه الآن مجرد نجم خافت، شأنه شأن واين روني، وكريستيانورونالدو، وكاكا، وفرانك ريبيري. إنّها نهاية مؤلمة لقصة بدأت على نحو مغاير...

سبعة وأربعون هدفاً شكّلت سبباً وأربعين جوهرة على التاج الذي ارتداه ميسي في موسم 2009م-2010م، فاز خلاله بجائزة الحذاء الذهبي بوصفه هدّاف البطولات الأوروبية؛ إنجاز لم يتمكن أحد من تحقيقه من قبل، ولو من بعيد. وتمكّن من التغلّب على المهاجمين في كلّ من: الدوري الإسباني، والإنجليزي، والألماني، والإيطالي بفارق كبير؛ فغونزالو هويغواين يملك (27) هدفاً في جمعبته. أمّا دروغبا فسجّل (29) هدفاً، وآرين روبن (23) هدفاً، وأنتونيو دي ناتالي (29) هدفاً.





لعب ميسي في الدوري الإسباني أفضل من أي لاعب آخر، وحقق أفضل النتائج منذ انضمامه إلى الفريق الأول قبل ست سنوات. إنه هداف البطولة الذي تمكن من تسجيل هدفين في مباراة واحدة تسع مرّات، فضلاً عن تسجيل ثلاثة أهداف (هاتريك) أربع مرّات. لقد تمكن من تسجيل (34) هدفاً في الدوري معادلاً الرقم الذي حققه البرازيلي رونالدو في موسم 1996م-1997م. وتمكّن من تحطيم أحد الأرقام في سجّلات تاريخ البارسا؛ فأصبح أصغر لاعب في تاريخ النادي يتجاوز عتبة (100) هدف، متفوقاً على كثير من المهاجمين الكبار، أمثال: ريفالدو، وروماريو، وإيتو.

كانت (34) هدفاً حسمت لقب الدوري الذي حازه البارسا في المباراة الأخيرة بفوز كبير على بلد الوليد بنتيجة (4-0)، كان نصيب ميسي منها هدفين. لقد حسموا اللقب بعد صراع مرير مع الغريم التقليدي ريال مدريد الذي يقوده كريستيانو رونالدو؛ إذ جمع البارسا (99) نقطة من أصل (114) ممكنة، ما يعدّ رقماً قياسياً جديداً في الدوري الإسباني. لقد حاربوا بضراوة وبسالة في البطولة، مسجّلين (98) هدفاً، في حين استقبلت شبابهم (24) هدفاً فقط. ونجحوا في التغلّب على ريال فلورينتينو بيريث ذهاباً وإياباً. أمّا ليوفنجم في تخطي كريستيانو رونالدو الفائز بالكرة الذهبية عام 2008م، واللاعب الأعلى في التاريخ، والنجم الأول لفريق فلورينتينو. لقد نجح الفتى القادم من روزاريو في الوصول إلى القمة بعد الفوز بأربعة ألقاب في الدوري الإسباني خلال ست سنوات. لكنّ الأهم أنّه وصل مرحلة النضج، وأظهر شعوراً بالاتزان بوصفه لاعباً أو إنساناً.

يشرح الذراع الأيمن لبيب غوارديولا، تيتوفيلانوفنا هذا الأمر، قائلاً: «لم يعد يحاول تسجيل هدف القرن كلّما استلم الكرة. لقد نضج وأصبح يعي أهمية





هيسي

اللعب للفريق، وأخذ يؤثّر بصورة أكبر في الفرق المنافسة، وصار إيقافه الآن أكثر صعوبة».

لقد كان موسمًا مميزًا بالنسبة إلى ليو إذا استثنينا النكستين اللتين تعرّض لهما. كانت الأولى في الثالث عشر من شهر كانون الثاني عام 2010م، على ملعب رامون سانشير بيثخوان، في مواجهة إشبيلية. لعب البارسا بأداء عالٍ، وقدّم أفضل ما لديه، وصنع الفرصة تلو الأخرى، لكنّ بالبوب (حارس مرمى إشبيلية) نجح في التصدي لها جميعًا باستثناء واحدة.

وكان إشبيلية قد نجح في الإطاحة بالبارسا من بطولة كأس الملك بفضل الفوز الذي حقّقه ذهابًا بنتيجة (1-2). إنّها المرة الأولى التي يخرج فيها البارسا من بطولة في عهد بيب غوارديولا. يشعر ميسي بالانفعال، ولا تنفع كلمات المواساة التي تأتيه من زميله الأرجنتيني غابرييل ميليتو.

أوضح غوارديولا ذلك، بقوله: «لو كان شخصًا آخر لقال: «لا مشكلة»؛ ففي جعبتي كأس العالم للأندية، ولقب الدوري المحلي»، لكنّه لا يفكّر بتلك الطريقة. لقد كان الأكثر حزنًا من بين الجميع».

حلّت النكسة الثانية في الثامن والعشرين من شهر نيسان عام 2010م، على ملعب كامب نو. فقد نجح إنتر مورينيو في إقصاء البارسا من دوري الأبطال بفضل مباراة دفاعية بامتياز، أداها بأسلوب رائع في ميدانه بميلان؛ ليخرج حامل اللقب الأوروبي من نصف النهائي، ويفشل في تحقيق مبتغاه بالوصول إلى المباراة النهائية المنوي إقامتها على ملعب البرنابيو. لم ينجح الفريق في العودة كما كان يأمل جماهيره؛ إذ ودّع البطولة بهدف الشرف الذي أحرزه بيكيه في الدقيقة الرابعة والثمانين، هدف لا يكفي لتعويض نتيجة مباراة الذهاب





التي انتهت لمصلحة الإنتر (3-1) على ملعب سان سيرو. كانت النتيجة (0-1) في مباراة الإياب لا تكفي الفريق لحجز تذكرة الوصول إلى نهائي مدريد.

تتحطّم جهود البارسا أمام دفاع الإنتر المكوّن من (11) لاعبًا، وحتى المكوّن من (10) لاعبينَ بعد طرد تياغو موتا. لم يتمكن ميسي الذي سجّل أربعة أهداف في مرمى آرسنال فينغر من تسجيل أيّ هدف في فريق قائده مورينيو، والحديث هنا عن تشيلسي والإنتر. لم يكن أداؤه مميّزًا، لكنّ ذلك لم يمنع غوارديولا من الدفاع عنه، بقوله: «لا يوجد سبب لانتقاده. لقد لعبوا بستة مدافعين، اثنان منهم كانوا يراقبونه مراقبة لصيقة؛ سواء أكان في منطقة الوسط أم على الجناح». وقال مُدافعًا عن الفريق: «لا يوجد سبب يدعوهم إلى تقديم الاعتذار بعد هذه المباراة. أنا فخور بهم جميعًا». ثمّ يُرسل رسالة واضحة إلى المشجعين مفادها أنّه آسف لفشله في الوصول بالفريق إلى نهائي مدريد، ويعد بالمحاولة في السنة القادمة. لكن، وفي غضون ذلك يؤكّد «أنّه سيجمع شتات الفريق، ويواصلون المسيرة معًا».

وقد نجح في ذلك فعلاً؛ ففي السادس عشر من شهر أيار، أنشدت المدينة بأكملها: «نحن الأبطال، البارسا هم الأبطال». وحمل ليو الميكروفون في أثناء الاحتفالات باللقب، صارخًا: «هيا يا أرجنتين، هيا أيّها المجانين»، وسط عاصفة من التصفيق والأهازيج التي صدحت بها حناجر جماهير البلاوغرانا. إنهم يريدون منه أن يلعب على نحو جيد مع منتخب بلاده؛ أمنية يتمناها أيضًا الشعب الأرجنتيني بأكمله.

يصل ميسي إلى مطار إيزيزا ببوينوس آيرس، حيث سينضم إلى معسكر المنتخب التدريبي، ثمّ يصرّح قائلاً: «لقد حلمنا جميعًا برفع كأس العالم. لا يتعلّق الأمر بمنحه اللاعب مزيدًا من الأهمية، وإنّما - ببساطة - بجعله يمرّ





ميسي

بأفضل اللحظات إثارة في حياته. لقد غادرت بطولة كأس العالم لعام 2006م، وغيوني تقيض بالدمع بعد هزيمة الفريق أمام منتخب ألمانيا. أمل أن أغادر جنوب إفريقيا بالدموع أيضاً. ولكن، بدموع الفرح هذه المرّة». ثمّ يضيف: «اللعبة برفقة المنتخب الوطني هو أمر مختلف تماماً عنه مع برشلونة؛ نظراً إلى ضيق الوقت الذي نقضيه هنا في التدرّب والممارسة. لا أقصد بذلك أنّ المنتخب الوطني هو الأسوأ، بل هو الأفضل في العالم، لكننا لا نملك الكثير من الوقت للعمل. فكلّ شيء يحدث بسرعة؛ إذ نتجمّع مدّة يومين، ثمّ نخوض مباراة. يختلف الوضع عندما نكون في مجموعة مدّة طويلة. سنحافظ على هدوئنا ورباطة جأشنا عندما نتوجّه إلى خوض البطولة. نعلم أنّنا لسنا المرشّحين لإحراز اللقب، لكنّ ذلك أفضل بالنسبة إلينا؛ لأنّنا نستطيع وقتئذٍ إحداث المفاجآت.

يستحوذ البرغوث هذه المرّة على اهتمام وسائل الإعلام والجماهير من مختلف أنحاء العالم. حتى إنّ الزعيم الكوبي (السابق) فيديل كاسترو الذي لم يظهر علانية منذ أربع سنوات من جرّاء المرض، أشاد بالعبقريّة التي يتمتع بها ميسي. فقد وصف المهاجم الأرجنتيني في مقالة تتقد فضائح الإمبريالية التي تنتهجها الولايات المتحدة، بعنوان «على حافة المأساة»: «إنّه سريع كالبرق، يسدّد الكرة بسرعة خارقة؛ سواء بقدمه، أو برأسه».

واصل ميسي تسجيل النقاط فيما يخصّ المقارنة بمارادونا في الأرجنتين، على الرغم من حقيقة أنّ قلوب كثير من مواطنيه ما زالت مُعلّقة بدييغو. وفي حال استطاع ميسي الظهور بصورة رائعة مع منتخب الأرجنتين، والعودة بكأس العالم الذي يحلم به المشجعون منذ عام 1986م، فربّما - عندئذٍ - سيتخلّص من عباءة الأزغب إلى الأبد. مارادونا- ميسي، ميسي- مارادونا... يبدو



أنّ العلاقة بين الاثنتين قد أصبحت متزنة بعدما خالطها كثير من التقلبات والانتقادات والتصريحات المتضاربة، وكلّ الإشارات إلى عقدة أوديب.

لعب ميسي إحدى عشرة مباراة مع المنتخب منذ تولي مارادونا مهمة تدريبه، لم يتمكّن في أثنائها من تسجيل سوى ثلاثة أهداف. ثمّ تأتي أسوأ لحظاته مع الفريق في الرابع عشر من شهر تشرين الأول عام 2009م، حين يُتّمّ بعدم الاحتفال بالهدف الذي سجّله ماريو بولاتي في مرمى الأوروغواي، وهو هدف كفل للأرجنتين مكاناً في مونديال جنوب إفريقيا. ترتئي والدته سيليا التدخل للدفاع عن ابنها، فتقول: «إنّ تحدّث الناس عنه بسوء يُسبّب له الألم والحزن. لماذا يسعون للنيل منه دائماً؟ إنّ هذا الأمر يؤثّر فيه كثيراً، لدرجة أنّه يصعب عليه التعايش معه أو تقبّله بصورة أو بأخرى».

لا يُحسِن ليو التعامل جيداً مع الأزمات؛ إنّه أمر يعرفه زملاؤه في برشلونة جيداً. ومع ذلك، فهو لا يحصل على أيّ دعم من مارادونا. لقد طُفح الكيل؛ ما دفعه إلى الاتصال بالمدرّب، وإخباره بعدم رغبته في اللعب مع الألبسيليستي بعد الآن.

اتجه مارادونا على جناح السرعة إلى برشلونة في محاولة منه لاحتواء الأزمة. وهناك، أخذ الاثنان يتحدّثان إلى بعضهما بمنتهى الصراحة للمرّة الأولى. حاول المدرّب أن يُهدئ من روعه، وأخبره أنّ الأمور ستكون على ما يرام من الآن فصاعداً. لقد مثّل ذلك اللقاء لحظة مفصلية في تحوّل العلاقة التي تجمع الاثنتين معاً.

نصّب دييغو نفسه مُحامياً ليو، ومُدافعاً عنه، وأفرط في تدليله. فقد أكّد قبل آخر المباريات الاستعدادية لبطولة كأس العالم التي سيواجه فيها المنتخب الأرجنتيني نظيره الكندي، قائلاً: «لا أعرف رأي الناس في ليو. ولكن بمقدوري



ميسي

قول وجهة نظري أنا. أعتقد أنه الأفضل في العالم، وأنه أرجنتيني. لقد أخبرت اللاعبين فيما مضى بأنه إذا حصل ليو على الكرة فسنوجد الكثير من الفرص. أحاول أن أزرع في عقولهم روح الفريق، مُذكِّراً إياهم بضرورة تهيئة الظروف لميسي؛ كي يقدم أداءً مماثلاً لما يقدمه مع البارسا. يعي ميسي أن زملاءه يريدون منه أن يكون جوهرة التاج، وأن يكون القائد. فأخر ما يتطلعون إليه هو أن يلعب وحده في أثناء التدريبات أو المباريات. لا يمكنهم إمرار الكرة إليّ بعد الآن، فقد اعتزلت اللعب... لذا، إن لم يمرروها إلى ميسي فستذهب جهودنا أدراج الرياح».

عمل الأزغب على حمايته والاعتناء به، ومنحه الثقة، لكنّه كان - في الوقت نفسه - حذراً بسبب التجربة الشخصية التي مرّ بها. وقد أوضح مارادونا ذلك الأمر، قائلاً: «يحظى ميسي بدعم أكبر ممّا حظيت به أنا قبل مونديال المكسيك عام 1986م. لقد توليت قيادة الهجوم آنذاك، وتحكّمت في الكرة والفريق معاً. كنت أبدأ التخطيط واللعب ليتبعني زملائي فيما بعد. لقد شرحت الموضوع لميسي كي يقوم بالدور نفسه في جنوب إفريقيا، وهو يعي الأمر جيداً. لقد تحدثنا كثيراً في هذا الموضوع، وأحاول التأكّد من أنّ الأمور على ما يرام».

أخبر اللاعبين المخضرمون في الفريق، في بداية المعسكر التدريبي، بضرورة «جعل ميسي يشعر أنّه الأفضل». ولضمان العناية به، فقد وضعه في الغرفة نفسها مع «الساحر» فيرون الذي كان مرشد ميسي في أثناء بطولة كوبا أمريكا عام 2007م. وقد أظهر كلا اللاعبين انسجاماً وتناغمًا فيما بينهما.

وقد أشار مارادونا إلى ذلك في مقابلة أجراها مع صحيفة كلارين الأرجنتينية، قائلاً: «أنا أعتني به جيداً. الساحر لاعب مخضرم وأكثر خبرة من ليو. لكنهما ينسجمان في الحديث، وهو أمر يسرّني كثيراً».





بدأت ملامح الهدوء والرضا على ليو حينما كان يتحدث، والظاهر أنه أصبح جاهزاً للعب، وإحداث الفارق.

اقترب موعد المباراة الأولى في مرحلة المجموعات، حيث ستواجه الأرجنتين منتخب نيجيريا. صرّح مارادونا للصحافة، في أثناء المؤتمر الصحفي الذي سبق المباراة، بالآتي: «ما زال المنتخب الأرجنتيني قوياً كسيارة رولز رويس، لكن الاختلاف يكمن في أن ميسي هو من يقودها الآن». كما ذكره - ببساطة- أن يكون قائداً فذاً، واللاعب الأبرز على مرّ العصور.

أحيط ميسي بهالة من الاهتمام والحفاوة والمديح يوم السبت الموافق للثاني عشر من شهر حزيران، على ملعب أليس بارك في جوهانسبيرغ. إنه أفضل لاعبي المنتخب الأرجنتيني، وهو القادر على بثّ الحماسة بين صفوف الألبيسيلستي، ناهيك عن تفهمه لحاجات فريقه، والنظر إليه بوصفه اللاعب الأكثر نشاطاً في خطّ هجوم الفريق. أينما تُوّلي وجهك تشاهده يلعب بعزيمة لا تعرف الكلل؛ فتراه خلف المهاجمين، وعلى الجناح، وعلى خطّ الهجوم. إنه يجيد تمرير الكرات العرضية، ويصنع كثيراً من الفرص أمام المرمى (يضيّعها تيفيز وهيغواين)، إنه الأكثر حماسةً، وتسديداً على المرمى (ثمانية تسديدات، أربع منها بين الخشبات، تصدّى لها بمهارة حارس المنتخب النيجيري ونادي ليل الفرنسي فينسينت إنياما. لقد أبلى هذا الحارس بلاءً حسناً مكنه من الفوز بجائزة أفضل لاعب في المباراة.

قال إنياما لاحقاً: «أشكر الله، ثمّ أشكر ميسي على الفوز بالجائزة، فما قمت به من تصدّد للكرة كان بفضل الله. أنا مؤمن بالله، وعلى الرغم من أنني درست الأهداف التي سجّلها ميسي في الدوري الإسباني، إلا أنني لم أكن لأنجح لولا فضل الله. عليّ الاعتراف أيضاً بأنني لم أكن لأربح الجائزة لولا منازلتي لأفضل لاعب في العالم».





ميسي

تنتهي المباراة بفوز الألبيسيلستي بهدف بعد رأسية من غابرييل هاينزه، فيندفع مارادونا في اتجاه ميسي، حاملاً إياه بين ذراعيه. ثم يضمه بشدة إلى برّته وربطة عنقه الثمينتين، ويقبله بحرارة.

يُعدّ الأزغب المدرب الوحيد، في تاريخ بطولة كأس العالم، الذي يُقبل لاعبيه بعد كل مباراة، أو عند كلّ تبديل، لكنّ في قبلته لميسي اعترافاً بالمجهود الذي بذله هذا الأخير من أجل الفريق.

يشير مارادونا، وهو يقضم تفاحة في أثناء المؤتمر الصحفي الذي أعقب المباراة، إلى أنّ «ميسي استحوذ على الكرة طوال المباراة، وأنه كان يستمتع كلّما كانت الكرة بحوزته، ومن ثمّ كان يمتعنا جميعاً». لم يكن الأزغب الشخص الوحيد الذي يكيل المديح للبرغوث؛ فالعناوين الواردة من الأرجنتين وإسبانيا تُجمع على أنّ ليو كان أفضل لاعب في فريقه، وأنّه هو من قاد فريقه إلى النصر؛ نصر كان من المفروض أن يكون أفضل ممّا كان. وقد أجمعت الآراء على أنّ منطقة اللعب التي خصّصها مارادونا لفتى روزاريو خلف المهاجمين آتت أكلها، وأنّها تشبه الموقع المثالي الذي احتلّه مارادونا أيام عزّه. في المقابل، لم ينس المنتقدون الخلل الواضح الذي عاناه الفريق في خطّي الدفاع والوسط، ولم ينسوا التبديلات التي أجراها المدرب في الدقائق الأخيرة، وتسبّبت في معاناة الفريق. لكنّ الفريق نجح في التأهل للدور الثاني على الأقل، بفضل الانتصار الذي حقّقه الجميع، بمنّ فيهم ميسي بطبيعة الحال.

تستفيق الأرجنتين فرحة في اليوم اللاحق. وفي الثالث عشر من شهر حزيران، يدخل ميسي بصحبة غونزالو هيغواين إلى قاعة الصحفيين في معسكر الفريق في بريتوريا، ويقول بأسلوبه الهادئ نفسه: «لقد كانت مباراة جيدة. حظيت فيها بالكثير من حرية الحركة، وتلقّيت دعماً كبيراً من زملائي





في الفريق. كما تمكّنت من لمس الكرة بصورة أكبر. قمت بالتسديد من أمكنة أبعد من تلك التي اعتدتها، وقد فضّلت ذلك مع أنني ملكت خيار التقدّم إلى الأمام».

وحين سأله الصحفيون عن مدى اتكال الفريق عليه، ردّ قائلاً: «الفريق لا يعتمد عليّ وحدي. بل على العكس؛ فأنا من يعتمد على لاعبي الوسط للحصول على الكرة». لا يتصرّف ميسي كعادته كالنجم المطلق، ويُردّد دائماً: «أنا مجرد لاعب في الفريق». من الواضح أنّه يشعر بالسعادة مع الفريق، ويؤكّد ذلك بقوله: «أشعر بالسعادة نفسها التي تراودني حين ألعب مع البارسا. أعرف أننا سنلعب بصورة أفضل من دون الضغوط التي واجهتنا في أثناء التصفيات. لقد استمتعت جدّاً في مباراتنا أمام نيجيريا».

من الواضح أنّ الحال قد تغيّر، وأنّ الماضي قد أصبح نسيّاً منسياً، تماماً كما نوّه بذلك في مقابلة مع قناة تاي سي سبورت: «لم أكن على طبيعتي مع المنتخب الوطني. لم أكن ألعب بالطريقة نفسها التي ألعب بها مع برشلونة، لقد كان الأمر واضحاً. لكنني دائماً ما حظيت بالدعم من ديبغو، وبفضل الثقة التي منحني إيّاها زملائي في الفريق، فقد تغيّر كلّ شيء الآن. لقد تناسيت ما حصل في أثناء التصفيات، وكنت على ثقة بأننا سنبدأ بداية جديدة في النهائيات. كان عليّ استغلال ذلك. والآن، سأظهر للجميع معدني الحقيقي، ويتعيّن عليّ مواصلة ذلك. أودّ لو يشعر الأرجنتينيون حيالي بالشعور نفسه الذي أحظى به من جمهور برشلونة. يتعيّن عليّ مواصلة إثبات جدارتي، وشكراً لله على عودتي إلى الطريق الصحيح».

أعدّ الأزغب مفاجأة كبيرة لليو، أخبره بها في غرفته قبل الموعد بيوم. شعر ميسي بسعادة غامرة؛ فسوف يرتدي شارة القيادة أول مرّة. وبعد مباراة





ميسي

شاقّة أُقيمت في أجواء باردة على ملعب بيتر موكابا في مدينة بولوكواني، تغلّب فيها منتخب الأرجنتين على منتخب اليونان بنتيجة (2-0)؛ نجح الفريق بتحقيق انتصاره الثالث الذي ضمن له التأهل لدور الستة عشر في صدارة المجموعة. تحمّل القائد وطأة المراقبة اللصيقة من باباستاثوبولس؛ إذ كان صاحب الرقم (19) يتحرّك مع ميسي طوال المباراة كظله. وكلّما تمكّن ميسي من التخلّص منه، وجد نفسه محاطاً بثلاثة لاعبين آخرين من المنتخب اليوناني. وفي هذه الأثناء، كان مارادونا - من على الدكّة - يتألّم، وهو يشاهد تلميذه يتعرّض للإعاقة تلو الأخرى، وكره أن يشاهده محاصرًا بهذه الصورة.

تمكّن ليوم من التحرُّر فقط بعد الهدف الذي سجّله ديميكيليس؛ فقد اتسعت له مناطق اللعب جميعها، وتمكّن من إظهار معدنه الحقيقي. فتراه يتجاوز اللاعبين، ويُسدّد بقوة بقدمه اليسرى، لكنّ كرته ترتطم بالقائم. ثمّ ينطلق من الجانب الأيمن عند الدقيقة الثامنة والثمانين، ويلعب الكرة بطريقة (واحد- اثنين) مع دي ماريا، مُسدّدًا على القائم البعيد. ومع أنّ الحارس تزورفاس تمكّن من التصدي لتسديدة ميسي، لكن المخضرم مارتن باليرمو استطاع استغلال الكرة المرتدة، مُسجّلًا هدف الاطمئنان لفريقه، وجاعلاً مارادونا في قمة السعادة.

حلّ يوم الرابع والعشرين من شهر حزيران؛ إنّه عيد ميلاد ميسي الثالث والعشرون. وفيه صرّح بالآتي: «لقد وصلت إلى ما أنا عليه اليوم بفضل ما علمني إياه مارادونا». فيعقب مارادونا قائلاً: «أشعر بالإطراء، لكنّ ليو على ما هو عليه اليوم؛ لأنّه يريد أن يكون كذلك. يمكنكم ملاحظة السعادة التي يشعر بها. إنّه يستمتع بوقته، ويودّ اللعب بشدّة وحماسة. لذا، أقول لكلّ من اعتقد أنّ ميسي لا يمكنه التفاعل مع المجموعة، وأنّه يبدو حزينًا دائمًا: ومن يحبّ الخسارة؟ لقد خسرنا في أثناء التصفيات. لكنّ الوضع قد تغيّر الآن، والجميع يشعر بالفخر؛





لأنهم جعلوا ميسي سعيداً، خاصة زملاءه في الفريق». استمر مارادونا في كيل المديح، قائلاً: «لا أحد يساوي 30٪ من قيمة ميسي في بطولة كأس العالم هذه. لا أحد يستطيع مجاراته».

يواجه الأرجنتين المنتخب المكسيكي في دور الستة عشر، يوم السابع والعشرين من شهر حزيران، على ملعب سوكر سيتي في جوهانسبيرغ. خسر ميسي الرهان مع مارادونا؛ نظراً إلى فشله في تسجيل أي هدف. لذا، قال صاحب الرقم (10) مماًزحاً بعد نهاية المباراة: «يتعين عليّ التسجيل في مرمى ألمانيا، والأفسينتهي أمري».

تمكّنت الأرجنتين من التغلّب على المكسيك التي يقودها المدرب خافيير أغيري بنتيجة (3-1) بأقل مجهود. فقد افتتح تيفيز التسجيل بهدف يبدو فيه التسلّل واضحاً. يقول ميسي الذي هيأ كرة الهدف الذي سجّله «الأباتشي» تيفيز بالرأس: «اعتقدت لوهلة أنّهم سيلغون الهدف؛ لأنهم كانوا ينظرون إلى الإعادة. ولكن، لحسن الطالع فقد أقرّوا بصحة الهدف».

لا تبدو المباراة سهلة بالنسبة إلى ميسي الذي يبدو عليه الانزعاج؛ إذ تحتم عليه مراراً العودة إلى منتصف الملعب للدخول في أجواء اللعبة. يلعب خطّ وسط الألبسيليستي على نحو سيّئ، وذلك دفع البرغوث إلى الاعتماد على نفسه، واللعب بعيداً عن المنطقة التي يشكّل فيها الخطر الأكبر. أشعل هذا الأمر النقاش مجدّداً بشأن الموقع الذي حدّد لصاحب الرقم (10)، وخطّ وسط الفريق، والتشكيلة التي اختارها مارادونا. وفي ذلك، كتبت صحيفة كلارين متسائلة: «لقد وصل الفريق إلى ربع النهائي، لكنّ أبرز نجومه (ميسي) مُختفٍ عن الأنظار، كما كان عليه الحال في المباراة الأولى من دور المجموعات. فهل هو في موقع يساعده على الأداء بأفضل ما لديه؟ هل يحظى بالدعم اللازم؟».





ميسي

تدعو الصحيفة الأرجنتينية هذه إلى إحداث تغيير في خط الوسط؛ لمنح ميسي الحرية، كي لا يضطر إلى الجري بعيداً عن المرمى، فهم في نهاية المطاف لن يقوموا بوضع أفضل لاعبي العالم على الدكة.

جمعت المواجهة اللاحقة منتخب الأرجنتين بالمنتخب الألماني الذي أقصى نظيره الإنجليزي ومدربه فابيو كابيللو. ضم الفريق الذي يدرّبه خواكيم لوف مجموعة خاصة من «الماكينات» التي تتميز بكرة قدم متطورة واستعراضية، يديرها نخبة من اللاعبين المتميزين، من أمثال: مولر، وأوزيل، وخضيرا، وكروس. إنه فريق يجلب ذكريات سعيدة وأخرى حزينة للأرجنتينيين: الانتصار بنتيجة (2-3) في نهائي بطولة كأس العالم عام 1986م في المكسيك، ودموع مارادونا التي انهمرت بعد الخسارة في نهائي البطولة نفسها عام 1990م في إيطاليا، والخسارة بركلات الترجيح في ربع نهائي هذه البطولة عام 2006م. ستكون الذكريات حزينة هذه المرة أيضاً. فقد حطمت ألمانيا آمال الأرجنتين بفوز صريح تحقّق من لعب جماعي متميّز في الأداء والمهارة. إنه نصر مؤزّر حقّقه فريق شفانشتايغر على الأرجنتين التي اكتفت بالأحلام، والحماسة، والكثير من الفوضى التكتيكية.

وبذا، فقد فشلت خطة مارادونا التي نالت الإعجاب بإنصاف ميسي مرّة تلو الأخرى، وفي أكثر المباريات أهمية. لقد حاول تنظيم اللعب وتوجيه دفته. ولكن، باستثناء بعض الاقتحامات العقيمة، والاعتراضات الغريبة، وتسديدتين بعيدتين، فلا شيء يُذكر، سوى القول: إنّ شفانشتايغر وزملاءه نجحوا في إيقافه من دون أن يضطروا إلى ارتكاب ولو خطأ واحداً.

خسر ليو الكرة (12) مرّة، ولم ينجح في استعادتها، كلّ ذلك بسبب لعبه بعيداً عن المرمى. لقد ألمته حقيقة أنّ زملاءه لم يمرّروا له الكرة في المرّات





القليلة التي نجح فيها بالتملّص من الرقابة. لقد تُركَ وحيداً، معزولاً، يواجه خطر الفرق من دون أدنى مساعدة.

سجّله التهديفي يبعث على الأسى؛ فقد لعب خمس مباريات، وسدّد أكثر من أيّ لاعب آخر (ثلاثون مرّة، اثنتا عشرة منها بين الخشبات، واثنتان ردهما القائم)، لكنّه لم يكن محظوظاً قطّ في التسجيل. ذلك ليس أسوأ ما في الأمر؛ فمِنذ مبارياته الأولى أمام نيجيريا، أصبحت مكانته تتقلّص شيئاً فشيئاً. لقد عدّه الجميع لاعباً خارقاً قادراً على فعل أيّ شيء، لكنّه ظهر أمام ألمانيا لاعباً عادياً. إلامَ تُعزى هذه الكارثة؟ من المُتسبّب فيها؟ أهو اللاعب الذي يرقّ للمناسبة؟ أم الموقع الذي حدّده له مارادونا، تاركاً إيّاه بعيداً عن المرمى؟ أم ربّما تشكيلة (5-1-4) التي جازف بها مارادونا، وأثبتت فشلاً ذريعاً أمام الألمان؟ استقر الأمر في نهاية المطاف، على عزو ذلك إلى نقص عدد لاعبي الوسط؛ فالجميع مقتنع أنّه لو كان عددهم أكبر لأتاح ذلك ظروف لعب أفضل لليو.

روت العناوينُ الصادرة في الصحف الأرجنتينية في اليوم المقبل، القصة على لسان كثير من الخبراء والنقاد والمحلّلين:

كلارين: «المنتخب الوطني يتعرّض للإذلال في بطولة كأس العالم. أسوأ نتيجة منذ عام 1974م».

لانا سيون: «ألمانيا تسحق الأرجنتين».

أوليه: «لا أهداف أو مجد لميسي».

بيرفل: «ميسي والأرجنتين يذرفون الدموع».

وصف مارادونا الوضع بعد المباراة بقوله: «إنّها أصعب لحظات حياتي، يا لها من صدمة مؤلمة!». أمّا ميسي فقد لاذ بالصمت، ولم يتمالك نفسه؛ فأجّش بالبكاء.





ميسي

وبعد أيام عدّة، نشرت مدوّنة صينية تُدعى تينسينت - على صفحتها - قولاً لميسي، جاء فيه: «يتأبني شعور سيئ جداً. أريد العودة إلى البيت. لقد لعبنا بصورة مبتذلة، وخبّينا أمل الجميع، يتعيّن علينا البدء من جديد الآن».

عندما سجّل زميله في البارسا أندرياس انيستا هدفَ الفوز الذي منح إسبانيا لقبها الأول في بطولة كأس العالم، كان ميسي في مكان بعيداً جداً عن جنوب إفريقيا. وقد حرصت عدسات مصوري المشاهير على التقاط صور له في أثناء وجوده بريودي جانيرو برفقة صديقه، وهو مكان ليس ببعيد عن ذلك الذي سيحتضن بطولة كأس العالم عام 2014م. سيكون ميسي في سنّ السادسة والعشرين آنذاك، وهي السنّ نفسها التي تمكّن فيها مارادونا من الفوز بكأس العالم عام 1986م، ونصّب نفسه ملكاً على العالم... مَنْ يدرى؟ فربّما ينجح في التتويج حينها.





الفصل الثامن والثلاثون

مفاجأة

العاشر من كانون الثاني عام 2011م



وجه غوارديولا كتاب مفتوح. ارتسمت على مُحَيَّاه تعابير تساوي ألف كلمة؛ أهي عواطف، أم مفاجأة؟ مَنْ يدري؟ فقد تكون خيبة أمل رجل أو بلد بأكمله. توّلى مدربّ البارسا مهمة فتح المغلف الذي يحوي اسم الفائز، مع أنّ مجلة فرانس فوتبول ودّت لوقام يوهان كرويف بهذه المهمة، في حين كان ديفيد بيكام خيار الفيفا الأول. صمت هُنيهة، ثمّ افتتح الحديث قائلاً: «سيداتي سادتي» (بالإنجليزية وفقاً للأعراف)، ثمّ تحوّل للحديث بالكاتالونية قائلاً: «الفائز هو...»، ثمّ كرّر الجملة نفسها بالإسبانية والإنجليزية.

سُلّطت آلات التصوير على المرشّحين الثلاثة من أبناء النادي: أندرياس انيستا، وليونيل ميسي، وتشافي هيرنانديز. إنّها ثلاثية غير مسبوقه في تاريخ البلاوغرانا، واعتراف صريح بأسلوب النادي وإرثه التعليمي. لم تشهد الجائزة مثل هذا الاكتساح منذ ثمانينيات القرن الماضي حين فعلها نادي آي سي ميلان، الذي كان قاده آنذاك المدربّ أريغوساكي مرّتين متتاليتين؛ ففي عام 1988م، رُشّح للجائزة الثلاثي ماركوفان باستن، وزميلاه في الفريق: رود خوليت، وفرانك ريكارد. أمّا عام 1989م فشهد فوز فان باستن للمرّة الثانية، متبوعاً بفرانكو باريزي، وفرانك ريكارد.





ميسي

فتح غوارديولا المغلف والدموع تترقرق في عينيه، ثم أظهر البطاقة التي كُتِبَ عليها اسم الفائز. إنها موجّهة - سهوًا - نحو الحضور الذين تمكّنوا من مشاهدة اسم الفائز. سادت حالة من الارتباك أنحاء القاعة هُنيهة، قبل أن يقلب المقدّم البطاقة ويعلن اسم «ليونيل ميسي». بعدها بأيام، سأل الصحفيون غوارديولا عن الإشاعات التي راجت بخصوص فوز انيستا، فأجاب: «أعتقد أنّ ميسي هو الأفضل».

فوجئ جميع الحاضرين في قصر زيوريخ للمؤتمرات. لم يكن أحد يتوقّع ذلك، ولا حتى ميسي نفسه؛ إذ نهض فتى روزاريو من مقعده منبهراً مرتبكاً، وهو يُغلق أزرار سترته ماركة دولتشي وغبانا، ويُعدّل ربطة عنقه، ويخرج لسانه على طريقة مايكل جوردان بعد تسجيله سلّة رائعة، ثمّ اعتلى خشبة المسرح.

صافحه بيب، ثمّ ناوله الجائزة، وأخذ يرتب على ظهره، ثمّ أحاله إلى رئيس الفيفا جوزيف بلاتر. وفي هذه الأثناء، كانت آلات التصوير تتفحص الحضور؛ بحثاً عن سيليا وخورخي اللذين ظهرا ممسكين بيدي بعضهما بعضاً، وظهر رئيس نادي برشلونة ساندر روسيل مبتسماً. لقد حان الآن الوقت المخصّص لكلمة الفائز.

اتكأ ليو على المنصة قائلاً: «عمتم مساء. أشكركم جميعاً على التصفيق. في واقع الأمر... لم أكن أتوقّع الفوز في هذه الأمسية. كان يكفي أن أكون هنا بصحبة زملائي في الفريق، لكنّ الأمر أصبح أكثر بهاء وإثارة بالفوز. إنّه يوم مميّز جدّاً بالنسبة إليّ. أودّ مشاركة زملائي في الفريق هذه الجائزة، فلولاهم ما كنت هنا. وأودّ مشاركتها مع الناس الذين أحبّ، الذين وقفوا إلى جانبي دائماً، ولم يبخلوا عليّ بالدعم. وكذا مع برشلونة والأرجنتين». مزيد من التصفيق، تبعه عرض لأبرز اللحظات التي مرّ بها هذا الأرجنتيني، تعليقات مهنّئة، وصورة عائلية مع صاحبي المركزين: الثاني، والثالث.



فاز ميسي بجائزة الفيفا لأفضل لاعب في العالم عام 2010م، مع أنّ الترشيحات جميعها صُبت في خانة أندرياس انيستا وتشافي هيرنانديز. لقد جاءت الجائزة تتويجًا للإنجازات الفردية عن الموسم المنصرم، مراعية السجل السابق، ومدى التأثير في الفريق، إلى جانب اللعب النظيف. وقد تقرّر هذا العام - أول مرّة - دمج جائزة الكرة الذهبية التي استحدثتها مجلة فرانس فوتبول عام 1956م، في جائزة أفضل لاعب في العالم التي تمنحها الفيفا منذ عام 1991م. وبعبارة أخرى، فقد اختير ميسي هذا العام بوصفه أفضل لاعب، بناءً على ترشيح صحفيين من جميع أنحاء العالم، إلى جانب مدرّبي (208) منتخبات وطنية وقادتها.

حصل الأرجنتيني على (853) نقطة؛ أي ما نسبته 65، 22٪ من عدد المرشّحين، في حين حصل انيستا على (677) نقطة؛ أي بنسبة 36، 17٪، وحلّ تشافي ثالثًا بعد حصوله على (637) نقطة؛ أي بنسبة 48، 16٪.

أصبح ليو بذلك أصغر لاعب يحصل على الكرة الذهبية مرّتين في سنّ الثالثة والعشرين. علمًا بأنّ ألفريدو دي ستيفانو كان في سنّ الثالثة والثلاثين حين فاز بالجائزة للمرّة الثانية عام 1959م. أمّا ميشيل بلاتيني فكان في التاسعة والعشرين، ويوهان كرويف في السادسة والعشرين تقريبًا، وكذا رونالدو حين فاز بجائزته الثانية بعد بطولة كأس العالم عام 2002م في كوريا الجنوبية واليابان، في حين يُعدّ ماركو فان باستن الأقرب؛ إذ فاز بجائزته الثانية قبل سنّ الخامسة والعشرين بقليل.

صرّح انيستا عقب الحفل قائلاً: «على الرغم من علامات خيبة الأمل البادية على مُحيّاه بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الفوز، فإنّ ميسي يستحق الفوز. إنّه الأفضل من دون شكّ. أشعر بسعادة غامرة في هذه اللحظات. استضافتي هنا هي جائزة بحدّ ذاتها».





ميسي

أمّا تشافي صاحب المركز الثالث فقال: «كلّ شيء ممكن. في الواقع، فإنّ أيّاً منّا - نحن الثلاثة- لم يكن يعلم من الذي سيفوز. لكن، عندما فاز بها ميسي، شعرت أنّ عدالة كرة القدم قد تحقّقت؛ لأنّه أفضل لاعب في العالم، والقادر على إحداث الفارق في كلّ مباراة. لا يضيرني أنّني لم أتمكن من الفوز. فالجوائز الفردية لا تراعى فيها العدالة على الدوام، وإنّ كرة القدم هي لعبة جماعية في المقام الأول. يوجد لاعبون يستحقون الفوز بالجائزة، مثل: راؤول، وكاسياس، وبويول، لكنّهم لم يفوزوا بها. لقد استقرت الجائزة في عائلتنا مرّة أخرى في نهاية المطاف؛ مع البارسا، وأكاديمية الشباب في النادي؛ لا ماسيا». من الصعب تصديق أنّ أيّاً منهم لم يكن يعرف هوية الفائز. لكن، يبدو ذلك صحيحاً بالنظر إلى ردّة فعل ميسي؛ فقد كان فتى روزاريو هادئاً تماماً في أثناء وجوده في القاعة قبل الإعلان عن الفائز، كان أكثر هدوءاً ممّا كان عليه حين فاز بجائزة الفيفا لأفضل لاعب في العالم عام 2009م.

شارك الجميع في الاحتفالات المقامة في فندق هايات. لا يبدو عليه أنّه يعلم نتيجة التصويت سلفاً، بل كان مقتنعاً أنّ الفائز سيكون إسبانياً؛ لأنّ المنتخب الإسباني نال بطولة كأس العالم.

قال ليو: «لن أمانع فوز أيّ من تشافي أو انيستا بالجائزة، فكلاهما يستحقها». لم يكن ليو يعلم أنّه سيفوز بالكرة الذهبية للمرّة الثانية، خلافاً لجوزيه مورينيو الذي علم بفوزه بجائزة أفضل مدرب، متقدّماً على المدير الفني للمنتخب الإسباني فيثيني ديل بوسكي، ومدرب البارسا بيب غوارديولا. لم يكن يتوقّع الفوز بعد الأداء الذي قدّمه في بطولة كأس العالم. لذلك نجده مسترخياً عندما صعد إلى منصة قاعة المؤتمرات بوصفه أحد «أعضاء الفريق المثالي لعام 2010م» (كاسياس، وبويول، بيكيه، لوسيو، مايكون، انيستا، تشافي،





شنايدر، كريستيانورونالدو، فيا، ميسي)، ولم تظهر على مُحَيَّاه أمارات القلق التي اعترته قبل تقديم الجائزة في السنة السابقة.

أشارت عقارب الساعة إلى الثامنة وخمس دقائق مساءً، الوقت الذي أعلن فيه غوارديولا اسم الفائز، فقط حينها أدرك ليو أنّ ما كان مستبعدًا قد أصبح حقيقة؛ إذ ساق له القدر الهدية التي كان يتمناها، لكنّه لم يكن يجرؤ على طلبها. بدا محرّجًا لدى حمله الجائزة، واعترته ملامح الاعتذار تجاه زملائه في الفريق أمام آلات التصوير والميكروفونات.

في طريق العودة إلى برشلونة على متن طائرة خاصة، وبعد نزع البزة وربطة العنق، وارتداء ملابس أكثر راحة بالنسبة إلى ميسي، رفع كأسه مقترحًا نخبًا، ثمّ قال: «لتشافي وانستا. مع أنّي فزت بالجائزة، إلا أنّهما يستحقانها أيضًا».

لندع المفاجأة جانبًا، ولنتابع ما قاله المرشّحون والفائزون الآخرون، الذين تُبَيِّ أقوالهم وتعليقاتهم بعدم وجود اعتراض على فوز ميسي. يقول جوزيه مورينيو على سبيل المثال: «ميسي وانستا وتشافي لاعبون متميّزون بالنسبة إليّ. وعندما يفوز لاعب أكثر تميُّزًا (مثل ميسي) بالجائزة، فعلى الجميع احترام ذلك. من الواضح أنّي كنت أتمنى فوز شنايدر بعد كلّ ما فعله في العام المنصرم، أو كريستيانورونالدو؛ لأنّني أدربّه حاليًّا، أو ديبغو ميليتو، لكنّني أحترم القرار الذي اتخذه راعي الجائزة».

أدلى فيثينتي ديل بوسكي من جانبه، - الذي تسرّب إليه خبر مفاده أنّه سيكون هو الفائز بجائزة أفضل مدربّ - بتصريح للصحافيين، قائلاً: «لا يوجد خاسرون هنا. كان من الصعب جدًّا اختيار الأفضل، وأعتقد أنّ كلّاً من مورينيو وميسي يستحقان الفوز».





ميسي

أمّا قائد ريال مدريد والمنتخب الإسباني إيكر كاسياس، فله رأي مخالف؛ إذ يقول: «أنا أفضل التركيز على المعايير المتّبعة فيما يخص اختيار الفائز بالكرة الذهبية... لطالما كان كأس العالم عاملاً حاسماً في مثل هذا النوع من الجوائز، لكنهم تجاهلوا الأمر عندما فازت إسبانيا باللقب. أقلّ ما يمكن قوله هو أنّ الحظ خاننا. يشعر الإسبان كافة بقليل من عدم التقدير. كنت أودّ لو يفوز انيستا أو تشافي، لكننا سنواصل الكفاح للفوز بها يوماً ما».

يُذكر أنّ لاعباً واحداً فقط إسباني المولد تمكّن من الفوز بجائزة الكرة الذهبية؛ يدعى لويس سواريز، وذلك عام 1960م.

استمر النقاش في اليوم اللاحق، واحتلّ هذا الموضوع غالبية العناوين الرئيسية للصحف الإسبانية الصادرة. فقد عنونت صحيفة أس صدر صفحتها بالآتي: «إسبانيا غاضبة. الذهب لميسي وخيبة الأمل لإسبانيا». ثمّ ذكرت هذه الصحيفة المدريدية في تفاصيل الخبر ما يأتي: «جرت العادة أن يُختار الفائز بالجائزة من الفريق الذي حظي بكأس العالم في السنة السابقة، لكنّه أمر غُضّ الطرف عنه، والظاهر أنّه قرار مبني على إنجازات سابقة». ثمّ أضافت لاحقاً: «لم يكن ميسي ليصل إلى ما هو عليه الآن لولا تشافي وانبيستا».

تشكو صحيفة ماركا من جانبها، على صدر صفحتها هذه النتيجة، قائلة: «عملاقان (ميسي ومورينيو) ومقاطعة الإسبان. يصفع بلاتر كرة القدم الإسبانية للمرّة الثانية خلال شهر. لقد حرّمنا حقّ تنظيم بطولة كأس العالم عام 2018م في كانون الأول، والآن، يحرم تشافي وانبيستا وديل بوسكي من الجوائز».

أطلقت ماركا استفتاءً أيضاً على موقعها الإلكتروني: «هل كان قراراً عادلاً فوز ميسي بالكرة الذهبية؟». وصل عدد المصوّتين إلى (800,000) في أقلّ



من (12) ساعة، وقد أسفرت نتائج الاستفتاء عن معارضة ما نسبته 2,68% من المصوّتين لقرار الفيفا ومجلة فرانس فوتبول.

لم تنحصر خيبة الأمل فيما يخصّ قرارات الفيفا في المصوّتين عبر شبكة الإنترنت ووسائل الإعلام الرياضية في مدريد فحسب؛ إذ حملت صحيفة إل بايسس الوطنية بين طيّاتها مقالاً لخوزيه سيامانو، يعلّق فيه على عدم منح إسبانيا أيّ جوائز: «كان يجب أن يكون كأس العالم عام 2010م في جنوب إفريقيا المقياس الرئيس لاختيار الفائز بالكرة الذهبية. ليس لأنّ كأس العالم هو أهم مناسبة كروية فحسب، بل لأنّها انعكست على المرشّحين الثلاثة. فقد نجح ميسي في تحقيق الانتصارات عندما لعب إلى جانب تشافي وانيستا، لكنّه فشل من دونهما في كأس العالم. أمّا هذان الإسبانيان فقد نجحا في الوصول إلى القمة من دون مساعدة الأرجنتيني. لا يرمز تشافي وانيستا إلى أسلوب جذّاب في كرة القدم مثل ميسي فحسب، بلّ يمثّلان أيضاً منتخباً وطنياً حقّق نجاحاً منقطع النظير في آخر بطولتين خاضهما كلّ منهما. يُذكر أنّه منذ سُمِح لغير الأوروبيين بالتنافس على الجائزة، بدءاً بعام 1995م، فإنّ جميع من فازوا بها كانوا قد أحرزوا لقب كأس العالم في العام الذي سبقها، مثل: زيدان عام 1998م، ورونالدو عام 2002م، وكانافارو عام 2006م. ربّما يجب أن ننظر إلى الصورة العامة هنا، ونسأل عن سبب خسارة إسبانيا عندما يشمل التصويت مختلف دول العالم، وأقصد هنا أولمبياد عام 2016م، وكأس العالم عام 2018م، والكرة الذهبية عام 2010م.... ميسي يستحق الفوز، لكنّ كرة القدم الإسبانية لا تستحق اللامبالاة التي أصابتها، إنّه يوم لن تنساه برشلونة».

إذا كانت الانتقادات وخبية الأمل «المدوّلة» قد اجتاحت مدريد، فإنّ النقاش حيال المعايير التي أتّبع في منح الجائزة كان مشتعلًا أيضاً في إيطاليا وفرنسا. ويبدو أن لا أحد يتفق مع خيار منح الجائزة لميسي.





ميسي

عنونت صحيفة غازيتا ديللو سبورت صدر صفحتها بعبارة: «ميسي لا، وألف لا»، ملخّصة الشعور العام الذي انتاب الصحافة الإيطالية. فقد بدا فوز البرغوث للمرة الثانية على التوالي أمرًا «لا يصدّق» بالنسبة إلى صحف الإثارة التي كانت قد توجت انيستيا باللقب سلفاً، فضلاً عن كونه «ظالمًا»: لأنه «لا يعكس بأيّ حال» أفضل لاعب عام 2010م.

أمّا صحيفة لا ستامبا الصادرة في تورينو، فكتبت أنّ «كرة القدم ضلّت الطريق» لأنّ «ميسي لم يفز بأيّ لقب منذ مدّة». يبدو أنّ الأهداف الثمانية والخمسين التي سجّلها ميسي في الموسم المنصرم، وساعدت البارسا على الفوز بالدوري للمرّة الثانية على التوالي، وخطف لقب كأس السوبر أمام إشبيلية؛ ليست ذات أهمية، ناهيك عن البداية النارية التي حقّقها الأرجنتيني في الموسم الحالي (28 هدفًا في 26 مباراة). كلّ ما يهم بالنسبة إليهم هو كأس العالم، ودوري الأبطال.

لم تكتفِ وسائل الإعلام الفرنسية والإيطالية بالتشكيك في قدرات ليو فحسب، بل ألقت الضوء على الطريقة الجديدة التي تتبناها الفيفا في انتقاء المرشّحين. كان أول انتقاد قد صدر في السادس والعشرين من شهر تشرين الأول المنصرم، حين صدرت قائمة المرشّحين التي ضمّت (23) لاعبًا، وحلّت من ديبغو ميليتو الذي كان العامل الرئيس لفوز إنتر ميلان بالدوري الإيطالي ودوري أبطال أوروبا، فما تفسير ذلك؟ ومن ناحية أخرى، لماذا رُشّح اسم أسامواه جيان (لعب لنادي رين الفرنسي، وينشط حاليًا في نادي سندرلاند الإنجليزي) الذي لم يفعل شيئًا سوى تسجيل ثلاثة أهداف في بطولة كأس العالم برفقة منتخب غانا؟

تستعر المناقشة حين تُعلن القائمة المختصرة في الخامس من شهر كانون الأول؛ فالإيطاليون لا يفهمون سبب تجاهل القائمة للهولندي شنايدر





الذي فاز بالثلاثية (الدوري الإيطالي، ودوري الأبطال، وكأس إيطاليا) رفقة نادي الإنتر، ووصل إلى نهائي بطولة كأس العالم التي سجّل فيها خمسة أهداف. (تبيّن لاحقاً أنّ شنايدر كان ليفوز بالجائزة، ويحلّ ميسي رابعاً لولا تصويت الصحفيين). لم يتخيّل أحد - في أيّ حال من الأحوال - أن يفوز الأرجنتيني؛ فالكلّ يعتقد أنّ انيستا الذي سجّل هدف الفوز في نهائي بطولة كأس العالم سيُنوّج بالجائزة. لكنّ ذلك لم يحدث... ويستمر اللغط.

يؤكد رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم ميشيل بلاتيني ذلك الأمر، قائلاً: «ما حدث لم يكن فضيحة. ولكن، أعتقد أنّه كان عليهم منحها للاعب نجح في كأس العالم، تماماً كما حدث مع باولوروسي عام 1982م». (العام الذي تغلّبت فيه إيطاليا على إسبانيا).

تجري الأمور في برشلونة على نحوٍ مغاير؛ إذ تصر صحيفة موندو دييورتيفو على أنّ «اللاعب الأفضل بلا منازع ليس في حاجة إلى الفوز بكأس العالم لكي يفوز بالكرة الذهبية». أمّا صحيفة سبورت فتعنون: «الذهب لميسي، والمجد للبارسا»، مؤكّدة أنّه بصرف النظر عن الجوائز الفردية فإنّ الفائز الأكبر هو نادي برشلونة. وفي المقابل، تُعدّ دون بالون الرياضية الأسبوعية المجلة الوحيدة التي تأخذ منحى مغايراً، فتكتب في افتتاحيتها: «لا يختلف أحد على أنّ ميسي هو الأفضل. ولكن، إذا نظرنا إلى عام 2010م على حدة، فإنّ تشافي - مع احترامي الشديد لانيستا - هو الذي يستحقّ الجائزة».

أمّا في الأرجنتين، فنجد اتفاقاً نادراً؛ إذ كالت الصحف جميعها المديح لميسي، فكتبت كلارين: «ميسي هو الأفضل مرّة أخرى». أمّا لاسيون فكتبت: «العالم عند قدمي ميسي». في حين كتبت باغينا 12: «ميسي ذهب صافٍ».





ميسي

بينما نجد صحيفة أوليه الرياضية تعنون على صدر صفحاتها عبارة «سرّ ذهبه»، مقتبسة ذلك من اسم الفيلم الأرجنتيني المشهور «سرّ عينيهم» للمخرج خوان خوزيه كامبانيا، وبطولة الممثل الأرجنتيني المشهور ريكاردو دارين.

علّق رئيس الاتحاد الأرجنتيني خوليو غروندونا على هذا الموضوع، قائلاً: «لم أذهب إلى زيوريخ؛ لأنّني خفت من الظلم. ولكن، في النهاية، تبين أنّ الفجوة التي تفصل بين صاحبي المركزين الأول والثاني كبيرة. لم أكن لأتحمل لو لم يفز ميسي».

تحدّث مارادونا من جانبه، بعقلانية من مكان وجوده في مدينة مار ديل بلاتا، قائلاً: «لو كان هناك ثلاث جوائز لمنحوا واحدة لكلّ لاعب. ولكن، توجد واحدة فقط، وقد أعطوها للأفضل. لن يتوقف الناس عن الشكوى، فليقولوا ما يشاؤون. لعب تشافي على نحوٍ بدا فيه أنّه المسيطر، إنّهُ يملك السلطة داخل الملعب، لكنّ ميسي هو مَنْ يسجّل الأهداف. صحيح أنّ انيستا سجّل في نهائي بطولة كأس العالم، إنّهُ لاعب عظيم ورائع وموهوب. أوّدّ لو يلعب مع فريقتي. ولكن، من بين هؤلاء الثلاثة، أختار ميسي كلّ مرّة». وحين سُئل عن انزعاج الإسبان بسبب فوز ميسي، ردّ الأزغب: «قد يكونون هم أبطال العالم. ولكن، نحن منّ لدينا أفضل لاعب في العالم».

في اليوم اللاحق من الحفل، وردّاً على الانتقادات التي طالت الفيفا بأنّ فتى روزاريو سرق اللقب من الكرة الإسبانية، كرّر غوارديولا كلمات مارادونا، مقتنعاً أنّ ليو هو الأفضل. فقد أعلن مدربّ البلاوغرانا، قائلاً: «كيف يمكن لأحد الادّعاء بأنّ ميسي سرّقه؟ ميسي لاعب يقدم الكثير. إنّهُ يتيح للجميع الجلوس للاستمتاع بعرض باهر نهاية كلّ أسبوع. إنّهُ يجعل الدوري الإسباني أفضل وأكثر احتراماً. هل كان من الممكن أن يفوز بها تشافي أو انيستا؟ دون





شك، لكنّ ليو هو مَنْ فاز في النهاية؛ لأنّه حصل على صوت أكثر من (400) شخص. إذا ظنّ الناس أنّ ظلمًا قد وقع، فذلك لأنّ لديهم رأيًا مختلفًا.

«انظر إلى الفن؛ يجلس الناس لمشاهدة مباراة في كرة القدم، ثمّ تراهم يقولون: «لقد كانت مباراة رائعة، وتلك أيضًا، وتلك». وفي نهاية العام، يغمضون أعينهم، ويتذكّرون ذلك اللاعب الذي قدّم عرضًا باهرًا. ثمّ يصوّتون. لا جدوى من إعادة فتح الموضوع مرّة أخرى. إسبانيا هي بطل العالم، وقد حظيت بستة مقاعد في التشكيلة المثالية. ماذا تريد كرة القدم الإسبانية اعترافًا أكثر من ذلك؟».

مع أنّه يملك مدافعين من الوزن الثقيل، تعيّن على ميسي التحدث، موضّحًا للجميع أنّه غير مضطرّ إلى التبرير والتعليل؛ لأنّه لم «يسرق» شيئًا من أحد، وإنّه فعل ما يكفي ليحظى بالجائزة.

تحدث في مؤتمر صحفي مباشرة عقب مقابلة مطوّلة مع مجلة فرانس فوتبول، جرت في البيت بعد حفل سويسرا. لا يبدو أنّه يحفل بمنّ يعارضون فوزه.

قال: «الأمر لا يزعجني؛ فأنا أحظى باحترام أبناء بلدي وزملائي في الفريق. زملائي جميعًا فرحون من أجلي، وهذا ما يهمني. يجدر بإسبانيا أن تشعر بالسعادة من فوزها ببطولة كأس العالم وأوروبا، وتذكّر أنّ لديها أفضل دوري في العالم».

أمّا بخصوص زملائه في الفريق فقال: «لا مكان للغيرة بيننا. إنّنا متحدون تمامًا في غرف تغيير الملابس. إنّنا أكثر من مجرد زملاء، إنّنا أصدقاء. نعي جيدًا نوع العلاقة التي تربط بعضنا ببعض، ونتفق فيما بيننا، نحن غير مضطرين إلى التبرير والتعليل أمام أيّ كان. ستجري الأمور تمامًا كما كانت عليه من قبل، وهذا ما يهم». ثمّ ذكر أنّ تشافي وانيسستا هما أفضل اللاعبين في





ميسي

العالم، وأنه نادم على عدم معانقتهما بعد إعلان النتيجة، لكنه أوضح أنه كان مصدومًا، وأن قدميه كانتا ترتجفان.

وفي معرض رده على بعض وسائل الإعلام والصحافة بخصوص شعوره بعد فوزه بالجائزة الجديدة، قال: «أنا في غاية السعادة والفخر. إن الفوز بجائزة الكرة الذهبية مرتين في مثل سنّي هو أمر رائع، أو يجدر بي القول: إنّه أمر غير متوقّع».

إنّه يوم الثلاثاء الموافق للثاني عشر من شهر كانون الثاني عام 2011م. يستعد ملعب كامب نولاستضافة ربع نهائي بطولة كأس الملك بين البارسا وريال بيتيس. إنّها فرصة للاحتفال مع الأنصار، ولمشاركة الجائزة مع المخلصين للنادي. تحتل كرة ذهبية عملاقة مصنوعة من بالونات ذهبية دائرة منتصف الملعب. ليو وتشافي وانيستا على أرض الملعب، إنهم يستمعون إلى رسائل من عائلاتهم بوساطة مكبرات الصوت. يتقدّم القائد بويول من صاحب الرقم (10)، مقدّمًا له الكرة الذهبية. يرفع ميسي الجائزة، ويلوّح للجماهير، ويلتقط الصور فيما يصفق له المدربون والطاقم. يصفق الملعب بأكمله ويهتف.

بعدها بخمس وثمانين دقيقة، تملأ الأصوات بصورة أكبر مرّدة: «ميسي! ميسي! ميسي!». لقد احتفل البرغوث على طريقته المفضّلة بتسجيل هاتريك.





الفصل التاسع والثلاثون

إنّه الأفضل

الثامن والعشرون من أيار عام 2011م



ما الذي يمكن قوله؟ ماذا يمكن أن نقول أكثر عن ميسي بعد نهائي ويمبلي؟ كل ما تبقى علينا قوله عن ميسي، هو أنّه الأفضل ببساطة. حكم حظي بإجماع الكلّ، لدرجة أنّ وسائل الإعلام الإنجليزية والأرجنتينية اتفقت أول مرّة، واستخدمت كلمة «الملك» لوصفه. فقد عنونت صحيفة أوليه صدر صفحتها الأولى بعبارة «فليحّم الله الملك»، رابطة موجة الإعجاب التي تحظى بها العائلة البريطانية الحاكمة، في حين كتبت صحيفة ذا سندي تايمز: «حكم الملك ميسي». ولا ننسى لحظة تتويجه «ملكاً لأوروبا» عام 2009م، حين تجرّأ أحد الأنصار على منحه لقب ملك إسبانيا في نهائي فالنسيا (بطولة كأس الملك)، على الرغم من وجود الملك خوان كارلوس نفسه على مقاعد المدرّجات.

قدّم البرغوث أداءً رائعاً في معقل الكرة الإنجليزية، كان أداءً فنياً رائعاً حقاً، فيما غادر البريطانيون الملعب مقتنعين أنّهم شهدوا ترواً ما يمكن أن يُسمّى كرة قدم جميلة بحق. إنّها مباراة ستحكي عنها الأجيال. أداء منحه لقب أفضل لاعب في المباراة وطئت قدماه أرض الملعب، أداء اضطر وسائل الإعلام إلى البوح بكل ما في جعبتها من مفردات؛ لتتمكّن من وصفه. أداء جعل صحيفة ذا





ميسي

غارديان تشبّهه بالأداء الذي قدّمه نياندور هيدىغوييتي على الملعب نفسه، حين سجّل هاتريك ليقود منتخب المجر إلى الفوز على إنجلترا في خريف عام 1953م. إنّ الأهم من ذلك كله هو الأداء الجماعي الذي قدّمه ميسي. فقد أوجد المساحات، وخلخل خطوط الدفاع؛ بغية تدعيم جبهة البارسا، وإحباط الخطة التي انتهجها مانشستر يونايتد. لقد استخدم مختلف أنواع الذخيرة التي بحوزته: الجري السريع، والإمرار من الأطراف تفادياً للمنافس، والتمريرات الحاسمة، والمحاولات المتكررة لدكّ شباك المرمى. ونجح في جعل دفاع «الحُمُر» يستنزف طاقته في الجري، وزاد من وتيرة مناوراته ومراوغاته حتى عدّه كلُّ من فيديتش وإيفرا كابوساً مزعجاً يقض مضجعهما. وقد اعترف مدرب الشياطين الحُمُر السير أليكس فيرغسون بذلك، في المؤتمر الذي أعقب المباراة، قائلاً: «بصراحة، لم نتمكن من فرض الرقابة على ميسي، كان ذلك بمنزلة إنذار واضح بالنسبة إلينا. لم نستطع إغلاق منطقة الوسط بصورة كافية تسمح لنا بصدّ هجماتهم».

بدا البرغوث في بداية المباراة محاصرًا في ملعبه، شأنه في ذلك شأن بقية أفراد الفريق. وقد حاول ثلاث مرّات على التوالي خطف الكرة من بارك... لكنّه تمكّن في الرابعة من المراوغة ليبدأ البارسا أخيراً بفرض سيطرته على الملعب، واختراق خطّ دفاع مانشستر يونايتد وتدميره، مع المحافظة على أسلوبه المميّز، وطريقة لعبه الاستثنائية. نادراً ما يجري ذلك في نهائي دوري الأبطال. وقد اعترف فيرغسون بذلك قائلاً: «لم يتمكّن أحد من اكتساحنا على هذا النحو من قبل».

عمل ليو إلى جانب تشافي وانيسستا، وبدأ ثلاثي الأحلام بإحداث الأضرار، والسيطرة على الكرة، حارمين مانشستر يونايتد من أيّ فرصة. لقد تمكّن الثلاثة من إمتاع الجمهور بإبداعاتهم ودقتهم وسرعتهم.



استطاع واين روني تعديل النتيجة (كان بيدرو قد مَنَحَ البارسا هدف السبق) بمراوغة رائعة على يمين فيكتور فالديز، مانحًا أنصار ناديه أملاً مؤقتًا. لكن ذلك لم يَعدُ كونه وهمًا لا يقارن بما أنجزه البلاوغرانا في الشوط الأول، وبما سينجزونه لاحقًا. كل ما يحتاجون إليه هو إيجاد التآلق من جديد، بإمرار الكرة إلى الأمام والخلف، والضغط على الخصم بكل ما أوتوا من قوة. إنهم في حاجة إلى وضع حدٍّ للأمر برمته، ومنَّ أقدر على فعل ذلك من ميسي؟!

نعود إلى الساحرين الموجودين في منطقة خط الوسط؛ إذ يمرر تشافي الكرة إلى انيستا الذي يمررها بدوره إلى ميسي. يبدو أنها تمريرة لا تفوح منها رائحة الخطورة؛ إنها واحدة من (812) تمريرة للبارسا في هذه المباراة (726 منها صحيحة، والـ 86 المتبقية خطأ). يبعد ليو (35) ياردة عن المرمى. يلمس الكرة ثلاث مرّات، ويتحرّك في العمق لتصبح المسافة (20) ياردة قبل أن يستشعر دفاع اليوناييتد الخطر. يحاول إيفرا الاقتراب، لكن ليو يتخطاه، ثم يسدّد بمهارة وقوة. لقد كانت تسديدة بالقدم اليسرى من خارج منطقة الجزاء. يلمح صاحب الأربعين عامًا فان دير سار الكرة متأخرًا في آخر يوم من مسيرته الطويلة والمجيدة. لا يملك وقتًا للردّ. يقفز ويمدّ جسمه إلى أقصى ما يستطيع، لكن الكرة ترتد عن الأرض، وتميل لتدخل المرمى. قال ميسي فيما بعد: «كان لديّ بعض المساحة للمناورة، ثم تقدّم الحارس عن مرماه، ومن حسن حظي أن الكرة هزّت الشباك». لم يكن ذلك أجمل أهداف ليو مع البارسا، لكنّه احتفل به كما لم يحتفل من قبل؛ فهو هدف وضع البارسا في المقدّمة في الوقت المناسب. بدأت آمال مشجعي اليوناييتد بالتلاشي، حتى قبل أن يؤكّد ديفيد فيا الانتصار لاحقًا بهدف من تسديدة مقوَّسة بدقة.

صرخ ليو كالمجنون بعد تسجيله الهدف، ثم ركل ميكروفونًا منصوبًا في أثناء توجّهه إلى الراية الركنية، وركل لوحة إعلانية، ولولا أن زملاءه في الفريق أمسكوه وعانقوه، لواصل طريقه للاحتفال مع أنصار البارسا على المدرجات.





هيسي

لقد سجّل (53) هدفاً في (54) مباراةً خاضها هذا الموسم (31) في الدوري، و 12 في دوري الأبطال، و 7 في بطولة كأس الملك، و 3 في كأس السوبر الإسباني). وبذا، تساوى بالرصيد مع كريستيانورونالدو الذي تُوجُّ هدافاً للدوري الإسباني برصيد (40) هدفاً، وهو أمر ليس ذا أهمية للبرغوث الذي يفضّل إحراز البطولات على الألقاب الفردية.

لقد احتل صدارة هدّافي دوري الأبطال برصيد (12) هدفاً، معادلاً الرقم القياسي الذي بحوزة رود فان نيستروي. وكان الهولندي قد أحرز عدد الأهداف نفسه رفقة مانشستر يونايتد، في موسم 2002م-2003م. يُذكر أنّ ميسي تمكّن من الترتُّب على عرش هدّافي دوري الأبطال للسنة الثالثة على التوالي. وكان قد أحرز اللقب في موسم 2008م-2009م برصيد تسعة أهداف، وتُوجُّ به أيضاً في موسم 2009م-2010م برصيد ثمانية أهداف على الرغم من خروج البارسا من نصف النهائي. يُشار إلى أنّ «القاذفة الألمانية» جيرد مولر، والفرنسي جان بيير بابان، هما اللاعبان الوحيدان اللذان حقّقا هذا الإنجاز من قبل.

لقد سجّل (39) هدفاً في (59) مباراة في دوري الأبطال، وذلك يُعدّ إنجازاً عظيماً. ليس ذلك وحسب؛ فقد نجح في التسجيل، وكسر النحس الذي لازمه في ثماني مباريات سابقة على الأراضي الإنجليزية. وتعليقياً على ذلك، قال البرغوث لاحقاً: «قال غابي ميليتو: إنّي سأُنهي صيامي عن التسجيل في الملاعب الإنجليزية في تلك المباراة تحديداً، ومن حسن حظي أنّي نجحت. إنّ تسجيل هدف في النهائي مرّة أُخرى، ومساعدة الفريق على الظفر بلقب مهم، هو أمر غاية في الروعة، وأمل أنّ الجماهير استمتعت به».

ليو ذو الثلاثة والعشرين ربيعاً، هو هدّاف دوري الأبطال للمرّة الثالثة، ناهيك عن فوزه بأربعة عشر لقباً أُخرى. ولكن، بعيداً عن الألقاب والإحصائيات،





فكل ذلك لا يعني شيئاً ساعة الجدد؛ فميسي يظهر عند الحاجة، ودائماً ما يقرب المباريات رأساً على عقب، ويلعب بأقصى جهده.

قال بيب غوارديولا بعد النهائي: «إنه أفضل لاعب رأيته على الإطلاق، وأعتقد أنني لن أشاهد له مثيلاً في المستقبل. باستطاعتنا التنافس على أعلى المستويات، لكننا لم نكن نلعب بهذا المستوى الرفيع لولاه. لقد أثبتنا للجميع أنه يمكننا بذل قصارى جهدنا، فلدينا الموهبة، لدينا ميسي. إنه لاعب فريد من الصعب الإتيان بمثله. أتمنى ألا يتسلل الملل إلى نفسه، وأن نتمكن من الاستمرار في توفير سبل الراحة له، وأن يواصل النادي إحاطته باللاعبين المميزين. أتمنى أيضاً أن يظل سعيداً في حياته العملية؛ ليواصل تحقيق مزيد من النجاح».

لم يفشل ميسي يوماً، ولم يشعر بالملل، ولا حتى لدقيقة واحدة؛ سواء في مباراة ويمبلي، أو في موسم 2010م-2011م، وهو موسم تميّز بالصراع الثنائي الأبدى مع ريال مدريد وكريستيانو رونالدو، موسم شهد خمس مباريات كلاسيكو، أُقيمت أربع منها في شهر واحد حافل بالأحداث.

كانت المواجهة الأولى يوم الإثنين الموافق التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني عام 2010م؛ وهو توقيت غير معتاد بسبب الانتخابات العامة لإقليم كاتالونيا المزمع إقامتها يوم الأحد. لذا، كان من الأفضل الابتعاد عن السياسة وإرهاصاتها في تلك الحالة. أشارت الإعلانات الخاصة بالمباراة إلى أنها ستكون أول كلاسيكو متقارب المستوى منذ أعوام، في إشارة إلى ميل ميزان القوى إلى ريال مدريد، بعد أن كان يصب في مصلحة برشلونة سنوات. لماذا؟ لأنهم يدعون أن كريستيانو هو أفضل من ميسي، وأن أوزيل عبقرى، ولأن دي ماريا وبنزيمة من أفضل المهاجمين، ولأن مورينيو ليس مانويل بيليجريني ولا بيرند شوستر، ليس خواندي راموس ولا فايو كاييلو.





ميسي

كان المدرب البرتغالي هو من حطم جهود البلاوغرانا في أثناء قيادته نادي الإنتر قبل ستة أشهر، حارماً غوارديولا وفريقه تذكرة الوصول إلى نهائي دوري الأبطال في مدريد. إنّه الرجل الذي اختاره رئيس نادي ريال مدريد لإبطال سحر الكاتالان. مدرب يشكك من على قمة هرم ترتيب الفرق في الدوري (من دون هزيمة، برصيد (32) نقطة، متقدماً على البارسا بنقطة واحدة) بالنجاح الذي حققه البارسا، متهمًا الحكام والفرق الأخرى بالتساهل معه.

دعاية معتادة من الرجل الخاص، وتبجح يكلفه غالباً. ومع نهاية ليلة باردة ماطرة على كامب نو، كان يمكن لأهداف البارسا الخمسة أن تكون ستة، أو سبعة، أو حتى ثمانية بمنتهى السهولة، ومن دون أن يتمكن أحد من التشكيك في الانتصار. لقد تلاعب البارسا بالريال في الاتجاهات جميعها. لقد طوى النسيان الكرة التي سدّها كريستيانورونالدو من على بُعد (45) ياردة، وحقت عارضة فكتور فالديز من الجهة الخارجية، وكذا دفعه غوارديولا بعد حالة تسلل؛ وهي حالة أفضت إلى بعض اللغط والنقاش بين المدربين. يترك (كريستيانو) برشلونة من دون تسجيل ولو هدفاً واحداً في المباريات الست التي خاضها ضدهم.

لم يتمكن ميسي أيضاً من التسجيل، منهياً بذلك سلسلة من الأهداف امتدت إلى عشر مباريات، لكنّه كان كريماً بصنع الهدفين: الثالث والرابع لديفيد فيا بدقة متناهية. وتلاعب البرغوث بكارفاليو ولاسانا ديارا وببيبي وسيرخيوراموس الذي تلقى بطاقة حمراء في الدقيقة الثانية والتسعين بعد سجل عنيف مع الأرجنتين، وتوجيه لكمات لكل من: تشافي وبويول. فقد راموس السيطرة على أعصابه، وهو أمر متوقّع في ظلّ مباراة غلب عليها التوتر والانفعال، خاصة لدى اقتناع الريال بأنّ الخطة التي انتهجها مورينو ما زالت في طور التطوّر، وأن أفكاره في حاجة إلى التعديل، وأنّه ما زال يجهد كيفية





التغلب على الغريم الأزلي. أمّا الأمر المثير للاهتمام فكان خسارة فريق يدرّبه مورينيو بنتيجة (5-0)، وهو أمر لم يحدث من قبل.

اتّسم المدرب بالهدوء - أول مرّة- في أثناء انعقاد المؤتمر الصحفي، قائلاً: «إنّها هزيمة من السهل تخطيها. إنّها لا تماثل تلك المباريات التي خسرتها (مع أنّنا كنّا نستحق النصر)، أو نجحنا فيها بالوصول إلى المرمى كثيراً. كان هناك فريقان، أحدهما لعب جيداً، والآخر لم يكن موفقاً في اللعب. يتعيّن علينا التحلّي ببعض المنطق؛ يمكنك أن تبكي سعادة عندما تفوز بألقاب مهمة. ولكن، عندما تخسر بالطريقة التي خسرتها بها اليوم، فلا يحقّ لك البكاء، ويتعيّن عليك تكملة المشوار. سنعود أقوى ممّا كنّا». ولكن، يتعيّن على هذا الرجل الخاص الانتظار حتى السادس عشر من شهر نيسان عام 2011م؛ موعد المواجهة الثانية مع البارسا، والمواجهة الأولى في ماراثون من مباريات الكلاسيكو.

استطاع أفراد فريق بيب الحفاظ على صدارة الترتيب من التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني حتى نهاية الدوري. لقد تمكّنوا من كسر الرقم الذي كان قد حقّقه ريال مدريد في موسم 1960م-1961م (فريق ضم بوشكاش، ودي ستيفانو، وجينتو، وسانتا ماريا) بتسجيل (16) انتصاراً على التوالي، مبتعداً عن الغريم الأزلي بفارق (8) نقاط. وفي الثاني عشر من شهر نيسان؛ أي قبل أربعة أيام من الكلاسيكو الثاني، تمكّن البارسا من هزيمة شاختر دونيتسك ذهاباً بنتيجة (1-0)، وإياباً بنتيجة (5-0)، ليصل بذلك إلى نصف النهائي، حيث شاءت الأقدار أن يصطدم بريال مدريد الذي نجح بتخطي نادي ليون في ثمن النهائي، وتوتنهام هوتسبيرز في ربع النهائي بسهولة (4-0) في البرنابيو، و (1-0) على ملعب وايت هارت لين). إذن، لدينا الآن مباراتان أخريان، إضافة إلى مباراتي الدوري الإسباني، حيث من المقرر أن





هيسي

يلتقي الفريقان في ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال في السابع والعشرين من شهر نيسان، في حين تُلعب مباراة الإياب في الثالث من شهر أيار. يضاف إليها مباراة خامسة في نهائي بطولة كأس الملك تُقام في العشرين من شهر نيسان.

نبدأ في مباراة الجولة الثانية والثلاثين من الليغا، التي تُعدّ الأمل الأخير لفريق مورينيو للمنافسة على اللقب. ثماني نقاط فرق كبير. ولكن، مَنْ يدري؟ فإذا تمكّن الريال من الفوز فقد ينجح في تحطيم معنويات غريمه، وقد يؤثّر فيما تبقى من الموسم. يُذكر أنّ الريال عانى خسارة مريرة أمام سبورتينغ (خيشون) في الثالث من شهر نيسان أبعده عن المنافسة، خسارة هي الأولى لمورينيو على أرضه خلال تسعة أعوام. لكنّ للكلاسيكو حسابات مختلفة؛ فمورينيو حضر للمباراة بعرض مسرحي من إنتاجه.

لقد ظهر في الليلة التي سبقت المباراة، في القاعة الصحفية بوضوح فالديبياس بمدرّيد، لكنّه لا ينس بيت شفة، تاركاً مهمة الحديث لمساعدته إيتور كارانكا. إنّه لا يقوم حتى بتحية الصحفيين الذين يغادر بعضهم احتجاجاً. ردّ غوارديولا على صمت منافسه بإغداق المديح على الريال: «لم أعرف فريقاً لريال مدرّيد أكثر روعة وتميّزاً من الفريق الحالي. يمكن للاعبيه نقل الكرة من مرمى كاسياس إلى مرمى المنافس في غضون أربع أو خمس ثوانٍ. إنهم أفضل وأقوى ممّا كانوا عليه حين تقابلنا آخر مرّة. يسدّدون أكثر، ويمرّرون أكثر، ويلعبون ضمن الفريق بصورة أكبر منذ النصف الثاني من الموسم. ويستخدمون تكتيكات متنوعة تجعل السيطرة عليهم أمراً أكثر صعوبة». ثمّ يضيف واصفاً مدرّبهم: «مورينيو قوي جدّاً. إنّه يجيد اللعب بأساليب مختلفة. يتعيّن علينا أن نكون يقظين؛ لأنهم يعرفون طريقتنا في الدفاع والهجوم».

زاد حضور البرتغالي من السخونة والتوتر اللذين يميّزان الأجواء. سيكون



- من دون شكّ - البطل الحاسم في مباراة الكلاسيكو خارج الملعب. أمّا على أرض الملعب، فذلك دور ميسي. نجح صاحب الرقم (10) في تسجيل (48) هدفاً في (45) مباراة لعبها هذا الموسم. إنّه أكثر لاعبي البارسا تسجيلاً في موسم واحد، بعدما نجح في تحطيم الرقم الذي حقّقه البرازيلي رونالدو مع الفريق في موسم 1996م-1997م بقيادة بوبي روبسون. وأنّه متقدّم على كريستيانورونالدو بثلاثة عشر هدفاً. قام البرغوث أيضاً بصنع (18) هدفاً مقارنة بـ (7) أهداف صنعها كريستيانو، و(43) اختراقاً ناجحاً مقابل (34) اختراقاً للبرتغالي، لكنّ مشاركته في الفريق تتعدّى مجرد الأرقام. يؤكّد فكتور فالديز هذا الأمر بقوله: «يمنحني ميسي أكثر من مجرد الأهداف؛ إنّه يدعم الفريق دفاعياً وهجومياً. عمله الدؤوب يوجد جوّاً إيجابياً للجميع».

إنّه يُظهر مهارةً وعملاً جماعياً أكبر كلّما لعب. يندمج في الأجواء بصورة أكبر، ويعرف متى يسرّع وتيرة اللعب، ومتى يبطنّها. يشرح غوارديولا ذلك قائلاً: «إنّه يحوّل ما هو عادي إلى شيء استثنائي». لكنّه لم ينجح في التسجيل في مرمى فريق يدرّبه مورينيو، حيث ستكون هذه المباراة هي التاسعة في المواجهات بين الرجلين.

يقرّر الحكم ركلة جزاء في الدقيقة الثانية والخمسين. فقد عرقل البيول ديفيد فيا أمام المرمى، فتلقّى بطاقة حمراء، وميسي - كما هو معروف - لا يضيّع ركلات الجزاء. وكذا فعل غريمه كريستيانورونالدو في الدقيقة الثانية والثمانين؛ ركلة جزاء أخرى تعدّل النتيجة. إنّه هدفه الأول في مرمى البارسا في المباراة السابعة التي يخوضها أمامهم.

انتهت المباراة الهزيلة بالتعادل (1-1). فقد تفوق الريال فيما تبقى من دقائق في منطقتة الخلفية؛ خشية استقبال هدف ثانٍ، وقد نجح في ذلك





هيسي

من جرّاء تطبيقه أسلوب الكاتيناتشو (مصطلح إيطالي يعني مزلاج الباب) الدفاعي المشهور لدى الطليان. الطريقة الوحيدة للفوز عند اللعب بهذا الأسلوب، هي الاعتماد على الهجمات المرتدة. وعلى الرغم من التقدّم في البداية، والوقت المضاف في النهاية، إلا أنّ البارسا فشل في تحقيق الفوز. لقد كان تعادلاً وضع البارسا قاب قوسين أو أدنى من الفوز بالدوري الإسباني للمرّة الحادية والعشرين، وزاد من ثقة الريال في الاستحقاقات القادمة: ثقة كبيرة جعلت جماهير البرنابيو تحتفي بالتعادل كما لو أنّ فريقها قد حقّق انتصاراً.

كانت مباراة شاقّة أثارت الكثير من الجدل؛ جدل بدأه مورينيو الذي انتقد الحكم في المؤتمر الصحفي، وأشار إلى وجود مؤامرة تُحاك ضد أيّ فريق يدربّه؛ سواء تشيلسي، أو الإنتر، أو الريال: «سئمت من إنهاء المباريات أمام البارسا بعشرة لاعبين. كانت مباراة متوازنة عندما كنّا نلعب بأحد عشر لاعباً. وكما جرى عليه الحال، أصبحت المهمة مستحيلة عندما تلعب بعشرة لاعبين أمام فريق يمتلك أفضل استحواذ على الكرة في العالم. لقد شهدت مرّة أخرى على تحيُّر الحكام».

بعيداً عن مورينيو، هناك أمر آخر يثير الجدل، ويخصّ ميسي هذه المرّة، بعدما ركل الكرة في اتجاه المدرّجات. فبعد أن فلتت منه الكرة، وتعدّت خطّ الجانب، وبدلاً من تركها، أخذ يسدّها صوب المدرّجات لتصيب بعض الجماهير. لم يوجّه إليه الحكم أيّ تحذير، لكنّ الجماهير تصرخ غاضبة. فيسرع بيبي نحوه، ويسأله: «أمجنون أنت؟». الجمهور في حيرة لا يكاد يصدّق ما رآه توّاً. ما الذي أصاب فتى روزاريو الذي نادراً ما يفقد أعصابه على أرض الملعب؟ لماذا قام بحركة مشينة مثل تلك؟

لا يوضّح ليو هذا الأمر، ولا يبدو عليه الندم حيال ما فعل. وفي هذه الأثناء، اندفع زملاؤه لحمايته. وقد عزوا الأمر إلى التوتر الشديد الذي يسود الملعب،





إلى جانب الرقابة اللصيقة التي يفرضها عليه بيبي، فضلاً عن الأخطاء الخمسة التي ارتكبها ضده لاعتبو خطاً وسط الريال من دون الحصول على إنذار واحد. يستمر هذا المسلسل الطويل، وتستمر معه الأحداث نفسها.

إنّه العشرون من شهر نيسان، موعد مباراة نهائي بطولة كأس الملك. يمكننا تقسيم المباراة إلى ثلاثة أجزاء: شوط أول رائع للريال، وسيطرة مطلقة للبارسا في الشوط الثاني، وشوطان إضافيان يمنحان كريستيانو رونالدو ومدربه النصر.

التفّ صاحب الرقم (7) حول أدريانو، محوِّلاً عرضية دي ماريا الملتفة إلى المرمى بقوة. إنّه هدف الفوز الذي منح الريال لقب كأس الملك أول مرّة منذ (18) عاماً.

أين كان ميسي؟ توضّح صحيفة إل باييس أداء البرغوث بالآتي: «كان يائساً. لقد حاول صنع الحدث أينما تحرّك في خطّ الهجوم، لكنّ الحظ لم يحالفه قطّ؛ إذ نجح دفاع الريال في التصدي لمراوغاته كلّها. لقد تحكّم البرغوث في المباراة على نحوٍ مبالغ فيه. ومع أنّ الفريق لم يتمكن من تدوير الكرة في أثناء الشوط الأول، لكن الحال تغيّر في الشوط الثاني، وتمكّن لاعبه من إمرار كرات رائعة إلى بيدرو في العمق. ولكن، يا للأسف! فالهدف الوحيد الذي تمكّن هذا الأخير من تسجيله أُلغي بداعي التسلّل. في نهاية الأمر، عمد على استغلال موقعه قائداً للفريق، في محاولة للسيطرة على اللعب بصورة مبالغ فيها، وذلك أتاح للريال حسم المباراة». إنّه تقييم عادل، وإنّه أول نهائي يخسره البارسا بقيادة غوارديولا.

ستقام مباراة ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال بعد المباراة الآتية الذكر بأسبوع. استشاط بيبي غوارديولا غضباً في أثناء المؤتمر الصحفي





ميسي

الذي سبق مباراة البرنابيو. وكان مورينيو قد وجّه إليه رسائل بشأن مستوى التحكيم في مباراة ملعب ميستايا (نهائي بطولة كأس الملك)، والحكم المختار لقيادة نصف النهائي. انفجر غوارديولا، وتحدث بحنق أكثر من دقيقتين؛ إنّه أسلوب لم نألفه من المدرّب الشاب الذي استهلّ حديثه قائلاً: «لأنّ مورينيو رفع التكليف، وناداني «بيب»، فسأدعوه «جوزيه». لدينا مباراة نلعبها مساء الغد عند الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة. لقد أحرز انتصارات خارج الملعب منذ بداية الموسم. فليفز بدوري الأبطال. بإمكانه أخذ الكأس معه إلى البيت إن أراد. سنلعب؛ سواء فزنا، أو خسرنا. إنّه يفوز عادة؛ لأنّ مستقبله المهني مضمون في النهاية. أمّا نحن فسعداء بالانتصارات الصغيرة التي نحققها، وتدخل السعادة في قلوب الجميع، إننا سعداء وراضون. إنّه الرئيس الملعون في هذه الغرفة؛ الأستاذ اللعين. إنّه يفقه أكثر من الآخرين ولو اجتمعوا. لا يوجد لديّ أدنى رغبة لمنافسته في مجاله».

كان ليونيل ميسي هو الأستاذ على أرض الملعب في اليوم اللاحق. أمّا مورينيو فأستاذ في المؤتمر الصحفي بطبيعة الحال. لعبتان ناجحتان، وهدفان من الأرجنتيني الذي نجح في تدمير ريال مدريد، الذي يلعب بتحفظ دفاعي واضح. حاول البلاנקوس وقف ميسي منذ البداية، لكنّه لم يحاول فرض أسلوبه، لدرجة جعلت كريستيانو رونالدو يشير بيأس إلى زملائه بعد ربع ساعة من اللعب كي يتركوا مواقعهم ويساندوه في صنع الفرص. كان كريستيانو نفسه هو من صنع أخطر فرصة للريال قبل نهاية الشوط الأول بقليل. فقد سدّد الكرة بقوة من مسافة بعيدة جدًّا، مُزِعجًا فكتور فالديز، وهو إزعاج لم يتكرّر في المباراة إلّا لاحقًا بتسديدة من أوزيل. ولكن، حتى تلك اللحظة، كانت فرصة رونالدو هي الوحيدة الجديرة بالذكر.





على الطرف الآخر، نجد ميسي يلعب في العمق كأنه لاعب خطّ وسط بسبب الرقابة المفروضة عليه؛ بغية إبعاده عن منطقة الجزاء، حيث يمكنه إحداث الأضرار. أمضى الوقت بالجري والمراوغة اللذّين لم يسفرا عن شيء. لكنّ الوضع تغيّر في الدقيقة الستين حين أعاق بيبي داني ألفيش بعنف، فنال بطاقة حمراء. لم تُثنِ مناقشاته الحكم الألماني فولف غانغ ستارك عن العدول عن رأيه. لم يتردّد الحكم أيضًا في طرد مورينيو إلى المدرّجات بعدها بدقيقتين نتيجة رذّة فعل مبالغ فيها من طرف هذا الأخير.

يلعب فريق البارسا الآن بصفوف كاملة أمام فريق الريال المنقوص، وقد تمكّن ليو من الوصول إلى منطقة جزاء المنافس، ثمّ حام بين لاعبي الريال في الدقيقة السابعة والسبعين كحلّة لا مبالية ليصل إلى حافة منطقة الجزاء، ويسدّد. ارتدّت الكرة، لتصل إلى تشافي الذي يمرّها نحو أفيلاي على الجناح، فيجري لاعب الوسط الهولندي، ويلعبها عرضية من عند الراية الركنية في اتجاه نقطة الجزاء. وفي هذه اللحظة، يسبق ميسي سيرخيو راموس في الوصول إلى الكرة، فيغمزها بطرف قدمه في المرمى، لتصبح النتيجة (1-0). ثمّ يعاود البرغوث الكرّة بعد عشر دقائق. الأمر أكثر روعة هذه المرّة؛ إذ انطلق من دائرة الوسط، ثمّ مرّر الكرة إلى بوسكيتس الذي أعادها إليه، ليتسلمها ويبدأ مشوارًا متعرّجًا، متجاوزًا راموس، ومتخلّصًا من إلبول، ثمّ غيرّ الاتجاه، ودخل منطقة الجزاء، وأخذ يراوغ مارسيلو، ثمّ وضع الكرة في المرمى على نحو رائع قبل أن يتمكّن راموس من اللحاق به.

انتهت المباراة، وكان ميسي أستاذًا بحقّ في هذه المباراة تحديدًا. وفي المقابل، فقد تفوّق مورينيو على نفسه مرّة أخرى في فنون الاستفزاز، وأصرّ على تزعم المؤتمر الصحفي، قائلًا: «لقد أقصي ريال مدريد من دوري الأبطال. سوف نذهب إلى كامب نو برؤوس مرتفعة، وباحترام كامل لعالم كرة القدم





هيسي

الذي نعيش فيه، مع أنه عالم يشعرني بالاشمئزاز في كثير من الأحيان. سوف نذهب من دون بيبي الذي لم يقترف أي خطأ طوال المباراة، ومن دون راموس الذي لم يرتكب خطأً هو الآخر، ومن دون المدرب الذي لن يُسمح له بالجلوس على الدكة... وبنتيجة لا يمكن تعديلها. وفي حال تمكنا هناك من تسجيل هدف، وأنعشنا فرصتنا بأي شكل من الأشكال، فأنا متأكد أنهم سيسحقون أحلامنا مرّة أخرى. سؤاله هو: لماذا؟ لماذا لا يُسمح للفرق الأخرى بمنافستهم؟ أنا لا أفهم الأمر! لو قلت للحكم والاتحاد الأوروبي رأيي فيما حصل اليوم هنا لانتهت مسيرتي المهنية في الحال. لا أعرف إذا كان الأمر يتعلّق برعايتهم لمنظمة اليونيسيف، أو بابتسامتهم الأكثر عدوبة، أو بفيار (رئيس الاتحاد الإسباني لكرة القدم) الذي يحظى بسطوة كبيرة على الاتحاد الأوروبي. في واقع الأمر، إنهم يمتلكون شيئاً يصعب التغلّب عليه؛ ألا وهو النفوذ.

لماذا طُرد بيبي؟ لماذا لم يُمنح تشيلسي أربع ركلات جزاء يستحقها؟ لماذا طُرد فان بيرسي؟ لماذا طُرد موتا؟ من أين يأتون بذلك النفوذ كله؟ يجب أن يكون نفوذهم نابغاً من مهارتهم في كرة القدم؛ فهم يمتلكون تلك المهارة، ويجب أن يفوزوا بسببها. على المرء أن يكون حقيراً ليستمتع بذلك النوع من الانتصارات. غوارديولا مدرب عظيم، لكنّه فاز ببطولة في دوري الأبطال بطريقة أخجل أن أفوز بها. فاز بها بفضل فضيحة جرت على ملعب ستامفورد بريدج. وسوف يفوز هذا العام ببطولة ثانية بفضل فضيحة ستجري على ملعب البرنابيو. لذا، أتمنى أن يحظى غوارديولا يوماً بفرصة الفوز بدوري الأبطال على نحو مشرف ونظيف؛ فهو يستحق ذلك».

قدّم مورينيو عرضاً مميّزاً. لقد ألقى خطبة شديدة اللهجة ستكلفه غالباً مرّة أخرى. فقد غرّمته لجنة الانضباط التابعة للاتحاد الأوروبي مبلغ (50,000) يورو في السادس من شهر أيار، وأوقفته خمس مباريات، بما في ذلك تلك المباراة.



في يوم الثالث من شهر أيار - موعد إياب نصف النهائي في كامب نو - اختفى مورينيو عن المدرجات، لكنه كان يشاهد المباراة عن طريق التلفاز من غرفته في الفندق. لقد أخذ يتابع فريقه، وهو يلعب بطريقة أكثر جرأة وطموحاً من بقية مباريات الكلاسيكو. تمكّن لاعبه من إرغام البارسا على التوقيع في مناطقه الخلفية، وتمكّنوا من محاصرتهم في نصف ملعبهم في ربع الساعة الأولى.

لكنّ البارسا تمكّن من فرض أسلوبه شيئاً فشيئاً. وتمكّن ميسي أخيراً من الانفراد بكاسياس الذي صدّ ثلاث محاولات بمهارة فائقة في خمس دقائق، مُبقياً على آمال فريقه. لم يتمكّن ميسي من التسجيل هذه المرّة، لكنّه يواصل الجري والضغط. ثمّ يتسبّب في تحذير لكارفاليو، وفي بطاقتين صفراوين لكلّ من: ألونسو، وأديبايور. لقد تعرّض للعرقلة (12) مرّة، وبدا محطماً تماماً. لقد كان عاملاً حاسماً في تأمين بطاقة العبور إلى ويمبلي، في المباراة التي انتهت بنتيجة (1-1) على الرغم من أنّه لم يسجّل.

وفي الوقت الذي يحتفل فيه البلاوغرانا بعد شهر مُضنٍ، انشغل الريال بالشكوى من تحيُّز الحكم، ومن وجود شبكة خفية رجّحت كفة غريمهم التقليدي مرّة أخرى. واحتج الريال على الهدف المُلقى الذي سجّله غونزالو هيغواين بحُجّة وجود خطأ مزعوم على كريستيانو. يبدو أنّ الجميع قد تعلّموا أسلوب مورينيو في الخطابات النارية، بدءاً بكارانكا، وانتهاءً بإيكر كاسياس. وقد أكد كريستيانو رونالدو هذا الأمر بقوله: «هذا هو الجزء الرابع من فيلم «مهمة مستحيلة». يمتلك البارسا فريقاً عظيماً، لكنّ أموراً أخرى تجري هنا. لا أقصد التلميح إلى وجود فساد ما، لكنّ الأمر يزعجني».

في خضم هذا الصخب كلّه، ركب ميسي موجة السعادة التي تجتاح ملعب كامب نو. وعندما بدا أنّ الإثارة ستطغى على السطح، اقترب منه بيب غوارديولا، ثمّ عانقه بحرارة.





ميسي

حان وقت الاحتفال مرّة أُخرى في الحادي عشر من شهر أيار؛ إذ تمكّن البارسا من الفوز بالدوري الإسباني للمرّة الثالثة على التوالي بعد تعادله مع ليفانتي بنتيجة (1-1) على ملعب سيوداد دي فالنسيا. وقد علّق ميسي على هذه المناسبة، قائلاً: «لقد كان موسمًا صعبًا جدًّا، عملنا فيه بأقصى طاقتنا للتغلّب على غريمنا الأزلي ريال مدريد. لقد واجهتنا ظروف صعبة جدًّا، لكننا عرفنا كيف ننتفض، ونصل القمّة».

ولكن، حين تسلّم ميسي الميكروفون في الاحتفال الذي أُقيم يوم الجمعة على كامب نو، صرخ قائلاً: «من الرائع الاحتفال بالفوز بلقب الدوري مرّة أُخرى، لكنني سأحتفظ بتعليقاتي حتى التاسع والعشرين حين نعود من لندن. عندها فقط سأخبركم عن شعوري».

وفى ليو بوعده قبل الموعد بيوم. إنّه في ويمبلي والكرة عند قدميه. فرح كثيرًا عندما عرف بشأن الحركة النبيلة التي ينوي كارلوس بويول القيام بها؛ إذ قرّر هذا الأخير منّح المدافع إيريك أبيدال شارة القيادة؛ لكي يتمكّن الفرنسي من رفع الكأس. يا له من موقف نبيل حيال الرجل الذي تعافى توتًا من سرطان الكبد، الذي كان قد سُخّص لديه في شهر آذار الفائت، لكنّه خضع لعملية جراحية، وها هو ذا يعود إلى اللعب في معقل كرة القدم (ملعب ويمبلي)! يحضن ميسي الكأس ضاحكًا، رافعًا ثلاث أصابع دلالة على الكؤوس الأوروبية الثلاث التي فاز بها. ثمّ يخبر الجميع بأنّها كانت مباراة لن ينساها أبدًا: «كنا الأفضل اليوم، وفزنا بجدارة. إنّ ما حقّقه هذا الفريق هو أمر خارق. لست متأكدًا إذا كنا قد استوعبنا الأمر حتى هذه اللحظة. نريد فقط أن نواصل الفوز. والآن، لقد حان وقت الإجازة، أو بالأصح المشاركة في بطولة كوبا أمريكا. ولكن، حالما نعود، سنواصل من حيث انتهينا».





الفصل الأربعون

مع ميسي

حوار مع ليونيل ميسي



أربعة وعشرون عامًا عمر قصير. لقد انتهى الماضي بكل ما حمل من أحداث. أمّا المستقبل فيبدو أنّه ما زال بعيدًا. من المبكر جدًا تحديد ملامح المسيرة، ومن الصعب استشراف المستقبل لمعرفة ما ستحمّله الأيام القادمة. ولكن، يمكننا دائمًا محاولة فعل ذلك. يوافقنا ليو ميسي الرأي.

يجلس إلى مكتب في صالة تقع في قلب ملعب كامب نو، ويبدو كطالب مدرسة على وشك حلّ واجبه البيتي في الصف. وسيلة مساعدته الوحيدة هي هاتف نقال موضوع على الطاولة.

لنبدأ.

ما أصعب اللحظات التي واجهتها في حياتك؟

«الانتقال من الأرجنتين إلى إسبانيا. فقد تركت مسقط رأسي وأصدقائي وأهلي. كانت السنوات القليلة الأولى قاسية. كنت أحيانًا أقيم في برشلونة مع والدي، في حين تقيم بقية الأسرة في روزاريو. كنّا نعاني كثيرًا. كنت أشتاق إلى ماتياس ورودريغو وأختي الصغيرة وأمي. كنت أبكي وحدي في بيتي؛ لكي لا يراني والدي».





ماذا عن أسعد اللحظات؟

«الألقاب التي فزت بها مع البارسا والمنتخب الأرجنتيني».

وماذا بشأن جائزتي الكرة الذهبية؟

«الجوائز الفردية تدخل السعادة في قلوب مَنْ أُحِبُّ، إنها تعويض عن التضحيات التي قامت بها عائلتي. لكن الألقاب التي تفرح مدينة أو بلدًا بأكمله هي أكثر أهمية. إنها شيء خارق لا يقارن».

لكنك ملك العالم الآن.

«أنا لم أتغير، وأشعر أنني محظوظ كوني جزءًا من فريق عظيم».

هل تخيلت يوماً أنك ستحقق إنجازات رائعة كما فعلت في السنوات

القليلة الماضية؟

«لم أتخيل أن يحدث ذلك كله. لم أحلم قط بأن تسير الأمور بتلك الطريقة الرائعة».

لنعد إلى الوراء قليلاً: ما أول ذكرياتك الجيدة مع كرة القدم؟

«كانت البداية على ملعب غراندولي، حيث كنّا نلعب في دوري آفي أمام فريق أمانيسير. كانوا يدعون أنهم الأفضل، وأنهم الأبطال. كانت عائلتي بأكملها تشاهدني من المدرجات. وقد تمكنت من تسجيل أربعة أهداف، أحدها كان جميلاً جداً».

لماذا تحب كرة القدم على هذا النحو؟

«لا أعرف. بدأت أحبها حينما كنت طفلاً، تمامًا كما يفعل الأطفال عادة، وما زلت أستمتع بها كثيرًا حتى الآن».





كيف اكتسبت هذه الثقة في التعامل مع الكرة؟ وكيف تعلمت الحركات

التي تستخدمها؟

«بقضاء كل لحظة من حياتي في لعب كرة القدم. فعندما كنت صغيراً، كنت أتخذ ركناً من الملعب وحدي، وأبدأ بركل الكرة باستمرار. لكنني لا أدرس حركات معينة، ولا أخترع الخدع أو ما شابه. فأنا ألعب كما اتفق، ولا أفكر في الأمر».

مَنْ زرع حُب كرة القدم فيك؟

«كانت جدتي سيليا هي أول مَنْ اصطحبني للعب. كانت تعني الكثير بالنسبة إليّ، وقد حظيت بمكانة خاصة في قلوبنا جميعاً. كانت امرأة طيبة. أذكر أنّ أيام الأحد كانت احتفالية في بيتها. وقد شكّل أخي رودريغو وابن خالتي مثالين جيدين أيضاً، وقدّم لي والدي دعماً منقطع النظير».

هل واجهت صعوبة في بلوغ المكانة التي تحظى بها الآن؟

«يريد الأولاد كافة أن يصبحوا لاعبي كرة قدم، لكنّ النجاح يتطلب بذل جهد كبير، وتقديم الكثير من التضحيات. تمرّ بالمرء أوقات عصيبة، كتلك التي مرّت بي حين قرّرت البقاء في برشلونة... لقد كان خياراً. لم يجبرني أحد على اتخاذه. وقد سألتني والدي أكثر من مرّة عمّا أودّ فعله. أردت البقاء في أكاديمية الشباب؛ لأنّني كنت أعرف أنّها فرصتي لكي أصبح لاعب كرة قدم. لقد تحمّلت الأمر مُدّة كنت في سنّ صغيرة».

كيف أثّرت مشكلات النمو وقصر القامة في تطوّر قدراتك ومهاراتك؟

«كنت طفلاً حينها، ولم أكن أعني ما يجري حولي، باستثناء الحقن التي كنت أتلقها في ساقّي كلّ ليلة. لكنّ صغر حجمي علّمني كيف أتحكّم في الكرة على الأرض، وكيف أكون أكثر نشاطاً وسرعةً من اللاعبين كبار الحجم؛ كي أتمكّن من الحفاظ على الكرة».





أي المباريات في مسيرتك تحمل أفضل الذكريات؟

«مباراتي أمام تشيلسي في دوري الأبطال، والكلاسيكو ضد ريال مدريد حين سجّلت ثلاثة أهداف، وبطبيعة الحال نهائي بطولة كأس العالم للشباب، ونصف نهائي أولمبياد بكين أمام البرازيل».

وماذا عن أجمل أهدافك؟

«إذا تحتم عليّ الاختيار الآن فسأختار الهدف الذي سجّلته في مرمى روما (نهائي دوري الأبطال عام 2009م)، والهدف الذي سجّلته في مرمى استوديانتس (بطولة كأس العالم للأندية عام 2010م)».

ماذا عن هدفك في مرمى خيتافي؟

«صحيح، لقد كان هدفًا عظيمًا أيضًا».

هل هدفك في مرمى خيتافي هو أجمل ما سجّلت في حياتك؟

«ربّما، لكنني سجّلت بعض الأهداف المشابهة حين كنت صغيرًا. فحين كنت في سنّ العاشرة أو الحادية عشرة، لعبت في صفوف نادي نيولز، وسجّلت تلك الأهداف حينها. إنّها مسجّلة على أشرطة فيديو نحفظ بها في المنزل».

حين كنت في تلك السنّ، وسألك الناس عن لاعبك المفضّل، كنت ترد

قائلًا: «أخي رودريغو وابن خالتي ماكسي». فهل لديك مثل أعلى في كرة القدم؟

«لا، لم يكن لديّ لاعب مفضّل بعينه، أو مثل أعلى طوال حياتي. وحين كبرت بعض الشيء، بدأت أحبّ أيمار، كنت معجبًا بأسلوبه في اللعب. وحين واجهته في فالنسيا، تمكّنت من الحصول على قميصه بعد طول انتظار».





ماذا عن مارادونا؟

«إنه الأفضل على الإطلاق».

هل شاهدته يلعب في أثناء المدة القصيرة التي قضاها في روزاريو

برفقة نادي نيولز؟

«كنت صغيراً جداً حينها؛ في سن السادسة. وقد حضرت أول مباراة له مع

الفريق. لكنني لا أتذكر الأمر».

هل صحيح أن والدك اشترى لك شريط فيديو يحوي أبرز لحظات

مارادونا إثارة في عالم الكرة؟

«لقد شاهدت أهداف دييغو مرّات عدّة، لكنني لا أذكر الشخص الذي

أعطاني الشريط».

بِمَ تشعر حين يقارنك الجميع بمارادونا، وينصّبونك خليفة له؟

«أشعر بسعادة غامرة حينها؛ فأنا بدأت مسيرتي الكروية توّاً، وما زلت في

حاجة إلى مزيد من النمو والتعلّم. أحاول أن أطوّر من نفسي كل يوم، حتى أصبح

لاعب كرة قدم أفضل. مارادونا فريد من نوعه، إنه لاعب لن يتكرّر مرّة أخرى».

إجابة متوقعة. فلننتقل إلى موضوع آخر.

ما النصائح التي أسداها إليك مارادونا؟

«لقد نصحتني بأن أستمّر على المنوال نفسه، وأن أستمتع باللعب، وأعتني

بنفسي؛ فمسيرة اللاعب في كرة القدم قصيرة، ما يحتم عليه تطوير نفسه

باستمرار وجعلها (المسيرة) تمتد إلى أطول وقت ممكن، يتعيّن عليك دائماً أن

تحافظ على لياقتك».





لندع مارادونا جانباً، ولنعد قليلاً إلى هدف خيتافي. يقول بعضهم: إن ذلك الهدف غيّرَكَ، فهل هذا صحيح؟

«قد يظنّ بعضهم ذلك؛ لأنني كنت أَلعب فيما مضى بأسلوب يحمل في طيّاته الكثير من الاحترام؛ فقد كنت مكبوتاً أمام زملائي في الفريق، لكنني بدأت أَلعب بأسلوبي الخاص شيئاً فشيئاً».

**يتحدث الجميع عن طريقتك في اللعب... كيف تصف لنا هذا الأمر؟
أعرف أنك تكره هذا السؤال، لكنني أمل أن تجيب.**

«الحديث عن النفس أمر معقّد؛ فالأفضل ترك الآخرين يتحدثون عنك. ماذا يسعني أن أقول؟ إنني أحبُّ اللّعب خلف المهاجمين، وإيجاد الفرص، والتسديد كلّما أُتيحت لي الفرصة».

ما أفضل مهاراتك؟

«ربّما تكون تنوّع الإيقاع».

**سؤال آخر مُحيّر، يتعلّق بالتوتر: بِمَ تُفسّر قدرتك على ضبط النفس
والنأي بها عن الانفعال والتوتر؟**

«عندما أدخل أرض الملعب، لا أصب اهتمامي على هوية الخصم أو اللاعب الذي يتولّى مراقبتي. وأكتفي ببذل ما بوسعي، مُحاولاً الاستمتاع بوقتي، والإسهام بفاعلية في دعم الفريق».

وماذا عن نادي برشلونة؟

«أنا هنا منذ أحد عشر عاماً، وما زلت أشعر بالسعادة مع الفريق. لقد راهنوا عليّ عندما كنت في سنّ الثالثة عشرة فقط. أردت الوصول إلى الفريق





الأول، ونجحت في ذلك. أردت الفوز بالكثير من الألقاب بصحبة الفريق، ونجحت في ذلك. ولكن، لا أنسى أنني شخص واحد فحسب، وأنتي لم أكن لأُحقِّق ما حقَّقه لولا المساعدة التي تلقَّيتها من زملائي في الفريق».

ماذا بشأن المنتخب الأرجنتيني؟

«إن ارتداء قميص المنتخب أمر عظيم جدًّا بالنسبة إليّ. صحيح أنني أعيش على بُعد آلاف الأميال، إلا أنني وددت لو أشارك في المباريات جميعها، وأجلب السعادة لشعبي. من المؤسف أنني لم أتمكن من ذلك في جنوب إفريقيا».

حلم لم تحقِّقه بعد؛ هل تودُّ اللعب في الأرجنتين يومًا من الأيام؟

«أعتقد أنّ اللعب لنادٍ في الأرجنتين سيكون أمرًا ممتعًا. لكنّ الوقت ما زال مبكرًا جدًّا...».

يرنّ جرس الهاتف.

نتوقّف هنيئة.

إنّه يوم جميل جدًّا، فالسماء صافية، ودرجة الحرارة مرتفعة مع أننا في فصل الشتاء. أرضية الملعب خضراء لامعة. وعند طرفه، نجد السيّاح في استراحة في أثناء جولتهم فيه (الملعب)، يستغلونها في التقاط الصور مع مجسّمات من الكرتون تماثل الحجم الطبيعي للاعبين المفضّلين. وفي هذه الأثناء، يصل زوجان يابانيان، يرغبان في التقاط صورة بجوار ميسي، المرأة سعيدة؛ لأنّ طولها يماثل طوله، وقد تمكّنت من وضع يدها حول عنقه.

تنتهي المكالمة الهاتفية في الداخل. يمكننا الآن مواصلة حوارنا.





كيف تتعامل مع الشهرة؟

«لا أفكر في ذلك. كل ما أفكر فيه هو أن أكون قادرًا على مواصلة اللعب، ذلك أكثر شيء يهمني. ما زلت أعيش حياتي بالأسلوب نفسه الذي اعتدته. كل ما يزعجني هو أنني لا أتمكن من الخروج مع عائلتي في روزاريو».

هل تنزعج حين يستوقفك الناس في الشارع طالبين إليك توقيعًا، أو صورة، أو حتى قبلة؟

«لا، فهناك أشخاص ينتظرونني ساعات عدّة لالتقاط صورة معي؛ فمن العدل أن أمنحهم بعض الوقت».

أصحيح أن الشهرة لم تُغيّرِكَ كما يُصرّح بذلك مَنْ يعرفك حقّ المعرفة؟

«هذا صحيح. موقفي ثابت، ولم أنسَ يوماً المكان الذي جئت منه».

ولماذا غيرَ المال حياتك؟

«حياتي لم تتغيّر. نحن لسنا من هؤلاء الأشخاص الذين يبذرون المال على الكماليات».

هل تحبّ الظهور في الإعلانات؟

«نعم، فأنا أستمتع بذلك».

لنغيّر الموضوع، ولنتحدّث عن أول مرشدك.

«تعلّمت كثيرًا من غويرمو أويوس (مدربّ ميسي في فريق الشباب «ب»)،؛ فقد ترك أثرًا مهمًّا في حياتي، وساعدني على التقدّم في الفئات، التي بذلت كلّ ما في وسعي لبلوغ أفضلها».





ماذا عن مرشدك في الحياة؟

«والدائي وعائلتي، وكذا شقيقي رودريغو الذي طالما قدّم لي النصح والمساعدة قدر الإمكان».

قدّمتَ إهداءً خاصاً (أحبك يا أبي) يوم سجّلت أول أهدافك في الأراضي الأرجنتينية، مع المنتخب الوطني على ملعب المونيمونتال.

«كنت قد وعدته، وكان يستحق ذلك ولا شك».

كيف هي علاقتك به؟

«جيدة جداً. لقد أمضينا الكثير من الوقت معاً هنا. إننا صديقان، لكنّ علاقتنا لا تخلو من بعض التقلّبات. فهو يقلق أحياناً حيال أمور صغيرة، ويبدأ بمضايقتي، وذلك أمر يزعجني...».

هل تختلفان بشأن العقود والاستثمارات؟

«إنّه يحرص دائماً على استشارتي، لكنّه يتولّى كلّ شيء. دوري أنا هو لعب كرة القدم».

وما رأي والدك في كرة القدم التي تلعبها؟

«مُذّ كنت صغيراً، وهو يخبرني بعد كلّ مباراة بأنّني لعبت جيداً، أو لعبت على نحو غير موفّق، لكنّه لا يتدخّل أبعد من ذلك...».

تودّ والدتك سيليا لو تُكوّن عائلة عاجلاً أم آجلاً.

«إنّها تُلحّ عليّ بذلك. ما يهّمها هو أن أكون سعيداً، لكنني ما زلت صغيراً على تكوين عائلة».





ولكن، لديك صديقة حميمة الآن!

«نعم».

يحمّر وجهه خجلاً.

وماذا عن الخجل الذي يميّزك؟

«الأمور في تحسّن، لقد تغيّرت...».

ممن ورثت الخجل؟

«ماتياس مثلي، وكذا والدي. أمّا رودريغو ووالدتي فمختلفان».

إذا استثنينا كرة القدم، فما الذي تستمتع به في الحياة؟

«أن أكون مع عائلتي وأصدقائي».

كيف ترى نفسك بعد (15) عاماً أو (20) عاماً؟

«أتخيّل نفسي أعيش في روزاريو مع عائلتي... أحرص على أن أكون قريباً دائماً».

العائلة تعني كل شيء بالنسبة إليك، أليس كذلك؟

«أدين بالكثير لوالديّ وأشقائي؛ فأنا أكون بخير إذا كانوا على ما يرام».

لنجر امتحاناً؛ إليك بعض الأسئلة التي طرحتها عليك صحيفة لا كايبتال،

حين كنت في سنّ الثالثة عشرة. لنرّ كم تغيّرت.

ما كتابك المفضّل؟

«كتاب «أنا الدييغو» الذي ألفه مارادونا، وكنت قد بدأت بقراءته. ولكن، لم

يتسنّ لي بعدُ قراءة صفحاته جميعها؛ فأنا لست من هواة القراءة...».





كانت إجابتك «الكتاب المقدس» قبل ثمانية أعوام، فهل أنت شخص

متدين؟

«لا أمارس العبادات، لكنني مؤمن بالله».

هل تؤمن بالخرافات؟

«لا».

ما ألبومك المفضل؟

«موسيقا كومبيا على الطراز الأرجنتيني. ولكن، ليس لديّ فرقة مفضّلة».

ما فيلمك المفضل؟

«فيلم «ابن العروس»، و«تسع ملكات». أمّا ريكاردو دارين فهو ممثلي المفضّل. كانت جدتي تُشبه بطلة فيلم «ابن العروس»، كما كانت تماثلها في الطباع أيضًا، ناهيك عن إصابتها بمرض الزهايمر مثلها».

ما أهدافك في الحياة؟

«الفوز بعدد أكبر من الألقاب».

يبدو أنك تحبّ الفوز كثيرًا.

«يسعد المرء حين يفوز، ويحزن عند الخسارة، ويبدأ التفكير في الخطأ الذي ارتكبه. لم أحبّ الخسارة مُدّ كنت صغيرًا».

ما حلمك؟

«الفوز بكأس العالم برفقة المنتخب الأرجنتيني».





هيسي

رَنّ جرس الهاتف مرّة أُخرى؛ إنّه والده خورخي.

أفراد العائلة ينتظرونه على العشاء. لقد قدّمت العائلة جميعها من روزاريو: سيليا، وماريا سول، والخال كلاوديو، والخالّة مارسيليا.

يمشي ليوميسي مرتدياً سروالاً رياضياً وبلوزة بيضاء ذات قبّعة، في ممّرات (الإستاد) التي جازها إلى مصعد يؤدي إلى ساحة اصطفااف السيارات. لقد كان وداعاً أخيراً قبل عودته إلى العائلة التي تنتظره في المنزل.

أسأل نفسي: ما الأطباق الشهية التي أعدّتها له سيليا وخالته مارسيليا

اليوم؟





البيانات الشخصية

- 🏆 الاسم الكامل: ليونيل أندرياس ميسي.
- 🏆 مكان الولادة وتاريخها: روزاريو، سانتا فيه، الأرجنتين. الرابع والعشرون من شهر حزيران عام 1987م.
- 🏆 الوالدان: خورخي، وسيليا.
- 🏆 الشقيقة: ماريا سول.
- 🏆 الشقيقان: ماتياس، ورودريغو.
- 🏆 الطول: 169 سم.
- 🏆 الوزن: 67 كغم.

بدايات المسيرة الكروية

- 🏆 اللعب مع فريق غراندولي ونيولز في روزاريو قبل سنّ الثالثة عشرة، ثمّ الانتقال إلى نادي برشلونة في هذه السنّ.

برشلونة

- 🏆 أول ظهور مع الفريق الأول: السادس عشر من شهر تشرين الثاني عام 2003م أمام فريق بورتو البرتغالي (خارج الديار).



هيسي

🏆 أول ظهور في الدوري الإسباني: السادس عشر من شهر تشرين الأول أمام فريق إسبانيول (خارج الديار).

🏆 أول هدف: الأول من شهر أيار أمام فريق الباسيتي (في الديار).

🏆 الظهور: حتى التاسع والعشرين من شهر أيار عام 2011م:

🏆 في الدوري: خاض (177) مباراة، سجّل فيها (119) هدفاً.

🏆 في بطولة كأس الملك: خاض (26) مباراة، سجّل فيها (17) هدفاً.

🏆 في البطولات الأوروبية: خاض (61) مباراة، سجّل فيها (41) هدفاً.

المنتخب الأرجنتيني

🏆 أول ظهور: السابع عشر من شهر آب عام 2005م أمام المنتخب المجري (خارج الديار).

🏆 أول هدف: الأول من شهر آذار عام 2006م أمام منتخب كرواتيا (خارج الديار).

🏆 المشاركة: خاض (60) مباراة دولية، سجّل فيها (18) هدفاً (حتى التاسع والعشرين من شهر أيار عام 2011م).

الظهور:

🏆 كأس العالم للشباب، عام 2005م.

🏆 كأس العالم، عام 2006م.

🏆 كأس العالم، عام 2010م.

🏆 بطولة كوبا أمريكا، عام 2007م.





- 🏆 بطولة كوبا أمريكا، عام 2011م.
- 🏆 الألعاب الأولمبية، عام 2008م.

الألقاب التي حصل عليها

- 🏆 برشلونة:
- 🏆 الدوري الإسباني: خمس مرّات، موسم 2004-2005م، 2005-2006م، 2008-2009م، 2009-2010م، 2010-2011م.
- 🏆 بطولة كأس الملك: مرّة واحدة، موسم 2008-2009م.
- 🏆 بطولة كأس السوبر الإسباني: خمس مرّات، مواسم 2005م، 2006م، 2009م، 2010م، 2011م.
- 🏆 دوري الأبطال: ثلاث مرّات، مواسم 2005-2006م، 2008-2009م، 2010-2011م.
- 🏆 بطولة كأس السوبر الأوروبي: مرّتان، عام 2009م، 2011م.
- 🏆 بطولة كأس العالم للأندية: مرّة واحدة، عام 2009م.

المنتخب الأرجنتيني:

- 🏆 بطولة كأس العالم للشباب، عام 2005م.
- 🏆 الميدالية الذهبية في الألعاب الأولمبية، بكين، عام 2008م.

الألقاب الفردية

- 🏆 الكرة الذهبية (أفضل لاعب في أوروبا)، عام 2010م.
- 🏆 الحذاء الذهبي، عام 2010م.





- ⚽ الكرة الذهبية (أفضل لاعب في أوروبا) ، عام 2009م.
- ⚽ أفضل لاعب في العالم ، عام 2009م.
- ⚽ الكرة الذهبية لمجلة أونزي ، عام 2009م.
- ⚽ بطولة كأس ألفريدو دي ستيفانو ، موسم 2008م - 2009م.
- ⚽ هدّاف دوري الأبطال ، موسم 2008م - 2009م.
- ⚽ أفضل مهاجم في الأندية الأوروبية ، موسم 2008م - 2009م.
- ⚽ أفضل لاعب في الأندية الأوروبية ، موسم 2008م - 2009م.
- ⚽ أفضل لاعب في إسبانيا ، موسم 2008م - 2009م.
- ⚽ أفضل لاعب في أوروبا (المركز الثاني) ، عام 2008م.
- ⚽ أفضل لاعب في العالم (المركز الثاني) ، عام 2008م.
- ⚽ أفضل لاعب في أوروبا دون سنّ الحادية والعشرين ، عام 2007م.
- ⚽ أفضل لاعب في أوروبا (المركز الثالث) ، عام 2007م.
- ⚽ أفضل لاعب في العالم (المركز الثاني) ، عام 2007م.
- ⚽ هدّاف كأس العالم للشباب ، عام 2005م.
- ⚽ أفضل لاعب في بطولة كأس العالم للشباب ، عام 2005م.
- ⚽ أفضل لاعب صاعد في بطولة كوبا أمريكا ، عام 2007م.
- ⚽ أفضل لاعب أرجنتيني ، عام 2005م ، 2007م ، 2008م ، 2009م ، 2010م.





- 🏆 أميز لاعب شباب حسب اتحاد فيفبرو، موسم 2006م-2007م، 2007م-2008م.
- 🏆 أفضل لاعب صاعد في العالم حسب اتحاد فيفبرو، مواسم 2005م-2006م، 2006م-2007م، 2007م-2008م.
- 🏆 أفضل لاعب صاعد في العالم حسب مجلة وورلد سوكر، مواسم 2005م-2006م، 2006م-2007م، 2007م-2008م، 2008م-2009م، 2009م-2010م، 2010م-2011م.
- 🏆 أفضل لاعب أجنبي في الدوري الإسباني، مواسم 2006م-2007م، 2008م-2009م، 2010م، 2011م.
- 🏆 أفضل لاعب أيبيري-أمريكي جنوبي في الدوري الإسباني، مواسم 2006م-2007م، 2007م-2008م، 2008م-2009م، 2010م، 2011م.
- 🏆 عضوفي التشكيلة المثالية لاتحاد فيفبرو، مواسم 2006م-2007م، 2007م-2008م، 2008م-2009م.
- 🏆 كرة الفيفا الذهبية 2010م-2011م، 2012م.
- 🏆 الويفا أفضل لاعب في أوروبا 2011م.
- 🏆 الحذاء الذهبي الأوروبي 2010م-2012م.
- 🏆 هداف العام 2013م.





قائمة المراجع

أولاً: الكتب

- Apo. Alejandro. Y el fútbol contó un cuento (Buenos Aires: Alfaguara. 2007)
- Beha. Oliviero and Di Caro. Andrea. Indagine sul calcio (Milan: Bur. 2006)
- Brera. Gianni. Incontri e invettive (Milan: Longanesi. 1974)
- Fontanarrosa. Roberto. Puro fútbol (Buenos Aires: Ediciones de la Flor. 2000)
- Frieros. Toni. Leo Messi. el tesoro del Barça (Barcelona: Edecasa. 2006)
- Galdeano. Arnau. Estimat Messi (Barcelona: Empuries. 2007)
- Galeano. Eduardo. El fútbol a sol y sombra (Madrid: Siglo XXI de Espana Editores. 1995)
- Grosso. Cristian. Futbolistas con historia(s) (Buenos Aires: Ediciones Al Arco. 2007)
- Hugo. Victor and Perfumo. Roberto. Hablemos de fútbol (Buenos Aires: Planeta. 2006)
- Luque. Xavier and Finestres. Jordi. El caso Di Stéfano (Barcelona: Peninsula. 2006)
- Maradona. Diego Armando. Yo soy el Diego (Barcelona: Planeta. 2001)
- Sebreli. Juan Jose. La era del fútbol (Buenos Aires: Debolsillo. 2005)
- Toro. Carlos. Anécdotas del fútbol (Madrid: La Esfera de los Libros. 2004)
- Valdano. Jorge. El miedo escénico y otras hierbas (Madrid: Aguilar. 2002)
- Vargas. Walter. Fútbol Delivery (Buenos Aires: Ediciones Al Arco. 2007)





ثانياً : المجالات

إل غرافيكو، بوينوس آيرس.
دون بالون، برشلونة.

ثالثاً : الصحف

إسبانيا:
إل بايس.
إل موندو.
لا فانغارديا.
إل بيريوديكو دي كاتالونيا.
ماركا.
أس.
سبورت.
موندو ديپورتيفو.
الأرجنتين:
لا ناسيون.
كلارين.
إيبوكا.
أوليه.
لا كاييتال.
المملكة المتحدة:
ذا تايمز.
غارديان.





إيطاليا:

كوريري ديلا سيرا.

غازيتا ديللو سبورت.

كوريري ديللو سبورت.

رابعًا: الكتب السنوية

دليل الدوري الإسباني، 2005م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2006م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2007م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2008م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2009م (مجلة ماركا).

دليل الدوري الإسباني، 2010م (مجلة ماركا).

خامسًا: القنوات التلفزيونية

كانال +.

تايك.

قناة فوكس.

تي في 3.

سادسًا: المواقع الإلكترونية

www.fifa.com

www.uefa.com





www.afa.com.ar
www.gloriosonewells.com.ar
www.nob.com.ar
www.rosariocentral.com
www.fcbarcelona.com
www.youtube.com
www.lionelmessi.org
www.liomessi.wordpress
www.messiadictos.com

